موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ندوات تلفزيونية

قناة الاردن

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - آفاق إسلامية - الدرس (1-4)مفهوم الدعوة بالطرق الحديثة عبر الإعلام والانترنيت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-10-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى الله عز وجل سبيل الإنسان في الحياة :

الدكتور وائل :

دكتور ، بداية ما أهمية الدعوة الإسلامية ؟ وهل يمكن فعلاً أن تتحول الدعوة كما تشير أنت إلى ذلك من أعلى عمل وأشرف عمل في الكون وفي الوجود أن تنحط بصاحبها إلى أسفل سافلين ، كيف يمكن أن يتم هذا الأمر ؟.

دين الله عز وجل توقيفي لا يخضع للبحث و لا للدرس و لا للتأمل ولا للإضافة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

دكتور وائل ، جزاك الله كل خير .

بادئ ذي بدء لابدّ من حقائق أضعها بين يدي هذه الندوة المباركة إن شاء الله .

أولاً : هناك من يتوهم أن الدين تراث ، وأن الدين منتج بشري ، هو الحقيقة والقطعية واليقينية أن الدين وحي السماء ، أن الدين توقيفي ، لا يمكن أن يخضع للبحث ، وللدرس ، والتأمل ، والإضافة ، والحذف ، والتطوير ، والتعديل ، والتحديث ، دين الله من عند المطلق ، هذه الحقيقة جاءت من قوله تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

(سورة المائدة الآية : 3)

الإتمام عددي ، أن عدد القضايا التي عالجها الدين تام عدداً ، والإكمال نوعي وأن طريقة المعالجة تامة نوعاً ، وأن الذي أهمله الدين وسكت عنه هناك حكمة بالغةٌ بالغة بالغة من السكوت عنه ، كيف لا وهو من عند الخالق ، خالق السماوات والأرض .

كمال الخلق يدل على كمال التشريع :

اسمح لي دكتور وائل أن أقدم شيئاً سريعاً :
البعوضة التي هي أحقر مخلوق في حياتنا ، بعد أن وضعت تحت مجهر إلكتروني ، وجدوا أن في رأسها مئة عين ، في فمها ثمانية و أربعون سناً ، وفي صدرها قلوب ثلاثة ، قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وفي كل قلب أذنينان وبطينان ودسامان ، وأن البعوضة تملك جهازاً لا تملكه الطائرات ، تملك جهاز استقبال حراري رادار ، أي أنها ترى الأشياء لا بأشكالها ، ولا بألوانها ، ولا بأحجامها ، ولكن ترى الأشياء من خلال الحرارة فقط ، وحساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية .
الإنسان بذكائه وحدة بصره يقول لك : حرارته سبع و ثلاثون درجة وثلاث أرباع ، معظم الناس ونصف .
أما عند البعوضة حرارة جهازها واحد على ألف من الدرجة المئوية ، والبعوضة عندها جهاز تحليل للدم ، قد تستغرب لماذا بدأت بالبعوضة ؟ لي منها مقصد كبير ، معها جهاز تحليل دم ما كل دم يناسبها، تحلل ثم تمتص ، قد ينام أخوان على سرير واحد يستيقظ الأول وقد ملئ بلسع البعوض ، والثاني لم يصب بشيء ، معها جهاز تمييع للدم لأن دم الإنسان سمج لا يسري في خرطومها ، معها جهاز تخدير لئلا تُقتل أثناء الامتصاص ، فتخدر ثم تمتص ، حينما تطير في سماء الغرفة يكون مفعول التخدير قد انتهى فيشعر الإنسان أنه قد لسع ، فيحب أن يقتل البعوضة فوق يده ، هي في سماء الغرفة تضحك عليه .
وفي خرطوم البعوضة ست سكاكين ، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع وسكينان تلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم ، وفي أرجلها مخالب إذا وقفت على سطح خشن ، ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس .
الذي خلق البعوضة بإعجاز هذا الخلق أيعقل أن يكون في تشريعه استدراك ، أو نقص ، أو زيادة ، أو ضعف ؟ لا ، لأن كمال الخلق يدل على كمال التشريع ، هذا الذي دعاني أن أبدأ بالبعوضة ، كمال الخلق يدل على كمال التشريع .

الدين منتج سماوي و التجديد فيه يعني أن ننزع عنه كل ما علق عليه مما ليس فيه :

الدين منتج سماوي ، وحي السماء ، من عند المطلق ، من عند خالق السماوات والأرض ، لا يحتمل لا التحليل ، ولا الدرس ، ولا الإضافة ، ولا الحذف ، ولا التطوير ، ولا التحديث ، ولا التبديل ، ولا التجميد ، ولا التفعيل ، كعقيدة وعبادات ، توقيفي ، معنى توقيفي لا يخضع لا للبحث والدرس .

لكن هناك حقيقة دقيقة : الآن هناك دعوة قوية جداً للتجديد ، أنا أتمنى أن نستبدلها بالتجديد في الخطاب الديني ، هذا أصح ، أما إذا أصررنا على التجديد في الدين فهذا التجديد يعني حصراً أن ننزع عن الدين كل ما علق عليه مما ليس فيه .

أولاً في ضوء هذه الكلمة ، الآن الخطاب الديني نجدده بأساليبه ، وأدواته ، من هنا كان هذا اللقاء الطيب ، يعني الدعوة إلى الله من خلال وسائل جديدة ، كالصحافة والإذاعة ، والتلفزيون ، والانترنيت، الآن لو دخلنا في بعض التفاصيل .

الدكتور وائل :

هنا دكتور محمد راتب للإيضاح للأخوة المشاهدين أن موضوع التجديد أن ترى أن في الأصل الدين كما هو نأتي به من ألف و أربعمئة عام ، ونأتي به إلى هنا ، حتى لا يلتمس الأمر على الأخوة المشاهدين .

على المسلم أن يصلح دنياه و يعمل لآخرته :

الدكتور راتب :

عندنا في الدين أقسام العقيدة والعبادات الأصل فيها الحظر ، ولا تشرع عبادة ولا عقيدة ، إلا بالدليل قطعي الدلالة والثبوت ، أما المعاملات والأحكام الشرعية فالأصل فيها الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت ، نحن أمرنا أن نقلد في عقيدتنا وعبادتنا ، وأمرنا أن نصلح دنيانا ، نطور في استخراج الثروات ، وإنشاء السدود ، وتطوير الصناعات ، وحلّ مشكلات الشباب ، وتأمين السكن ، وتخفيف متاعب الحياة ، وحمل هموم المسلمين ، نحن مكلفون بأعمال لا تنتهي في التطوير ، نطور حياتنا ، نطور علاقاتنا ، نطور دخولنا ، نؤمن فرص عمل لشبابنا ، نزوج شاباتنا ، هذا كله يحتاج إلى تطوير ، أما الشيء المؤسف أن المسلمين قلدوا في دنياهم ، لم يكتشفوا ، لم يخترعوا ، لم يطوروا ، وابتدعوا في دينهم ، الأصل بالعكس أن نقلد في ديننا ، لأنه من عند المعصوم كحديث ، ومن الخالق كقرآن ، وأن نطور في حياتنا .

والنبي الكريم في بعض الآثار التي نسبت إليه :

((أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم))

[القضاعى والديلمى عن أبي هريرة]

لابدّ من إصلاح الدنيا .

الفتن الطائفية الورقة الرابحة الوحيدة بيد أعدائنا:

بصراحة ما دام الموضوع طُرح ، لما العالم الغربي يجد في العالم الإسلامي نسب بطالة عالية ، لما يجد في العالم الإسلامي نسب أمية عالية ، نسب فقر عالية ، عنوسة عالية ، نحن في رأس قائمة المستوردين ، وفي أسفل قائمة المصدرين وبأسنا بيننا ، وسلمنا لأعدائنا .

أنا كنت بألمانيا فوجئت بمن حولي قال : هذه هولندا ، كيف ؟! أين الحدود ؟ أين الجمارك ؟ أين الأمن العام ؟ أين دفتر السيارات ، هناك إجراءات طويلة يمضيها الإنسان بين بلد وبلد إسلاميين ، أو بلد وبلد عربيين ، هؤلاء بذكائهم وتعاونهم أسقطوا كل هذه الحدود والسدود ، بعد حين قال : هذه بلجيكا . زرت فرنسا مرة مضيفي أخذني إلى نزهة قال لي : هذه ألمانيا ، تمنيت أن أقرأ كلمة ألمانيا ، الحدود مفتوحة ، البلاد واحدة ، اقتصاد واحد ، عملة واحدة ، هؤلاء بذكائهم تعاونوا فيما بينهم ، ومعهم 5% قواسم مشتركة ، ونحن نتقاتل في بعض البلاد وبيننا 95 % قواسم مشتركة .

وقد نقول إن فرعون الطاغية الأول وصفه الله فقال :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً)

(سورة القصص الآية : 4)

هناك من يقول أنا لا يعجبني أن يكون العالم مئتي دولة ، أتمناه خمسة آلاف دولة إذاً الفتن الطائفية هي الورقة الرابحة الوحيدة في يد أعدائنا ، ونحن بذكائنا ، ووعينا ، وديننا ، واستقامتنا نسقط هذه الورقة من أيديهم .

الثوابت و المتغيرات :

إذاً الدين توقيفي بعقائده ، بعقائده ، وعباداته ، أما بالأحكام الشرعية لكرامة الإنسان عند الله سمح له أن يجتهد ، لماذا في القرآن وفي السنة آيات وأحاديث قطعية الدلالة لا يسمح للاجتهاد بها ، وهناك عدد كبير من الآيات والأحاديث ظنية الدلالة ، أنا في تصوري الثوابت في الإنسان غطاها الله بآيات قطعية الدلالة ، وغطاها النبي بأحاديث قطعية الدلالة ، أما المتغيرات .

أنت مثلاً في عمان ، وسط المدينة ، لو أعطيت فقيراً كيس قمح ، ماذا يفعل به ؟ أين يصوله ؟ أين يغسله ؟ أين ينشره ؟ عند من يطحنه ؟ أعطيه مالاً ، أما بالريف أعطيه كيس قمح يأكله خلال عام .

لما اختلف المكان الحكم اختلف ، فالمتغيرات في حياة الإنسان غُطيت بتوجيهات ظنية الدلالة ، وحينما يأتي في كلام الله كلام ظني الدلالة المقصود به كل احتمالات المعنى لأنها تغطي كل المتغيرات ، أما لما إنسان يتكلم كلمة ظنية الدلالة لضعفه في اللغة يريد معنى جزئياً محدوداً ، فجاءت العبارة فضفاضة كبيرة ، فبدأنا نجتهد في فهم ما اقتصد به ، أما الآية التي فيها طابع احتمالي المقصود بها كل الاحتمالات .

نحن كما تفضلت نطور شؤوننا الفقهية ، الآن مثلاً موضوع إماء لا يوجد ، موضوع واحد اشترى جمل وباع جمل ، قليل جداً ، الآن في حكم التأمين ، حكم المرابحة عندنا قضايا ساخنة وملحة جداً ، فلابد من أن نطور فهمنا ، ونطور الأشياء التي سمح الله بها أن نطورها .

الدكتور وائل :

هنا دكتور كنا نتناقش قبل بعض الحلقات مع الدكتور زغلول النجار في هذا المقام ، وطرحنا قضية أن هناك إشكالية في التعليم الديني حتى هي ربما كانت سابقاً موجودة قبل أحداث الحادي عشر من أيلول ، هي توسيع دائرة المسلمات حتى في القضايا الظنية ، ظنية الدلالة ، ظنية الثبوت ، ارتقت كونها ظنية قابلة للتغيير ، التطوير ، التحديث ، مع مرور الزمان ، مع مرور الأيام ، من مكان إلى آخر ارتقت فأصبحت في إطار المسلمات ، فأصبحت كأنها من قبيل المحكم الذي لا يقبل تغييراً ، ولا تبديلاً ، ولا نسخاً حتى في عهد الرسالة ، وأصبحت نصوص الفقهاء هي شريعة ، والشريعة هي نصوص الفقهاء ، الآن من باب الدعوة إلى الله عز وجل كيف نستطيع أن ننفض الغبار عن القضايا التي هي ظنية وأصبحت مسلمات ؟.

العلم أصل في الدين :

الدكتور راتب :

أنا أتمنى أشياء ثلاثة ، أن نعقلن الدين ، أن نعطيه تفسيراً عقلياً ، العقل له قيمة كبيرة ، والعلم أصل في الدين ، إن الآيات التي تتحدث عن العقل والعلم تقترب من ألف آية ، أنا كلما أردت أن آتي بنص ، لو كان التفسير علمي ، النبي لما توهمت الصحابة أن الشمس كُسفت لموت إبراهيم أعطى التفسير العلمي ، قال :

((إن الشمس والقمر آيتان لا ينبغي أن تنكسفا لموت واحد من خلقه))

[مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو]

هذا موقف علمي رائع ، أتمنى أن نلائم بين العلم وبين النص ، أنا أعتقد أن الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، الكلام دقيق جداً ، خط النقل الصحيح ، تحت الصحيح خط ، هناك نقل غير صحيح ،

يتعارض مع العلم ، خط النقل الصحيح ، والعقل الصريح ، وهناك عقل تبريري ، والفطرة السليمة هناك فطرة منطمسة ، والواقع الموضوعي ، خط النقل الصريح ، مع العقل الصريح ، مع الفطرة السليمة ، مع الواقع الموضوعي ، هذا هو الحق ، هذه مقاييس ثابتة .

الحاجة الملحة إلى المجامع العلمية في الشؤون الفقهية :

لذلك الدين توقيفي ، أما في الشؤون الفقهية نحتاج إلى مجامع علمية ، أن تدرس المستجدات ، وأن تضع حلولاً للمشكلات ، وأن تقدم حلولاً للكتاب والسنة ، والدليل الآية الكريمة :

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)

(سورة النساء الآية : 59)

استقلالاً .

(وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)

(سورة النساء الآية : 59)

من أروع ما قال الإمام الشافعي حول كلمة :

(وَأُولِي الْأَمْرِ)

قال هم العلماء والأمراء ، العلماء يعلمون الأمر ، والأمراء ينفذونه .

ما من مشكلة نعانيها إلا و لها حلّ في الكتاب أو السنة :

الآن :

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ)

(سورة النساء الآية : 59)

مع من ؟ مع علمائكم ، وأمرائكم :

(فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)

(سورة النساء الآية : 59)

فمعناها الله أحالنا إلى كتابه وسنة نبيه ، ولا يعقل أن نعاني في مشكلة في حياتنا إلى يوم القيامة إلا ولها حلّ في الكتاب والسنة ، علمه من علمه وجهله من جهله .

الدكتور وائل :

دكتور الحقيقة كلامك يقودنا إلى نواحي الدعوة إلى الله ، والانترنيت ، لكن الحقيقة هذه الآفاق التي تتحدث فيها في هذا البرنامج آفاق إسلامية أيضاً ، نقلتنا إلى موضوعات الحقيقة في غاية الأهمية ، هنا

مجالات الدعوة الإسلامية ، وهذه الآفاق ، وهذه أبعاد النظر .

أفضل إنسان على الأرض من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين:

الدكتور راتب :

أنا قلت : ما من شيء يتذبذب بين أن يكون أقدس عمل على الإطلاق ، يرقى إلى صنعة الأنبياء ، وبين أن يكون ـ سامحني بهذه العبارة ـ أتفه عمل على الإطلاق لا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة كالدعوة إلى الله ، ترقى إلى صنعة الأنبياء حينما نبذل من أجلها الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، وتسقط من عين الناس وعين الله حينما نرتزق بها ، وحينما قال الإمام الشافعي : لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين ، فهذه الدعوة يجب أن تكون صافية ، نقية ، خالصة لله عز وجل .

أنا أذكر قصة قديمة جداً ، دولة محتلة من قبل عدو أجنبي ، فقتلوا رجلاً و اتهموا به عالماً ، فبحسب تقاليد البلد جاؤوا له بشيخ ليلقنه الشهادة ، عالم كبير ، ليلقنه الشهادة لئلا يموت كافراً ، الذي أمر بقتله من أعداء المسلمين ، فهذا الشيخ قال له : قل لا إله إلا الله ، قال له العالم الكبير الذي أراد الاحتلال إنهاء حياته ، قال له : أنا أموت من أجل لا إله إلا الله أما أنت فترتزق بها ، فرق كبير .

فالدعوة إلى الله بنص القرآن الكريم قال تعالى :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

يعني لن تجد على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إنساناً أفضل عند الله ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين .

((يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس))

[أخرجه الحاكم عن أبي رافع]

هذا يؤكد هذا المعنى .

تغير أساليب الدعوة إلى الله عز وجل بحسب العصر :

الدكتور وائل :

دكتور هنا الحقيقة حينما نتكلم تأتيني الأفكار ، ثم ننتقل إلى موضوع آخر ولا أريد أن أقاطعك لجمالية الحديث الذي تتحدث به ، وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا من ثمرات الإخلاص والصدق ، وأسأل الله عز وجل أن نكون من أهله وخاصته ، دكتور قول الله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)

(سورة إبراهيم الآية : 4)

هنا نحن نرى في كثير من الأحيان في واقعنا المعاصر بأن أناساً يريدون أن يطبقوا الدعوة إلى الله عز وجل بذات الآليات والطرق والأساليب التي كانت تمارس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما فيما بعده من بعض الصحابة والسلف إلى غير ذلك بذات الوسائل والأساليب ، مع أننا إذا نظرنا إلى هذه الآليات ، وإلى هذه الوسائل ننظر إلى أنها تغيرت كما أشرت إلى ذلك حتى في أنظمة الحكم ، حتى في نظام الحكم في الإسلام ، نلاحظ أن الصحابة رضي الله عنهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم مارس نظام الحكم بما يتناسب مع تلك الطبيعة ، ومع ذلك الوقت ، ولكن هناك مبادئ أساسية لا تقبل التغيير ، ولا التبديل ، الشورى ، العدل ، المساواة ، إلى ذلك ، لكن هناك أساليب متغيرة متطورة ، تماماً الآن الدعوة إلى الله عز وجل لها أساليب متغيرة ومتطورة ، وهنا قول الله عز وجل وأنت تنظر في هذه العبارات الدقيقة

(إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)

لسان القوم هنا ؟.

الإعلام سلاح خطير جداً يحدد مصير الشعوب :

الدكتور راتب :

أنا العبد الفقير أتصور أن الداعية لا يمكن أن يؤثر فيمن حوله إلا إذا استوعب الثقافة المعاصرة ، لابدّ من أن يستوعب الثقافة المعاصرة ، أما الذي ثقافته محدودة بعيد عن روح العصر ، لا يمكن من أن يؤثر في الآخرين ، هذه واحدة .

والشيء الثاني الدقيق : أن الداعية حينما يقرأ قوله تعالى هناك فهم عميق للآية

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)

يعني بالأساليب المتبعة في نشر الأفكار ، الآن ممكن نصف سكان الأرض ثلاثة آلاف مليون يستمعون إلى خطاب من إنسان واحد ، يمكن بالإذاعة أن يستمع إليك الملايين المملينة ، ممكن عبر الشاشة أن يراك ملايين مملينة ، ممكن عبر الصحافة أن يقرأ كتاباتك ملايين مملينة ، الآن هناك وسائل عملاقة وهي أقوى شيء بالعصر ، أنا أرى أن أقوى قوة الآن هي الإعلام ، والإعلام سلاح خطير جداً ، بل هناك من يرى أن الإعلام هناك من يحدد مصير الشعوب الآن ، أن هذا الإنسان يبرمج وفق الإعلام ، فهذا السلاح بيد أعدائنا .

قضية نكون أو لا نكون قضية مصيرية :

أنا أقول دائماً : إما أن تكون رقماً صعباً ، وإما أن تكون رقماً سهلاً ، إما أن ترسم لك خطة ، وإما أن تكون بنداً في خطة عدوك ، فرق كبير .

فلذلك الأمر الآن نكون أو لا نكون ، قضية مصيرية ، ليست قضية تحسين وضع ، نكون أو لا نكون ، هناك قرار غير معلن لإفقارنا ، وإضلالنا ، وإفسادنا ، وإذلالنا ، وإبادتنا ، مليون شهيد بالعراق ، مليون معاق ، خمسة ملايين مشرد ، لا أحد ينطق بكلمة ، هناك قرارات عميقة جداً ، فنحن قضيتنا حياة أو موت ، قضيتنا نكون أو لا نكون ، ينبغي أن نصحو من غفلتنا ، أعداؤنا يعملون ليلاً نهاراً في الظلام ، ونحن نائمون في ضوء الشمس ، نحن أسوأ مسوق لأفضل بضاعة ، وأعداؤنا أفضل مسوقين لأسوأ بضاعة ، هذه المشكلة .

الدكتور وائل :

دكتور ، الآن الانترنيت باعتباره وسيلة عملاقة من هذه الوسائل التي أشرت إليها وربما له إيجابيات ، وله سلبيات ، كيف ترى الآن الانترنيت بتعامل المسلمين به ؟.

سلبيات الانترنيت :

الدكتور راتب :

أنا والله سأبدأ بسلبياته ، الانترنيت كما تفضلت يشاهده أو يدخل عليه ثمانمئة مليون ، الانترنيت ألغى الحدود ، ألغى السدود ، ألغى الموانع ، ألغى الرقابة ، دمر الإنسان ، دمر المستخدم الشاب ، كيف ؟ الشاب بغرفته ، وهو في غرفته يرى العالم كله من دون قيد ، من دون ضابط ، من دون شيء ، وما قولك إذا أعلمتك أن في الانترنيت ثلاثة وعشرين مليون موقعاً إباحياً ففي هذا مشكلة كبيرة ، أنا أقول : ما لم نصحُ ، ما لم نضع حلول ، قاسية أو دقيقة لصون أخلاق شبابنا .

أنا ذكرت اليوم أن حياتنا من قبل خمسين عاماً تشبه حديقة حيوان تقليدية ، الوحوش في الأقفاص ، والزوار طلقاء ، الآن نحن في حديقة حيوان إفريقية الوحوش طلقاء ، يعني أي شيء في الحياة يدعوه إلى المعصية ، يأخذ قرصاً مدمجاً إباحياً ، مجلة ، رفيق سوء ، فتاة متبذلة في الطريق ، صورة في مجلة ، صورة في صحيفة ، مسلسل إباحي ، موقع في الانترنيت إباحي ، الآن هناك صوارف وهناك عقبات لا يعلمها إلا الله ، لذلك الآن لا يوجد حل أمام الآباء إلا التحصين اليومي ، الذاتي ، أنا أحصن ابني عن طريق أن أصادقه ، وأن افهم كل مشكلاته ، وأن أحاول حلها .

فلذلك الانترنيت سلبياتها كبيرة ، أنا أرى أن هذا الشاب أو الشابة حينما قبع في غرفته ، وفتح العالم أمامه من دون قيد ، من دون شرط ، من دون ضابط ، من دون منع كل شيء ، الذي يراه الشاب بالانترنيت لا يمكن أن يراه العالم كله قبل خمسين عاماً .

فهذه المشكلة الكبيرة الآن الشباب أمام تطرفين خطيرين ، الشباب قنبلة موقوتة ، إما أن يأخذهم تطرف الإباحية ، التفلت ، دخلوا في عالم آخر ، أو التطرف المتشدد والتكفير والتفجير .

فلابد من أن تعتمد الحكومات العربية الإسلامية الإسلام الوسطي المتوازن كي تلبي حاجات المجتمع .

تحصين أجيالنا السبيل الوحيد لحمايته من الإعلام و الانترنيت السلبي :

الدكتور وائل :

ليحمي المجتمع ، وليحمي الأقلية قبل الأكثرية ، هذا صحيح ، دكتور ، الآن يقولون بأن هناك ثلاثة خيارات أمامنا ، هذه الشبكة شبكة الانترنيت ، وربما الإعلام أولاً الموقف السلبي المطلق ، بحيث لا نتعامل مع هذه الشبكة نتركها إلى الآخرين ، ويصبح الإنسان أمياً فعلاً ، بأنها أصبحت مجالاً خصباً للعلوم والثقافة وغيرها ، وهناك من يقول يجب علينا أن نكون مجرد ساحة لاستقبال هذه العلوم ، وهذه المؤثرات ، من الخارج دون قيد أو شرط ، بحيث نكون منفعلين لا متفاعلين ، ولا مؤثرين على الآخرين ، وهذا يعني أننا وقعنا في هذا المستنقع ، الخيار الثالث أن نمارس دورنا ، وأن نضبط أمورنا، وأن نكون مهيئين أيضاً للإجابة على الآخرين ، وأن نحصن جيلنا ، ولكن أيضاً أن نبادر ، لأن القائد كما تعلم دكتور هو المبادر ، وهو الذي يريد أن يهاجم بنفس السلاح الذي يُهاجم به ، وقد أشرت إلى هذه النقاط أيضاً بشكل جيد ، كيف هذا ؟.

الانترنيت أداة فعالة بيد أعدائنا لتشويه سمعة المسلمين فعلينا الانتباه لمضمونها :

الدكتور راتب :

دكتور وائل ، للتوضيح : لو أن دولتين متجاورتين ، إحدى الدولتين عندها سلاح طيران مخيف ، فالدولة الثانية لا يوجد أمل تنتصر عليه إلا بسلاح طيران ، هذه الحقيقة الآن تسحبها على الانترنيت ، ما دام الانترنيت يدخل عليه ثمانمئة مليون إنسان ، والانترنيت الآن أداة فعالة بيد أعدائنا لتشويه سمعة المسلمين ، جعلهم دول متخلفة ، جاهلة ، مجرمة ، فقيرة ، عبء على العالم .

حينما جاء أحد المسؤولين الأمريكيين إلى المنطقة ، ضمن زيارته زيارة أسرة الأسير الإسرائيلي ، وهناك ثمانمئة و أحد عشر أسيراً عند اليهود ما خطر بباله أن يزور أسرة من الأسر التي تزيد عن ثمانمئة و أحد عشر أسرة فقدت ابنها ، هناك انحياز كبير جداً.

فالآن نحن لابدّ من أن نستخدم وسائل العدو التي قوي بها ، فأنا أرى أن الانترنيت لزاماً علينا ، هذا العبد الفقير بتواضع لي موقع في الانترنيت ، أنا قدمت إحصاءات دقيقة (إحصاءات شهر آب) عندنا إحدى وثلاثون مليون وخمسمئة زائر بشهر آب فقط على موقعي ، عندنا ثمانية وثمانون ألفاً وخمسمئة غيغا مواد مسحوبة ، عندنا ثمانمئة وستة وثمانون ألف نص ملفات نصية مأخوذة بهذا الشهر، عندنا ملفات صوتية ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف ملف صوتي ، عندنا مليون ومئتا ألف ملف من الملفات المرئية ، هذا بشهر واحد ، أنا أحياناً أخطب بجامع ، أقول عندي عدد كبير أي خمسة آلاف ، هم مليون باليوم .

فهذه وسيلة فعالة كبير جداً ، لمن أنا أقول كلمة اسمح لي بها ، كيف أن الله وصف الخمر :

(فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)

(سورة البقرة الآية : 219)

هناك مواقع إباحية عديدة جداً ، وهناك أشياء خيرة .

خصائص الانترنيت المذهلة :

أما مهمتي رشد استهلاك الانترنيت ، اجعل الكومبيوتر بالصالون ، لا بغرفة النوم حتى يكون تحت الرقابة ، الابن غالي جداً ، الإنسان لما يفقد ابنه فقد أحد أركان حياته ، لابدّ من تنويه أن الانترنيت له خصائص مذهلة ، أولاً ألغى المكان ، جميع العقبات المكانية ألغيت ، كان تلقي المعلومة يحتاج إلى إنفاق ، الآن تلتقي المعلومة مجاناً ، بأسرع من لمح البصر ، وبأكبر كم ، تنوع مذهل وكم كبير ينتقل مجاناً من مكان إلى مكان ، فالتغى المكان ، والتغى الزمان ، أي المعلومة حال وضعها يأخذها العالم كله بثوانٍ معدودة .

يعني الموسوعة البريطانية سابقاً عندنا في الشام ثمن الموسوعة 75 ألف ليرة الآن يأخذها الإنسان من الانترنيت مجاناً ، فألغت المكان ، وألغت الزمان ، وألغت الثمن ، وعملت تفاعلاً ، الآن نتكلم عن التفاعل .

السهولة في استخدام الانترنيت :

الدكتور راتب :

ألغت المكان والزمان ، وجعلت المستخدم له فعالية ، أنا ذكرت آية :

(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)

(سورة غافر الآية : 29)

كان المواطن بالوسائل التقليدية مهمته أن يتلقى فقط ، يفرض عليه ما يريد

(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)

أما الآن هو يختار ، يختار أي موضوع ، وأي معلومة ، وأي مجال ، وله ردّ فعل قد يدلي برأيه في المنتديات ، صار يتلقى ويلقي ، ويستقبل ويرسل ، وله رأي ، فعملت فعالية ، وعملت مجانية ، وألغت المكان ، وألغت الزمان ، وهناك سهولة في استخدام الانترنيت ، لا تحتاج إلى مهندس كومبيوتر ، المستخدم غير الخبير ، المستخدم شيء والخبير شيء آخر ، هناك مبرمج وهناك إنسان يعمل في آلية الكومبيوتر أما في إنسان مستخدم فقط .

أما هذا الانترنيت سلاح بيد الأعداء كبير جداً ما لم ندخل عليه ونؤثر نحن فيه نكون قد قصرنا في هذا الدين العظيم .

علينا تحصين أنفسنا من الغزو الفكري والثقافي والمساهمة في قضية الدعوة الإسلامية :

الدكتور وائل :

دكتور الحقيقة عندما نكون مؤثرين ، ومتفاعلين ، وفاعلين أيضاً ، نكون قد كسبنا أمرين ، الأمر الأول أننا نكون قد حصنا أنفسنا ، ضد الغزو الفكري والثقافي ، لأن خير وسيلة للدفاع هي الوجود ، النقطة الثانية أننا نكون مبادرين في قضية الدعوة الإسلامية ونتكلم ، ونعرض هذه الحقيقة ، وأنت أستاذ في هذا الجانب وتعلم أن الإسلام هو رحمة للعالمين ، وأنه يجب على الآخرين أن يفهمونا ، ويجب عليهم أن يتفاعلوا معنا ، وأن نتفاعل معهم ، مشكلتنا دوماً تكمن في سوء الفهم ، أننا لا نفهم بعضنا البعض ، ولا نعرف ما يريده الآخرون منا ، ولا يعرف الآخرون ماذا نريد من العالم ، وربما أيضاً اختطاف الخطاب الإسلامي ، واختطاف الحقيقة من قبل بعض الناس ساهم إلى حدٍّ ما في تشويه ، وتشويش صورة الإسلام ، والآن تعتبر هذه الوسيلة التي هي بين أيدينا إضافة إلى وسائل أخرى كثيرة ومتعددة يمكننا أن نتفاعل فيها ، وأن نعرض قضيتنا ، وقضايانا بكل وضوح ، وكل شفافية ، ما رأيكم ؟.

الإسلام هو البديل الوحيد للعالم :

الدكتور راتب :

أنا سأدلي بورقات العمل ، عالم أمريكي كبير هداه الله إلى الإسلام ، فزار الجالية الإسلامية في بريطانيا ، وقال لها هذه الكلمة الرائعة : (مرة كان الدكتور زغلول عندنا في الشام أقسم لي بالله أنه سمعها بأذنه ، شخصياً ، أنا قرأتها ، هو سمعها بأذنه) قال : أنا لا أصدق أن العالم الإسلامي يستطيع اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لا لأنهم أقوياء ، الآن ضعفاء ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام .

دكتور وائل ، يمكن أن نقدم هذا المثل :

إن صحّ أن هناك ساحة عليها المبادئ والقيم في العالم فقبل خمسين عاماً كان في كتلة الشرق ، والغرب ، والإسلام ، أكبر كتل فكرية ، منهجية ، قيمية ، فالشرق تداعى من الداخل ، وانتهينا ، بقي على هذه الساحة الغرب والإسلام ، وبشكل موضوعي الغرب قوي ، وذكي ، وغني ، وبشكل موضوعي آخر طرح سابقاً قيم رائعة جداً ، طرح قيمة الحرية ، والديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وتكافؤ الفرص ، وحق المقاضاة ، والعولمة ، واحترام جميع الأديان ، لكن قبل الحادي عشر من أيلول كان الغرب حضارة ، فخطف أبصار المسلمين ، فصار الإنسان حينما يأخذ البطاقة الخضراء كأنه دخل الجنة ، طموح أي مسلم أن يكون هناك ، لكن بعد الحادي عشر من أيلول كان الغرب حضارة فأصبح قوة غاشمة ، ولم يبقَ على ساحة المبادئ والقيم إلا الإسلام .

خلاص العالم بالإسلام بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ويحسنوا تطبيقه و يحسنوا عرضه :

نحن الآن في العصر الذهبي للدعوة الإسلامية ، لأن كل النظم الأرضية أفلست وأصبحت في الوحل ، لن تسهم في إسعاد الإنسان ، ولا في صون حقوقه ، حقوقه مهدورة وهو يعمل ليلاً نهاراً ولا يحصل الحد الأدنى من معاشه ، هذه مشكلة كبيرة جداً .

فلذلك هذا العالم قال : ولكن بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر ، هذه ورقات العمل .

الدكتور وائل :

هذا صحيح ويقول شخص آخر وهو خبير أيضاً في حلف شمال الأطلسي ، كان يقول : لقد كان الإسلام بديلاً من مجموعة بدائل ، والإسلام الآن أصبح هو البديل الوحيد للعالم .

الدكتور راتب :

أشار إلى المجانية وقد ذكرتها ، وأشار إلى التفاعل كان المستخدم للأجهزة الإعلامية السابقة متلقٍ فقط، يفرض عليه ما يجب أن يتلقاه ، ويحرم مما ينبغي أن يتلقاه ، أما الآن هو يختار ما يحب ، ويدلي برأيه في الموضوع الذي يأخذه .

الدكتور وائل :

الآن دكتور قضية الحوار مع الغرب من خلال الانترنيت ، قضية الغرف الذين يتحدثون بها ، نعم هذا سلاح خطير و أدى في الحقيقة إلى مفاسد كثيرة ، لكن أيضاً ممكن إذا استخدم استخداماً جيداً ورائعاً وراقياً ، وأسلوباً راقياً في الحديث يمكن أن تؤدي إلى إسلام الكثير من غير المسلمين .

أهم عمل على الإطلاق استخدام الانترنيت في التوجه نحو الطرف الآخر وإقناعه بالإسلام :

الدكتور راتب :

لي تجربة متواضعة ، أنا كنت قبل عام تقريباً عضواً في وفد رفيع المستوى زار ألمانيا ، فبقينا عدة أيام ، والتقينا بالقيادات السياسية ، والأكاديمية ، والدينية ، وفوجئت أن الدعاة إلى الله مقصرون في تسويق الإسلام للطرف الآخر ، نحن نسافر كثيراً إلى الشرق والغرب ، ونسوق الإسلام للمسلمين ، نحن جميعاً طرف واحد ، في أحد مؤتمرات القاهرة في نهاية المؤتمر قدمت هذه المداخلة ، قلت هذا المؤتمر الضخم العملاق الذي كلف ملايين ، وكنا سبعين دولة ، وجئنا إلى القاهرة ، وألقينا الكلمات ، وأعددناها إعداداً عميقاً جداً و مفصلاً ، وتلقاها المستمعون بالتصفيق ، والترحيب ، والقبول ، ماذا فعلنا؟ قلت والله ما فعلنا شيئاً ، لأننا جميعا طرف واحد ، والطرف الآخر المعني بهذا المنتدى غائب عن المؤتمر ، هذه مشكلة المشكلات ، نحن نتبادل الآراء فيما بيننا ، نحن طرف واحدة .

فأنا لما سافرت إلى ألمانيا وجدت آذاناً صاغية ، وليس من الصعب إقناع الطرف الآخر ، فهو ذكي ، منطقي ، وواقعي ، لكن الساحة فارغة للصهيونية العالمية ، يقدمون عنا أسوأ صورة ، فلما التقينا بهم بالمستوى السياسي ، والأكاديمي ، والديني ، فوجدت أنه في تقصير كبير ، كبير جداً من الدعاة في الحوار مع الطرف الآخر ، الطرف الآخر منطقي ، ويصغي ، وذكي فكان نحن الأولى أن نستخدم الانترنيت ، أو نستخدم الفضائية ، الفضائية موجهة لأوربا باللغة الفرنسية والإنكليزية ، هذا عمل أهم من مئة مؤتمر .

على المسلمين أن يقفوا في خندق واحد و يبتعدوا عن القضايا الخلافية فيما بينهم :

نحن الآن هذا الطرف الآخر لن نستطيع أن نعيش بمعزل عنه ، قبل خمسين سنة كل دولة تعيش بقيمها ومبادئها ، وحولها سور حديدي ، الآن لا يمكن أن تعيش وحدك ، هذا الطرف الآخر إما أن يكون عدواً لنا أو معنا .

رجل أمريكي قد أسلم جاء إلى الحج ، ألقى كلمة في منى ، قال : نحن أقوى دولة في العالم ، فإذا أقنعتمونا بالإسلام كانت قوتنا لكم ، اليهود أقنعوه باليهودية فوضع كل ثقله مع اليهود .

مرة فيلسوف ألماني قال : كان المسلم قديماً يحتقرنا كالخنازير البرية فلما استطعنا أن نجره إلينا على حساب دينه وقيمه أصبحنا نحتقره لأنه لم يعد يملك شيئاً يقدمه لنا.

والله دكتور وائل ، القومية تحتاج إلى أن ننهض ، إلى أن نتعاون ، الغرب جميعاً في سلة واحدة ، ينبغي أن نقف جميعاً في خندق واحد ، والله أنا الآن أرى بدافع وطني ، بدافع قومي ، بدافع ديني ، بدافع أخلاقي ، بدافع إنساني ، ممنوع أن نعالج قضية خلافية الآن ، والله يمكن أن ندعو إلى الله مئة عام بالمتفق عليه دون أن تثير حساسية .

التعاون أساس أي عمل لأن الفردية القاتلة تعيق أي تقدم :

نحن الآن نحتاج إلى تعاون ، نحتاج إلى ثقافة التعاون ، ثقافة الانتماء إلى المجموع ، ثقافة فريق العمل.

مرة قال لي صديق سافر إلى هولندا : قرأ إعلاناً عن وظيفة ، لفت نظره بند طبعاً السن والشهادات كلها معروفة مألوفة ، أن يصلح للعمل كفريق (ضمن فريق) نحن مفهوم فريق العمل غائب عنا ، مفهوم الانتماء للمجموع غائب عنا ، مفهوم ترشيد الاستهلاك غائب عنا ، مفهوم العمل المؤسساتي غائب عنا ، هذه كلها مفهومات أسباب قوة أعدائنا ، أعداؤنا لعب أطفالهم أساسها التعاون ، ألعاب كلها تحتاج إلى خمسة أطفال ، نحن عندنا فردية قاتلة ، الفردية القاتلة تعيق أي تقدم .

فنحن ما لم ننظر إلى الحقيقة المرة المؤلمة فهي عندي أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

الارتقاء بالقوة الإسلامية و العمل كفريق واحد لنضم الطرف الآخر إلينا :

الدكتور وائل :

بارك الله فيك ، دكتور حقيقة وضعت إصبعك على كثير من أماكن الجروح التي نعاني منها في العالم الإسلامي اليوم ، قضية أن نلتقي إلى ما اتفقنا عليه ، وأن العالم الغربي الآن يحاربنا جملة فلابدّ من أن ننهض جملة كما تفضلت ، أيضاً الغرب ـ وهذه نقطة مهمة ـ يستطيع أن يغير قوته إلينا إن أقنعناه بما عندنا ، وأنت تعلم دكتور أن النظام الأمريكي قائم على قوة ضغط ، وما الذي يؤثر في العالم ، اليهودية الصهيونية هي التي تؤثر على العالم ، يمكن أن نحول الصوت الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية وقوة الضغط الإسلامية إذا توحدنا مع بعضنا في الشكل الصحيح ، واستطعنا أن نعمل فعلاً كفريق واحد ، وبالتالي قوة أمريكا ستكون قوة لنا ، وقوتنا هي قوة للعالم ، وأن نرتقي بالقوة الإسلامية إلى ما اتفقنا عليه ، وأن تؤازر بعضها البعض فيما اختلفت فيه ، وأن تؤجل أمر الخلافات إلى ما بعد هذه المراحل وكلها ستحل .

أولادنا الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا فعلينا الحفاظ عليهم :

الدكتور راتب :

أقول كلمة : لم يبقَ في أيدي المسلمين والحقيقة مرة من ورقة رابحة إلا أولادهم لذلك نحن ينبغي أن نواجه القنبلة الذَّرية بقنبلة الذُّرية .

الدكتور وائل :

بارك الله بكم دكتور ، الحديث معكم دكتور محمد راتب لا يمل ، وهذا الموضوع ساخن ، ويحتاج إلى تسليط الضوء عليه ، وأسأل الله عز وجل أن يجزيكم خير الجزاء ، وأن يمد في عمركم أنتم العلماء الذين تُحرس بكم حدود الله ، والحقيقة نحتاج إلى كل كلمة ، نحتاج إلى تشكيل فريق ، نحتاج إلى تشكيل أناس يحملون هذا الهم ، ويريدون أن يروجوا الحقيقة ، وهنا دكتور إذا كان المتشدد يجمع حوله مئة ومئتين ، وألف وألفين ، فالمعتدل هو الذي يعطي الحقيقة في الشهر الواحد ملايين الملايين لا بل في اليوم ملايين الخير .

الدكتور راتب :

وأنت صادق ، أن سيد الخلق وحبيب الحق ذهب إلى المدينة ، وفي المدينة وثنيون ، ومسلمون ، ونصارى ، ويهود ، وأنصار ، ومهاجرون قال : أهل يثرب أمة واحدة.

مفهوم المواطنة مفهوم حضاري ، مفهوم التعايش مفهوم حضاري ، نحن بحاجة لهذا .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - آفاق إسلامية - الدرس (2-4) : التوسط والاعتدال نهج الأمة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-05-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور وائل :
دكتور محمد راتب ، نحن نتكلم عن التوسط ، والاعتدال ، والوسطية ، وهي حقيقة كلمة بدأت تكثر في الوقت الحاضر، السؤال الذي يُطرح هل ديننا فعلاً هو دين وسط معتدل ؟ أم كلمة الوسطية ظهرت مقابل كلمات الإرهاب التي وصف غير المسلمين الإسلام بها ، ووصفوا المسلمون بأنهم متطرفون؟ هل هي ردة فعل و خاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر ؟

منهج الله تام و كامل :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
دكتور وائل جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، بادئ ذي بدء : الإسلام منتج سماوي ، وليس منتجاً أرضياً ، قابل للتعديل ، والتبديل ، والحذف ، والزيادة ، و التطويل ، والتقصير ، وما إلى ذلك ، منتج سماوي ، والإله كماله مطلق ، لذلك قال تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

(سورة المائدة)
فالإكمال نوعي ، والإتمام عددي ، أي أن مجموع القضايا التي عالجها الدين تام عدداً ، وأن طريقة المعالجة كاملة نوعاً ،

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

فالدين لأنه منتج سماوي ، لأنه وحي السماء ، وبشرح المعصوم من الأنبياء وهو النبي الكريم ، فهذا الدين لا يقبل الزيادة ، ولا الحذف ، ولا الإضافة ، ولا التعديل ، ولا التطوير ، ولا التغير .
لذلك تلخص كل هذه الكلمات بكلمة واحدة دين توقيفي ، الشيء الدقيق أن هذا الدين التوقيفي أمرنا الله أن نحافظ عليه ، أن نتبعه ، لا أن نضيف عليه .

التجديد هو أن أنزع عن الدين كل ما علق به مما ليس فيه :

لذلك الكلمات التي تطرح اليوم حول التجديد في الدين ، أنا لا أفهم التجديد إلا بالتعريف التالي ، أن أنزع عن الدين كل ما علق به مما ليس فيه ، إن صح أن هناك تجديداً بالدين فهو أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، ولكن الذي حدث أن بعضاً من المسلمين في وقت ما اهتموا بالنصوص ، وبالأحكام الفقهية ، وأهملوا الجانب الأساسي في الديني وهو التزكية ، ومعرفة الله ، والإقبال عليه ، والتخلق بالأخلاق النبوية ، والعمل والبذل ، والتضحية ، لتحقيق المقاصد الكبرى للشريعة ، بقوا في النصوص ، وفي الأحكام الفقهية ، فظهر كرد فعل على هذا التطرف أناس اهتموا بتطهير القلب ، وتزكية النفس ، وأهملوا العلم الشرعي فوقعوا في تطرف آخر .

فالذي أراه أن كل تطرف قاد إلى تطرف ، ثم حينما جاء هؤلاء الذين اهتموا بالقلب ـ وكان العلماء يسمون علماء القلوب ـ واهتموا بالصلة بالله ، وأهملوا الشرع ، وقعوا في شطحات لا تحتمل ، فظهر المتشددون الذين اعتمدوا الكتاب والسنة دون أية زيادة ، فكما ترى أن كل تطرف قاد إلى تطرف ، فعندما أهمل المسلمون دينهم جاء العلمانيون ليعتنوا بالبلاد ، وإنشاء السدود ، واستصلاح الأراضي ، وتأمين فرص عمل .

الإسلام منهج كامل متوازن يجمع بين الدنيا والآخرة :

الذي أراه أن هناك إسلاماً فقط هو الإسلام الذي جاء به النبي العدنان ، منهج كامل متوازن ، يجمع بين الدنيا والآخرة ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين المادة والروح ، ويبدأ من فراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية .

لكن على كلٍ : عندما أردنا أن ننفي عن الإسلام إغراقه في الجماليات ، وتركه للأساسيات ، أردنا أن نسمي هذه الحركة بالمنهج الوسطي المعتدل ، فكأن التطرف السابق تارةً إلى النص وإهمالاً للروح ، وتارةً إلى الروح وإهمالاً للنص ، وتارةً إلى الدنيا المتوازنة مع الآخرة هذه التطورات دعتنا أو فرضت علينا أن نقول : إسلام وسطي ، إسلام معتدل ، كي ننفي عنه كل تطرف .

الدكتور وائل :

لكن أليس الإسلام وسطي في الأصل ؟ .

الإسلام وسطي معتدل و متوازن يجمع بين كل العوامل والظروف :

الدكتور راتب :

هو من عند الخالق .

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

هو الخبير بسعادتنا ، هو الخبير في طرق سلامتنا وسعادتنا ، هو الخبير بما يصلحنا ، هو الخبير في حجم العبادات ، هناك من يخترع عبادات لا أصل لها ، فيقع الإنسان في حرج كبير ، فأنا أرى أن أصل الإسلام وسطي ، معتدل ، متوازن ، يجمع بين كل العوامل والظروف .

الدكتور وائل :

ذكرت دكتور ، أن التجديد هو أن ننزع عن الإسلام ما ليس منه ، هل هذا الكلام يعني أننا لا نطور ، أين الموقع الثابت والمتغير في الإسلام ؟.

في القرآن و السنة نصوص ظنية الدلالة و أخرى قطعية الدلالة :

الدكتور راتب :

دكتور وائل جزاك الله خيراً ، أنا أتصور أن في الإسلام ثوابت ، وفي الإنسان ثوابت ، وفيه متغيرات، الإنسان الذي يعيش الآن في المدينة لو أعطيته كيس قمح ماذا يفعل به ؟ عبء عليه ، أين سيغسله ؟ أين سيطحنه ؟ أين سيخبزه ؟ شيء فوق طاقته ، أعطِ هذا الكيس لإنسان في القرية ، يأكل منه خبزاً طوال العام .

فلذلك هناك بيئات مختلفة ، بيئات مدنية ، بيئات ريفية ، بيئات غنية ، بيئات فقيرة ، هناك اختلاف في البيئات ، في التصورات ، في الثقافات ، ففي الإنسان جانب متغير هذا الجانب المتغير غطاه الإله العظيم بنصوص ظنية الدلالة ، تحتمل معان كثيرة ، والله أراد كل هذه المعاني .

الدكتور وائل :

إذاً مقصود أن تكون هناك نصوص ظنية الدلالة ؟.

الدكتور راتب :

طبعاً هناك نصوص ظنية الدلالة ، وكان من الممكن أن تكون جميع نصوص القرآن الكريم قطعية الدلالة ، وكذلك نصوص السنة .

الإله العظيم أراد من النص الظني الدلالة كل المعاني المحتملة مراعاة للظروف المتبدلة:

أما :

(وَآَتُوا الزَّكَاةَ)

(سورة البقرة الآية : 43)

يا ترى الزكاة نقداً أم عيناً ؟ بحسب البيئة ، بالمدينة أعطيه مالاً .

الدكتور وائل :

لكن كمبدأ ؟.

الدكتور راتب :

الزكاة كأصل ثابتة ، أما طريقة أدائها نقداً أو عيناً هذه تفرضها البيئة ، وتفرضها النصوص الظنية التي تحتمل كل المعاني ، أما أنا كإنسان حينما أنطق بنص ظني أقصد معنى واحداً ، لكن من ضعفي باللغة جاءت العبارة فضفاضة ، مثلاً :

أنا حينما أقول لإنسان أعطِ زيداً 1500 درهم ، هذا النص قطعي الدلالة ، لا يحتاج لا إلى تفسير ، ولا إلى شرح ، ولا إلى تحليل ، ولا إلى فقيه ، ولا إلى مجتهد ، واضح ، أما إذا قلت أعطِ فلاناً ألف درهم ونصفه ، يا ترى الهاء على من تعود ؟ يا ترى 1500 أم ألف ونصف درهم ؟.

هذا النص ظني الدلالة .

كل نص قطعي الدلالة يغطي الثوابت وكل نص ظني الدلالة يغطي المتغيرات :

أنا أرى أنه إذا رأينا في القرآن الكريم نصاً ظني الدلالة فمعنى ذلك أن الإله العظيم أراد من هذا النص الظني الدلالة كل المعاني المحتملة مراعاة للظروف المتبدلة والمتغيرة في حياة الإنسان ، أما حينما قال:

(أَقِيمُوا الصَّلَاةَ)

(سورة الأنعام الآية : 72)

قطعي الدلالة .

(وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)

(سورة الحجرات الآية : 12)

قطعي الدلالة ، فكل أمر وكل نهي قطعي الدلالة هذا يغطي الثوابت في الإنسان ، فأي نص قطعي الدلالة يغطي الثوابت ، لا يتبدل ، ولا يتغير ، ولا يعدل ، ولا يطور ، ولا يحذف ، وكل نص ظني

الدلالة يغطي المتغيرات ، فكأن الله سبحانه وتعالى لحكة بالغةٍ بالغةٍ بالغة أراد من النص ظني الدلالة أن يكون هناك مجتهدون .

الله عز وجل لكرامة الإنسان عنده منحه بعض صفاته :

بل إن الله عز وجل لكرامة الإنسان عنده منحه بعض صفاته ، هذا قد نفهمه من قول النبي الكريم :

((إن الله خَلَقَ آدَمَ على صورَتِهِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

الدكتور وائل :

مع الخلاف بين المفسرين عليها .

الدكتور راتب :

فالله عز وجل حينما سمح للإنسان أن يجتهد من خلال نص ظني الدلالة ، فكأنه أعطاه صفة المشرع أحياناً ، وقد قبل الله أن نتعبده باجتهاد فقهائنا ، هذه واحدة .

الله عز وجل فرد ، والإنسان أعطاه فردية ، فله قزحية عين لا تشبه إنساناً آخر ، له بصمة يد ، له رائحة جلد ، له نبرة صوت ، له زمرة نسيجية ، له زمرة لنطفته لا تتغير ثابتة وخاصة بكل إنسان ، الله أعطاه صفة الفردية ، أعطاه صفة الإبداع عن طريق الجينات، فكأن الله سمح للإنسان المخلوق الأول أن يشرع من خلال نص ظني الدلالة ، وسمح له أن يبتدع من خلال الجينات ، وسمح له أن يكون فرداً ، وسمح له أن يكون ذا إرادة من خلال الحرية التي أعطاه إياها.

الدكتور وائل :

مع أنه :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

(سورة الشورى الآية : 11)

الدكتور راتب :

فهذا تكريم للإنسان .

الابتداع في الدنيا و الاتباع في الدين :

إذاً الإسلام في النصوص قطعية الدلالة يغطي الجانب الثابت في الإنسان ، ومن خلال النصوص الظنية الدلالة يغطي الجانب المتغير بالإنسان .

إذاً الإسلام منتج سماوي توقيفي ، يؤكد قوله تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)

الإكمال نوعي ، والإتمام عددي ، لا يضاف عليه ، ولا يحذف منه ، وقد أمرنا الله أن نتبع لا أن نبتدع، بل أمرنا أن نبتدع في دنيانا ، في الدنيا نصطلح الأراضي، نستخرج الثروات ، نحل مشكلة الشباب ، نؤمن بيوت سكنية ، فرص عمل ، فأنا مكلف أن أبتدع في الدنيا ، وأن أعمر الأرض ، بينما أن مكلف أن أقلد في الدين لأنه منتج إلهي سماوي هذا هو الإسلام .

الدكتور وائل :

فضيلة الدكتور الإسلام يجمع بين كونه إنسانياً وبين كونه واقعياً ومثالياً ، وأيضاً يجمع بين الشمولية الربانية العالمية ، قضايا كثيرة يجمعها الإسلام ، وتشعر أنه لم يغرق في كون الإسلام مثالياً ، لم يرفعه ليصبح الإنسان ملاكاً ، في الوقت ذاته لم ينظر إليه على أنه شهواني ، ولم ينظر كما نظرت إليه بعض البيئات الأخرى ، إنه كشهوات الحيوانات وغيرها ، ولكن استطاع أن يجمع بين هذه القضايا ، ليكون الإسلام وسطياً ، ومعتدلاً ضمن هذا الاعتدال ، كيف استطاع الإسلام أن يجمع بين كل هذه الخصائص عند الإنسان وأن يحافظ في الوقت ذاته على أنه هداية ورحمة للعالمين ؟.

عظمة الإسلام أن التشريع من عند الله تعالى :

الدكتور راتب :

دكتور وائل جزاك الله خيراً ، أنت ذكرت بأول كلمتك مجموعة كلمات ، أن الإسلام رباني ، والإسلام إنساني ، والإسلام رحماني ، كلمات رائعة لو وقفنا عندها قليلاً ؛ الإسلام رباني ، هذا الدين دين الله ، أي إنسان إذا شرع ينتفع بتشريعه ، تنشأ أحقاد ، عظمة الإسلام أن التشريع من عند الله ، وأننا أمام هذا التشريع سواء ، بينما إن كان المشرع إنساناً في الأعم الأغلب سيشرع لمصلحته ، وسينشأ له خصوم .

لذلك في المنهج الأرضي واضع القانون ذكي ، والمواطن أذكى ، وهي معركة بين واضع القانون وبين الإنسان ، أي نحن أردنا أن نحدد السرعة في أمريكا ، وضعنا أجهزة تلتقط السرعات الزائدة ، فصنع الإنسان جهازاً يكشف هذا الجهاز ، الآن الدولة في صدد صناعة جهاز يكشف جهاز السيارات ، إذاً هي معركة لا تنتهي ، بين واضع القانون وبين منفذ القانون .

ولكن حينما أمرنا الله بالصيام ، ويكون الإنسان في بيته وحده ، وأمامه صنبور ماء بارد ، ويكاد يموت من العطش ، هل يمكن أن يضع في فمه قطرة ماء ؟ هذا هو التشريع الإلهي ، لو أن قانوناً فرض الصيام على الأمة ، كم إنسان يصوم ؟ لا أحد يلتزم ، يجب أن نعلم أن الدين له أثر في المجتمع

كبير جداً ، وحينما نعلم أن لهذا الدين هذا الأثر نستخدم الدين كمهج رباني لتطوير حياتنا .

الدكتور وائل :

ألا يساهم هذا في حل مشكلات المجتمع أيضاً ؟ ألا يساهم أيضاً في تطبيق القانون وهو أدعى إلى الإلزام ؟.

الوازع الداخلي و الرادع الخارجي :

الدكتور راتب :

طبعاً ، عندما سيدنا ابن عمر امتحن راعياً ، قال له : " بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له : ليست لي، قال له : قل لصاحبها ماتت ، قال له : والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده لصادق أمين ، ولكن أين الله ؟" .

عندما قطعت الكهرباء بمدينة في أمريكا ، ارتكبت مئتا ألف سرقة في ليلة واحدة، كلفتها ثلاثين ملياراً، فالاستقامة هناك إلكترونية وليست دينية .

فنحن حينما نؤمن بهذا الدين يكون الوازع الداخلي ، وحينما نطبق القانون يكون الرادع الخارجي ، وفرق كبير بين الوازع والرادع ، الوازع شيء ينبع من أعماق النفس ، لذلك قال تعالى :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

نهياً ذاتياً :

(عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

فلذلك الإسلام رباني ، من أصل سماوي ، وينتهي إلى الله عز وجل ، ما من دعاء جامع مانع موجز بكلمتين كهذا الدعاء :

((اللهم أنا بك وإليك))

الدكتور وائل :

ألا ترى سماحة الدكتور أن الالتزام لتربية الناس وفقاً لمنظومة أن الإسلام رباني، وأنه متوازن ، نحن نتعلم ونعلمها بطريقة تقليدية ، الإسلام يجمع كذا ، الواقعية المرجعية ، المثالية ، الربانية ، الشمول ، لو أنها أصبحت منهجاً للأمة أليست كبيرة بأن تحل مشكلات الأمن في داخل المجتمع ؟ أليس الشيء الذي يحقق الأمن للمجتمعات هو الإسلام بالتزامه بهذه الطريقة ؟.

الإسلام إنساني يصلح لكل زمان ومكان وينتفع به كل إنسان :

الدكتور راتب :

الإسلام الآن إنساني يصلح لكل زمان ومكان ، وينتفع به كل إنسان ، بل إن الإسلام الإنساني منهج موضوعي لو طبقه الملحد لقطف ثماره ، أنا أرى أن كل إيجابيات العالم الغربي التي نعجب بها هي إسلامية ، لأن أصحابها حكموا عقولهم ، ففعلوا شيئاً عاد عليهم بالربح الكبير .

أنا أقول : أكثر إيجابيات العالم الغربي إسلامية لا لأنهم يعبدون الله ، بل يعبدون الدولار من دون الله ، إيجابياتهم إسلامية ، فالإسلام إنساني .

مثلاً : حينما أعتني بشعبي عناية تفوق حدّ الخيال كالعالم الغربي ، وحينما أقصد المدن والقرى من أجل حجة غير صحيحة ، حينما أنهب الثروات من العالم الثالث ، حينما أقهر شباب العالم الثالث ، أنا ماذا فعلت ؟ أنا لست إنسانياً ، أنا كنت مهتماً بمجتمعي فقط ، عظمة هذا الدين أنه إنساني ، وهو صالح لكل مكان وزمان ، وصالح لكل إنسان ، وينتفع به كل إنسان ، فلو طبقنا هذا المنهج لانتفع به الجميع ، والنبي الكريم يقول :

((من غش فليس منا))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

ما قال من غشنا ، في من غشنا ، لكن الأوسع :

((من غش فليس منا))

الدكتور وائل :

تصديق لما تفضل به الدكتور محمد راتب النابلسي ، وتصديق لهذا الكلام أن المدن المفتوحة ، والبلدان المفتوحة كانت في صدر الدور الإسلامي ، وقد وصل بها من الرقي الحضاري أضعاف أضعاف ما كان في مراكز الخلافة الإسلامي ، ولم تأتِ لنهب ثروات الشعوب ، والحملات الثقافية ، كانت موجودة مباشرة .

الإسلام إنساني و رباني و واقعي :

الدكتور راتب :

دكتور وائل ، الإسلام واقع بمعنى ، من تعريفات العلم البسيطة : أنها علاقة بين متغيرين ، مقطوع بصحتها ، تطابق الواقع عليها دليل ، لو ألغينا الدليل لكان تقويلاً ، لو ألغينا الواقع لكان جهلاً ، لو ألغينا القطع لكان وهماً ، أو ظناً ، أو شكاً ، فالعلم ليس وهماً ، ولا ظناً، ولا شكاً ، ولا تقليداً ، ولا مخالفاً

للواقع ، وهناك تعريف أقصر ؛ العلم هو : الوصف المطابق للواقع مع الدليل ، فالإسلام واقع بمعنى أنه ينطلق من الواقع .

لذلك عظمة الإسلام أنه قرّب المثالية من الواقع ، فصار هناك مصطلح اسمه الواقعية المثالية والمثالية الواقعية ، فنحن ننطلق من الواقع ، بل ونرفض الواقع السيئ .

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

(سورة الشورى)

بل ونبدل الواقع بأدوات واقعية ، الإسلام واقعي ينطلق من الواقع ، ويرفض الواقع السيئ ، ويبدل الواقع السيئ بأدوات واقعية ، فالإسلام إنساني ، والإسلام رباني ، والإسلام واقعي ، ولأنه كذلك كان دين النهوض بالأمم ، وصالح لكل مكان وزمان .

آيات الله الدالة على عظمته :

الآن مجلس الشيوخ الفرنسي كلف لجنة أن تدرس المصارف الإسلامية ، فكان الجواب أن هذه المصارف مع أنها تحرم الربا ، أي تحرم الفائدة الثابتة ، أي كل طرف شريك بالأرباح والخسائر التالية، وتحرم الزنا وما يدفع الزنا ، لكنها صالحة لكل مجتمع في أوربا ، وتنصح هذه الحكومة الفرنسية أن تكثر من إقامة البنوك الإسلامية على التراب الفرنسي .

الآن ما الذي يحدث ؟ الله قال :

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ)

(سورة فصلت الآية : 53)

أي انهيار النظام العالمي أحد أكبر آيات الله الدالة على عظمته ، لأن الإسلام سمح لنا أن نتاجر بالسلع والخدمات ، ولم يسمح لنا أن نتاجر بالثمن ، والنظام العالمي الغربي المالي قائم على المتاجرة بالثمن ، هذه المتاجرة بالثمن أودت بمصائب لا تنتهي ، وقد أقول لم تبدأ بعد ، هناك احتمال أن يكون هناك مليون وظيفة شاغرة في أمريكا في نهاية هذا العام ، شركات عملاقة تعلن إفلاسها ، لأن النظام بني على المتاجرة بالقيمة ، أكبر وأول بنك أفلس ، هذا عمره 155 سنة ، لأنه يشترك بالديون ، وعندنا في الدين ببساطة بالغة الدين لا يباع ، فتظهر آيات الله عز وجل ، تظهر في مجالات شتى ، لذلك من حين لآخر الله تعالى يرينا آياته ، هذه الآيات جرعة منعشة لنا .

أنا كنت أخشى أن يصاب المسلمون بثقافة اليأس ، أو ثقافة الإحباط ، أو ثقافة الطريق المسدود ، لكن حينما تأتي آيات الله تؤكد عظمة هذا الدين ، أو تنصر قلة قليلة على كثرة كثيرة ، هذا من شأنه أن يعطينا جرعة منعشة .

الدكتور وائل :

دكتور ، قضية التوسط والاعتدال ، ماذا نعني بكلمة وسطية ؟.

الدكتور راتب :

الوسطية :

أي هناك مادية مقيتة ، و روحانية حالمة ، فالإسلام بين المادية المقيتة و الروحانية الحالمة ، كل شيء مادي شيء لا يحتمل ، وكل روحاني لا يحتمل ، فكأن الإسلام جمع ببراعة عجيبة ، بأسلوب رائع جداً بين المادية المقيتة وبين الروحانية الحالمة .

فمثلاً أنت بحاجة إلى عمل ، عملك الذي ترتزق منه ، عملك أي مهنتك والأصح حرفتك ، العمل الذي ترتزق منه إذا كان في الأصل مشروعاً ، وسلكت به الطرق المشروعة ، وابتغيت منه كفاية نفسك ، وأهلك ، وخدمة الناس ، ولم يشغلك عن واجب ديني، ولا عن عمل صالح انقلب إلى عبادة ، ما هذا الجمع العجيب بين المادية ، بين حرفتك التي لا بد من أن تحترفها ، وبين عبادتك ، فجمع الإسلام بين المادية المقيتة ، وبين الروحية الحالمة بطريقة عجيبة ، صار أنا عملي اليومي ، دوامي الطويل هو عبادتي ، هذه واحدة .

يوجد شيء ثان : الإسلام العظيم المتوازن المتوسط جمع بين الواقعية المرة والمثالية الحالمة ، هناك واقع مر ، وهناك مثالية حالمة ، فحينما نقرأ القصص المعاصرة من كبار كتاب القصة نرى إنساناً ساقطاً ، إنساناً لئيماً ، إنساناً وصولياً ، إنساناً دنيئاً أحياناً ، إنساناً يبيع قيمه كلها بعرض من الدنيا قليل ، اقرأ تاريخ الصحابة ترى أناساً أبطالاً عاشوا ظرفاً سيئاً جداً ، النبي قال :

((أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاث من بين يوم وليلة ومالي طعام إلا ما واراه إبط بلال))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

فالصحابة عاشوا واقعاً مراً ، لكن باتصالهم بالله مزجوا بين هذا الواقع المر ، وبين إقبالهم على الله عز وجل .

لذلك قال بعض العارفين بالله : " لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف ".

الإنسان له فطرة والمنهج الإلهي متوافق مع الفطرة توافقاً مذهلاً :

الإنسان دكتور وائل ، الإنسان له فطرة ، والمنهج الإلهي متوافق مع الفطرة توافقاً مذهلاً ، فأي أمر أمرك الله به برمجك عليه ، ولفك عليه ، فطرك عليه ، جبلك عليه ، كلمات لمؤدى واحد ، فأنت حينما تطيع الله تلتقي مع نفسك ، تصطلح مع نفسك ، أو حينما تصطلح مع نفسك تلتقي مع منهج الله .

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

(سورة الروم الآية : 30)

ما هذه الروعة ؟ الإنسان ، قال تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

(سورة الشمس)

أي ألهمها ، حينما تفجر تعلم أنها فجرت ، من دون معلم ، معرفة ذاتية ، الآن الطائرات الحديثة جداً اللوحات أمام الطيار شافة بيضاء ، إذا في خطأ يظهر ، يظهر آلياً ، ما من حاجة أن تتابعه أنت .

سعادة الإنسان بطاعة الله و قلقه بمعصيته :

أنا أؤمن أن الإنسان مبرمج برمجة من أعلى مستوى بحيث لو أخطأ يحاك هذا في صدره ، وكره أن يطلع عليه الناس ، فكل إنسان عنده فطرة .

الدكتور وائل :

وهنا جاء الحديث .

الدكتور راتب :

((والإثم ما حَاكَ في الصّدْر))

[أخرجه مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان]

((والبر ما اطمأنت إليه النفس))

[أخرجه أحمد عن وابصة بن معبد]

ما الذي يسعدك ؟ أن تكون في طاعة الله ، ما الذي يقلقك ؟ أن تكون في معصيته، لذلك قال تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

أي ألهمها حينما تفجر أنها فجرت ، وحينما تتقي أنها اتقت ، فهذا موضوع الفطرة موضوع من أروع ما في الدين :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

فبين المادية المقيتة ، والمثالية الحالمة ، بين الواقع المر ، و بين المثل العليا ، هذا في جمع عجيب جداً، ونحن حينما نعود إلى حقيقة الإسلام نراه معتدلاً ، متوازناً ، وسطاً من طرفين ، من دون أي تكلم.

الدكتور وائل :

مجسات داخلية عند الإنسان تقوده إلى هذه .

الدكتور راتب :

في ثبات رتيب ، في تغير مضطرب ، أنا مرة كنت بأمريكا ، كنا بمؤتمر إسلامي يقول لي أحد المؤتمرين : هنا في أمريكا لا يوجد شيء ليس قابلاً للبحث والرفض ، لا يوجد شيء مقدس إطلاقاً ، أما نحن في ديننا ثوابت ، و متغيرات ، و عندنا أشياء قابلة للدراسة .

الأمن العقدي :

بالمناسبة دكتور وائل : الله عز وجل أعطانا تفسيراً عميقاً ، أو تصوراً ، أو عقيدة ، أو أسماء لمسمى واحد شمولي ، أقدم لك التفسير العميق والدقيق والمتناسب للكون والحياة والإنسان ، هذه حالة اسمها أمن عقدي ، نحن لا يوجد عندنا مفاجئات ، جميع التطورات التي تظهر لصالح لديننا ، من خمسين سنة لا يوجد حدث خطير ظهر بالعالم إلا أكد ديننا ، الاتحاد السوفيتي قبل أن ينهار حرم الخمر ، الآن النظام العالمي الجديد يقول مدير البنك الدولي : لقد انهار النظام المالي الغربي .

فنحن أي حدث قادم يقوي إيماننا وديننا ، أنا أذكر أن رئيس وزارة فرنسي انتحر، وأكثر من مئة صحافي كتبوا عن سبب الانتحار ، لا يوجد سبب ، من أرقى عوائل باريس ، ولم يقع في فضيحة مالية أو جنسية ، وانتحر ، اهتدى صحفي واحد من بين مئة صحفي إلى سبب انتحاره ـ هو انتحر في السبعين ، وكان ملحداً ـ اكتشف قبل أن ينتحر أن لهذا الكون إلهاً عظيماً ، احتقر نفسه كيف كان ملحداً لسبعين سنة ماضية .

أي حدث قادم يقوي إيماننا وديننا :

نحن لا يوجد بحياتنا إطلاقاً حدث يظهر في العالم ينقد قرآننا ، أو ينقد ديننا ، مع أن التطور العلمي من آدم إلى قبل خمسين سنة بكفة ، ومن خمسين سنة إلى الآن بكفة ثانية مع كل هذه التطورات .

مثلاً : هناك من يتوهم أن المنحرف أخلاقياً شاذ ، عنده جينات خاصة ، لكن أنت بإيمانك لا تقبل هذا الكلام ، لأن الله خلق بالإنسان جينات ثابتة يحاسبه بعد ذلك ؟ الإله عادل، كلينتون قبل أن تنتهي ولايته

أطلق قنبلة علمية اسمها الخارطة الجينية ، الخبر الذي لا أصدقه والذي سمعته قال : لا علاقة للجينات بالسلوك ، الانحراف خطأ ارتكبه الإنسان ، ثبت أبداً بحقيقة علمية .

كلام رب العالمين كلام ثابت ولن يظهر في مستقبل الأيام شيء يناقضه :

أنا أقول أنه يوجد عندنا حالة اسمها أمن عقدي ، لن يظهر في مستقبل الأيام شيء يناقض ديننا ، أنت تقرأ القرآن :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً)

(سورة النحل الآية : 8)

أنت راكب طائرة 777 ، مقعد يصبح سريراً ، أمامك كل الصحف والمجلات ، عشرون أو ثلاثون قناة إخبارية أمامك ، الطعام والشراب ، بأربعين ألف قدم ، سرعة ألف كم بالساعة ، تقرأ

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً)

إنه كلام الله عز وجل :

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة النحل)

لا يوجد مشكلة إطلاقاً .

إعجاز القرآن الكريم :

الدكتور راتب :

رائد الفضاء صعد إلى القمر ، طبقة الهواء 65 ألف كم ، فيرى من خلال النافذة كل شيء ، فجأة صار الجو ظلاماً دامساً ، صاح بأعلى صوته : لقد أصبحنا عمياً ، ما الذي حصل ؟ ضمن طبقة الهواء هناك ظاهرة فيزيائية اسمها انتثار الضوء ، أما أشعة الشمس حينما تسلط على ذرات الهواء ، ذرات الهواء تعكسها على ذرات أخرى ، يوجد بأرضنا مكان فيه أشعة الشمس ، ومكان فيه ضوء الشمس ، هذه الظاهرة اسمها انتثار الضوء ، فعندما تجاوز رواد الفضاء طبقة الهواء ، انعدم الانتثار ، وأصبح الظلام دامساً ، فصاح الرائد بأعلى صوته : لقد أصبحنا عمياً ، يقول القرآن الكريم :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مسحورون)

(سورة الحجر)

وكالة ناسا الفضائية ، وهي أكبر وكالة فضائية ، تعرض في موقعها في الانترنيت صورة لوردة جورية جميلة جداً ، وريقاتها حمراء الداكنة ، مع وريقات خضراء زاهية ، مع كأس أزرق في الوسط، يكتب تحت هذه الصورة ، لو تأملتها قبل أن تقرأ ما تحتها لا تشك لثانية واحدة أنها وردة جورية ، كتب تحتها : صورة انفجار نجم في الفضاء اسمه عين القط يبعد ثلاثة آلاف سنة ضوئية عن أرضنا .

الأنبياء السابقون معجزاتهم حسية و معجزة النبي الكريم معجزة مستمرة :

بالمناسبة : بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية ، لو أن هناك مركبة أرضية ، و يوجد طريق لهذا النجم لاحتجنا لخمسين مليون عام لنصل إليه ، و هناك ثلاثة آلاف ، و نجم آخر 24 مليار سنة ضوئية .

فلذلك القصة هنا أن هذا النجم الذي انفجر فشكل وردة ، تفتح القرآن :

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

(سورة الرحمن)

دكتور وائل ، الأنبياء السابقون معجزاتهم حسية ، لأنهم لأقوامهم فقط ، والمعجزة الحسية كتألق عود الثقاب ، تألقت مرة وانطفأت ، فأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه ، أما نبينا الكريم لكل الأمم والشعوب ، لكل الأزمان والأعصار ، للناس أجمعين رحمة للعالمين ، فهو آخر الأنبياء وخاتمهم ، وكتابه خاتم الكتب ، فينبغي أن تكون معجزته علمية .

الدكتور وائل :

من هنا ترى وأنت أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أن لهذا السبب لم يفسر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم .

الحكمة من عدم تفسير النبي الكريم بعض آيات القرآن الكريم :

الدكتور راتب :

صدق دكتور وائل ، أنا مأخوذ بهذا الموقف الحكيم ، لعله من توجيه الله له ، أو من اجتهاده ، لم يفسر لو أنه فسر بأي أمر تعبدي ، له أربعمئة حديث ، أما ولا حديث حول ألف و ثلاثمئة آية بالقرآن ، قال بعض العلماء : " لو أنه فسرها تفسيراً مبسطاً لأنكرنا عليه ، لو فسرها تفسيراً يتناسب مع ما أراه الله من آياته الكبرى لأنكر عليه أصحابه ، تركت للعلم ، فكلما تقدم العلم كشف عن جانب من هذه الآيات المعجزة ".

الدكتور وائل :

من هنا بقي صالحاً لكل مكان وزمان وخالداً إلى اليوم .

الدكتور راتب :

لذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه : " في القرآن آيات لما تفسر بعد ".

الدكتور وائل :

بارك الله بكم ، دكتور لماذا اختار الله سبحانه وتعالى كلمة الوسطية لتكون شعاراً لهذه الأمة ، هل لأن الوسط هو القوة ، أشعة الشمس والشمس تكون في أوجها عندما تكون في الوسط ، الإنسان يكون في أقوى حالاته عندما يكون شاباً وهو في الوسط ، لماذا اختار الله عز وجل هذه الكلمة لهذه الأمة ، هل هي لأنها ستكون أقوى الأمم ؟.

الدين أداة جمع لا أداة تفريق و أداة قوة لا أداة ضعف :

الدكتور راتب :

أنا أرى أن لهذه الكلمة معانٍ كثيرة ، كلها مقبولة ، أحد معانيها العدل ، وهناك كلمة قالها بعض العلماء: "إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة " فلذلك العدل أصل في حياتنا ، فإذا كنا بوضع فيه عدل كان هذا الدين رحمة للأمة ، واجتمعت عليه ، الدين أداة جمع لا أداة تفريق ، الدين أداة قوة لكن قوتنا في العزم ، لذلك :

((يا عباس عم رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد ، أنقذا نفسيكما من النار ، أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً))

[مسلم عن أبي هريرة]

((من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه))

[أحمد عن أبي هريرة]

((لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم))

[أحمد عن أبي هريرة]

الشهيد الذي وضع روحه على كفه ودفع أثمن شيء يملكه ، حياته .

((يُغْفَرُ للشهيد كلُّ ذَنْب إلا الدَّيْنَ))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة ، بينما حقوق الله مبنية على المسامحة ، هذا الذي سأل النبي عنه وقد عاصره في الغزوات : أعليه دين ؟ قالوا : نعم ، قال : صلوا على صاحبكم ، فقال أحدهم :

عليّ دينه ، فصلى عليه ، سأله في اليوم الثاني : أأديت الدين ؟ قال : لا ، سأله في اليوم الثالث : أأديت الدين ؟ قال : لا ، في اليوم الرابع قال : أأديت الدين ؟ قال : نعم ، قال : الآن ابترد جلده .

ديننا دين العدل والعدل أصل في الحياة :

ديننا دين العدل ، والعدل أصل في الحياة ، فلذلك النبي الكريم لو أنك انتزعت من فمه الشريف فتوى لصالحك ولم تكن محقاً بها لن تنجو من عذاب الله ، الدليل قول النبي الشريف :

((ولَعَلَّ بعضكم أن يكونَ أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بعض ، فأقضي نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بحَقِّ أخيه ، فإنما أقطعُ له قطعة من النَّار))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أم سلمة أم المؤمنين]

فالوسطية تعني العدل ، الوسطية تعني أن تكون بين طرفين ، التهور طرف والجبن طرف ، الشجاعة وسط ، الإنفاق المعتدل وسط ، الإسراف طرف ، والبخل طرف ، فالوسطية تعني الاعتدال أي أن تكون بين طرفين ، وتعني العدل .

الدكتور وائل :

وأفضل ما في الشيء وسطه .

الوسطية عدل و قوة و فضيلة :

الدكتور راتب :

كحبة العقد الوسطى ، أكبر حبة بالعقد توضع في الوسط ، فالوسطية عدل ، والوسطية قوة ، والوسطية فضيلة ، وهي الأولى بين أخواتها .

الدكتور وائل :

رئيس القوم أوسطهم .

الدكتور راتب :

أما المعنى الدقيقة جداً :

(لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)

(سورة البقرة الآية : 143)

أي اختارنا الله لنكون وسطاء بينه وبين خلقه ، هذه مهمة الدعوة ، نهيئ الدور القيادي ، ونسأل الله جل جلاله أن يعيد لنا هذا المجد مجد أن نقود بقية الأمم ، إن الصحابة الكرام قبل الإسلام كانوا رعاة للغنم ،

فلما عرفوا الله ، واستقاموا على أمره ، جعلهم الله قادة للأمم ، هذا الدور الذي يليق بنا كأمم ، كأمة اختارنا الله لنكون وسطاء بيننا وبين خلقه .

الدكتور وائل :

(لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)

أي أنكم أنتم مسؤولون عن الأرض أيضاً ؟ وهذا الأمر يقتضي إذا كنتم وسطاً أنكم عادلون ، لأن العدل أساس الملك ؟.

الخُلق الذي جاء به النبي وعلمه أصحابه هو سبب انتشار الإسلام بهذه السرعة والاتساع:

الدكتور راتب :

أنا أقول كلمة دكتور وائل : أقسم بالله لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن لما خرج من مكة المكرمة ، أضرب لك مثلاً :

صحابي جليل أثناء الهجرة ألقي القبض عليه ، فقال للذين ألقوا القض عليه : عهد الله إن أطلقتموني لن أحاربكم ، فأطلقوه ، حدث النبي بهذا فسر به النبي ، بعد سنة أو سنتين كانت غزوة فانخرط فيها ، قال له : ارجع ، ألم تعاهدهم ؟.

الخُلق الذي جاء به النبي ، وعلمه أصحابه هو سبب انتشار الإسلام بهذه السرعة ، والاتساع .

لذلك سمعت كلمة لأحد كبار العلماء الغربيين قال فيها : لو طبق المسلمون اليوم الأخلاق التي عُرفت عن الصحابة لانتشر الإسلام ثانية في نفس السرعة ، المشكلة أخلاق ، الطرف الآخر لا تعنيه عبادتنا ، تعنيه أخلاقنا .

لذلك الله عز وجل حينما وصف النبي الكريم قال :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

[أخرجه البزار عن أبي هريرة]

الدكتور وائل : دكتور ، الوسطية لها ، أو التوسط له مظاهر متعددة في الإسلام ، منها في الجانب العقدي ، منها في جانب المعاملات ، منها في جانب العبادات ، في الجانب العقدي كيف كان الإسلام متوسطاً ؟ كيف اعتدل الإسلام في الجانب العقائدي ؟.

كل شيء وقع أراده الله وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة :

الدكتور راتب :

أولاً : أنت حينما ترى أن كل واحد قوي في الأرض يفعل ما يريد هذا تطرف ، أين الإله ؟ أين عدله ؟ أين إشرافه على الكون ؟ أين ألوهيته ؟ فلذلك لا يعقل ولا يقبل أن يقع في الكون شيء لا يعلم الله به ، أو لم يريده ، من هنا أقول هذه المقولة الدقيقة : كل شيء وقع أراده الله ، بمعنى سمح به ، وقد قال العلماء : " أراد ولم يأمر ، أراد ولم يرضَ ، وكل شيء أراده الله وقع" ، أما الدقة البالغة : وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق .

إذاً الوسطية بالاعتقاد أن الأمر بيد الله ، والإنسان يحاسب على عمله ، كيف نجمع بينهما ؟

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

(سورة النور الآية : 11)

الأمر بيد الله عز وجل سمح به ، حديث الإفك سمح به ، وقد يتوهم المتوهم أن الذي روجه ليس آثماً ، قال :

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(سورة النور)

هو التوسط ، أن الله أكد لك أن الأمر بيده ولن يعفيك من المسؤولية .

العقيدة وسط بين التوحيد المجرد وبين المسؤولية المناطة بالإنسان :

هل التوسط في إنسان يوحد بسذاجة يتوهم أن التوحيد يعفيه من المسؤولية ، وفي إنسان يعتقد أن الله لا علاقة له بالكون مع أن الله عز وجل من آيات التوحيد :

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)

(سورة الزخرف الآية : 84)

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

(سورة الكهف)

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود الآية : 123)

آيات التوحيد واضحة جداً ، وآيات المسؤولية واضحة جداً ، فإما أن يحاسب الإنسان ويظن أن الإله ليس له علاقة بما يجري ، أو الأمر كله بيده ونحن لا علاقة لنا بشيء ، كلاهما في تطرف ، فالعقيدة التوحيد في وسط بين التوحيد المجرد ، وبين المسؤولية المناطة بالإنسان .

الدكتور وائل :

حتى في قضية النظر إلى الكون ، بين أولئك الذي اعتبروا أن الوجود هو أساس كل شيء ، وبين أولئك الذي فنوا أنفسهم ، وزهدوا في هذا الكون ، كيف إذا وطد الإسلام هذه العلاقة مثلاً ؟

أي شيء خلقه الله له وظيفتان ؛ وظيفة نفعية ووظيفة إرشادية :

الدكتور راتب :

أنا أقول منطلقاً من هذه الفكرة : حينما رأى النبي الهلال قال :

((هلالُ خَيْرٍ ورُشْدٍ))

[أخرجه أبو داود عن مرسل قتادة]

كلام موجز ، لكنه يعني أن هذا الهلال ، وأي شيء آخر خلقه الله له وظيفتان ، وظيفة نفعية ، ووظيفة إرشادية ، أنا أرى أن العالم الغربي انتفع انتفاعاً لا حدود له من الوظيفة الأولى ، سخر كل الثروات لننتفع بها ، والمسلم يرى أن هذه الآيات تعرفه بالله ، فانتفع من الوظيفة الإرشادية ، لكن الوضع الوسطي أن تنتفع من كليهما ، يعني أن تستخدم هذا الكون لمعرفة الله ، وأن تستخدمه في حل مشكلات المجتمع ، أي استصلاح الأراضي ، إنشاء السدود هذا كله من أجل إنشاء المجتمع .

قلت في البداية : أن الله عز وجل يريدنا أن نبتدع في دنيانا ، وأن نحل مشكلاتنا وأن نتبع في ديننا ، لا العكس ، فالذي حصل قلدنا في دنيانا ، وابتدعنا في ديننا .

إذاً حتى في موضوع الكون هناك من ينتفع فيه فقط كالغربيين ، وهناك من يعرفه بالله فقط دون أن ينتفع به ، الوسط أن نتعرف إلى الله من خلاله ، وأن ننتفع به في حياتنا .

الدكتور وائل :

دكتور محمد راتب النابلسي ، كيف يمكننا أن نسقط التوسط والاعتدال على وقتنا الحاضر ؟ كيف يمكننا أن نسقطها على مناهجنا ؟ على تعليمنا ؟ أيضاً على ممارساتنا اليومية؟ كيف يمكن أن تصلح منهجاً وليست شعاراً ممزوجاً في بعض الحالات ؟.

ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء :

الدكتور راتب :

سُئل بعض الأدباء الشرقيين ، ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين ؟ قال : " نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم ، إحساسنا ملكنا ، وإحساسهم ملكهم ، والثقافة قاسم مشترك بيننا" ، بل

قال : "إن ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال ، وهل من المعقول إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ " .

هذا موقف متوسط ، أنا مثلاً في الحديث عن المقاطعة مع أمريكا أنا أؤمن أن الكومبيوترات ، والبرامج العلمية ، والموسوعات نأخذها ، هذه تقوينا ، أما المستهلكات لها ما يناسبها ، مطاعم مثلاً ، سيارات ، هناك أشياء تناسبها ، أما في قضايا أنا آخذها شئت أم أبيت من أجل قوتنا .

فلذلك التوسط فيما نأخذ وفيما ندع ، نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم ، لأن ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال ، وهل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ لا ، لا نقاطع عسلها ، هذا الموقف المتوسط .

الدكتور وائل :

هل يمكن أن نقول بأن التعليم يمكن أن يؤخذ من الغرب ، ولكن التربية تؤخذ من بلادنا الإسلامية ؟

على كل مسلم أن يتشبث بقيمه الأخلاقية و يبتعد عن قيم الغرب :

الدكتور راتب :

دائماً وأبداً عندنا قيم ، وعندنا معلومات ، المعلومات قاسم مشترك ، ولا خلاف حول المعلومات ، الشمس والقمر والنجوم قوانين فيزياء لا يختلف عليها اثنان ، هذه شاملة ، أما القيم والمبادئ لنا قيمنا ، ولهم قيمهم ، هناك أشياء يفعلها الغربيون لا يمكن أن تصدقها .

نحن دكتور وائل ، على بقية أخلاق عالية جداً ، أنا أقول بقية ، أي عندنا بقية مروءة ، بقية غيرة ، بقية تواصل أسري .

مرة أحد رؤساء أمريكا قال : تهددنا أخطار خمسة ، فأنا قفز إلى ذهني قبل أن يتابع حديثه التجمع الأوربي ، اليابان ، الصين ، قال : شيوع المخدرات ، انهيار الأسرة ، الجريمة ، الإباحية ، هذه أخطار تهدد ، فنحن عندنا قيم .

وأنا أقول وأنا أعني ما أقول : إن الإنسان المعتدل الوسطي يعرف إيجابيات بلده، وأنا حينما أسافر كثيراً أكتشف إيجابيات بلدي ، عندنا تواصل أسري ، الأب محترم ، والأم محترمة .

مرة أخ سافر إلى باريس شاهد شاباً على نهر السن ، قال له : ما الذي يخطر في بالك ؟ قال له : أتمنى أن أقتل أبي ، قال له : لِمَ ؟ قال له : كنت أحب فتاةً فأخذها مني ، أنا أتصور أن الأب في بلادنا يبيع بيته في أرقى أحياء المدينة ليشتري أربعة بيوت في أطراف المدينة ليزوج أولاده ، والله عندنا بطولات لا يعلمها إلا الله ، وعندنا تماسك أسري .

مرة قال لي شخص من استراليا ، قال لي : بلغ أخواننا في الشام ، وأنا أقول الشام تعني : سوريا ، ولبنان ، والأردن ، وفلسطين ، قال لي : بلغ أخواننا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات استراليا ، نحن نعيش في بحبوحة كبيرة ، سألته لِمَ ؟ قال : أنت ابنك لك ، أما أنا ابني قد يكون ملحداً ، و قد يكون في أذنه حلقة ، ومعناها سيء جداً .

الدكتور وائل :

ماذا تعني ؟.

الدكتور راتب :

تعني الانحراف الأخلاقي ، وفي اليسرى حلقة ، معنى أسوأ ، وفي الأذنتين حلقتين أسوأ وأسوأ .

الدكتور وائل :

وضحها لنا دكتور .

الدكتور راتب :

الشذوذ ، الفاعل والمفعول ، فنحن بخير ، نحن على بقية مروءة ، على بقية تواصل أسري ، على بقية عطف ، الأب محترم ، الأم محترمة ، الجميع محترمون .

الدكتور وائل :

بما أنك فتحت هذا الموضوع دكتور ، نظرة الإسلام إلى المرأة ، كيف إذا أردنا أن نقارن بين نظرة الإسلام إلى المرأة ، وبين نظرة المجتمعات الأخرى إلى المرأة ، برؤية الدكتور محمد راتب النابلسي .

نظرة الإسلام إلى المرأة :

الدكتور راتب :

صدق دكتور وائل ، لا أرى منهجاً ربانياً رفع المرأة إلى الأوج كالإسلام ، لأن النبي الكريم عندما فتح مكة ، دُعي إلى أن يبيت في بيوتات كبرائها ، فقال : انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة ، وآثر إلى أن ينام إلى جانب قبرها ، وركز لواء النصر أمام قبرها ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر ، و كان يقول :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

و :

((أكرموا النساء ، فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ولا يغلبهن إلا لئيم))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، كان يقول :

((فإنهن المؤنسات الغاليات))

[الحاكم والطبراني عن عقبة بن عامر بسند ضعيف]

أنا أرى مثلاً بالقرآن : وائتمروا بينكم بالمعروف ، أي تأمرها وتأمرك ، تنصحها وتنصحك ، تأخذ بيدها وتأخذ بيدك ، استشار أم سلمة في الحديبية ، وأشارت عليه بالصواب ونفذ مشاورتها ، فالمرأة في أعلى مستوى ، والدليل :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

(سورة البقرة الآية : 228)

المساواة بين المرأة و الرجل في التكليف و التشريف و المسؤولية :

المرأة بالإسلام مساوية للرجل مساواة تامة في التكليف ، والتشريف ، والمسؤولية ، مكلفة كما هو مكلف ، مشرفة كما هو مشرف ، مسؤولة كما هو مسؤول ، ولكن حينما قال الله عز وجل :

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)

(سورة آل عمران الآية : 36)

أنا أقول : الخصائص الفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجسمية ، المرأة كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وخصائص الرجل الفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجسمية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، هذا معنى

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)

درسنا في الجامعة كتاب ثمانمئة صفحة ، مؤلفه عالم نفس كبير اسمه "بياجيه" هذا الكتاب عن الفرق بين الذكور والإناث ، صدق دكتور وائل ، ما رأيت عنواناً يصلح لهذا الكتاب كقوله تعالى

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)

هذا تفرقة خصائص لا تفرقة قيم .

الدكتور وائل :

هذا الخطاب الإسلامي منذ مدة لم يتنبه إلى هذه النقطة ، لماذا ترك الأمر دون أن يوضح لهذا الشيء؟.

الدكتور راتب :

أنا سأوضح لما لم يخطر في بالي أحياناً ، لأن التصرفات السيئة من الأزواج الجهلة سببت مشكلة كبيرة ، زوج جاهل لم يطبق أحكام الدين تطبيقاً حقيقياً ، تسرع في أشياء كثيرة فسبب مشكلة نحن كنا في غنى عنها ، لو كان الأزواج على علم أو على دراية بحقائق هذا الدين ، امرأة واحدة إن رأت

الهلال يمكن أن يصوم مليار وخمسمئة مليون مسلم بشهادتها ، و لكن أحياناً هناك مواقف معادية للدين، فهناك أشياء و مغالطات ، تستخدم للانتقاص من الدين .

الدكتور وائل :

لماذا لا نبني دكتور محمد راتب النابلسي أرضية مشتركة لنقل للغرب أنه اليوم مدعو إلى نظام نتفاهم به سوياً على أساس كلمات سواء ، على أساس قضية المرأة ، أم أن هناك عوائق أيضاً وعوامل ، وهناك عوامل لتهميش المسلمين ، وعدم إظهار هذه الحقائق عن دينهم وعن المرأة ؟

على الجاليات الإسلامية أن تطبق منهج الله في بلاد الغرب ليتغير موقف الغرب منا :

الدكتور راتب :

أنا بخبرتي المتواضعة سافرت إلى ألمانيا وإلى الصين ، بوفد رسمي ، وجدت أن مخاطبة هؤلاء أجدى ألف مرة من مخاطبة المسلمين في بلاد الغرب ، هؤلاء نحن وإياهم طرف واحد ، أما هذا طرف آخر ، هذا خاضع للدعاية الصهيونية السيئة ، هذا عنده تصورات عن المسلمين خطيرة جداً ، أنا أمضيت عشرة أيام في ألمانيا كذلك في الصين ، كانت لقاءاتنا مع القيادات الدينية المسيحية ، والسياسية، والأكاديمية ، فشعرت أن واجب الدعاة إلى الله أن ينطلقوا إلى الطرف الآخر ، ليعرفوه بهذا الإسلام العظيم ، الطرف الآخر منطقي ، لكنه خاضع لدعايات صهيونية خطيرة جداً ، فلو أن الدعاة توجهوا إلى هذه البلاد ، والتقوا مع قياداتها الدينية والأكاديمية ، والسياسية ، وبينوا عظمة هذا الإسلام لكنا في حال غير هذا الحال .

بل لو أن الجاليات الإسلامية فقط طبقت منهج الله في بلاد الغرب ، لكان موقف الغرب من المسلمين غير هذا الموقف ، لأن الغربي لا يمكن أن يقرأ كتاب فتح الباري ، ولا كتاب القرطبي ، هو يرى الإسلام من خلال هذا المسلم الذي قد يقدم تصريحاً كاذباً ، فأنا أقول : ما الذي حجب الإسلام عن الغرب ؟ المسلمون حجبوا دينهم عن الغرب ، كيف ؟ بسوء تصرفه ، الغربي غير مستعد أن يصل للدراسات العليا عند المسلمين ، يرى الإسلام من خلال هؤلاء المسلمين المقصرين أحياناً ، فنحن نريد أن نخاطب الغرب ، وأن نقيم مجتمعاً نقطف به ثمار الإسلام .

إن لم نتفوق في دنينا اليوم فلن يحترم ديننا أبداً :

بصراحة وإن كانت كلمة مؤلمة : إذا وجد عندنا عنوسة عالية فرضاً ، و بطالة عالية ، و أمية ، ونحن نستورد ولا نصدر ، هذه مقاييس حضارية الآن ، فإذا رأونا في هذا المستوى ربما عزفوا النظر عن

ديننا .

أنا لي كلمة لا أعرف مدى صحتها ، أقول : إن لم تتفوق في دنيك اليوم فلن يحترم دينك ، الغرب يؤمن بالقوة ، فإذا كنا أقوياء أصغى إلينا ، واستمع .

أنا أريد الآن أن نقلل من الكلام ، وأن نكثر العمل ، نحن حينما نقدم إنجازاً حضارياً كبيراً بالعالم الغربي عندئذٍ يصغي إلينا ، أنا هذا الذي أتمناه على المسلمين ، قضية أن تعيش وحدك مستحيل ، فأنا بهذا العصر مضطر أن أعيش مع العالم ، والعالم كله متواصل ، كان العالم خمس قارات ، صار قارة ، صار بلداً ، صار مدينة ، صار قرية ، صار بيتاً ، صار غرفة ، صار سطح مكتب ، الآن ما يجري في العالم تراه بعد ثانية ، فالعالم متواصل الآن ، نحن مكشوفون ، والآخر مكشوف أمامنا .

الدكتور وائل :

دكتور ، هل ترى أن الإنجاز الحضاري الذي يمكن أن يقدمه المسلمون اليوم يمكن أن نستغل الأزمة العالمية والانهيار العالمي لنقدم لهم بديلاً راقياً في النظام الإسلامي ؟

علينا ألا نعيش وحدنا بل لابدّ من أن نعيش مع بقية أنحاء العالم و نقنعه بالإسلام :

الدكتور راتب :

كنت مرة مندوب سورية في مؤتمر إسلامي في القاهرة ، هذا المؤتمر شعاره : " إنسانية الحضارة الإسلامية " ، أنا آخر مداخلة كانت لي ، قلت لهم : نحن سبعون دولة إسلامية وقد أنفقتم أموالاً طائلة حتى عقد هذا المؤتمر ، وهيأنا كلمات وتعبنا بها كثيراً ، وهي مؤصلة وألقيناها ، ولاقت قبولاً رائعاً ، وصفقوا لنا كثيراً ، ولكن ماذا فعلنا ؟ قلت لهم : أقسم بالله لم نفعل شيئاً ، لأننا جميعاً طرف واحد ، والطرف الآخر المعني بهذا الموضوع غائب عنا ، كنت أتمنى أن ننشئ محطة فضائية تخاطب الغرب بلغته ، وبوسائل إقناعه ، لكان هذا العمل أكثر جدوى ، أو لو دعوتم علماء الغرب إلى هذا المؤتمر ، والحقيقة في المؤتمر الثاني دعوا خمسة عشر عالماً غربياً تنفيذاً لهذه الوصية .

أنا أريد نحن الآن لا يمكن أن نعيش وحدنا ، لا بد من أن نعيش مع بقية أنحاء العالم، إذاً لا بدّ من مخاطبته ، لا بدّ من أن نخرج ، والعالم الغربي إقناعه ليس صعباً ، لكن يحتاج إلى مصداقية .

الدكتور وائل :

أريد أن أطوف على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ولك فكرة رائعة ، ورؤيا جميلة جداً في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قضية ذبح الشاة ، كيف أنها تذبح بطريقة معينة ، ما هو الإعجاز العلمي الذي يراه الدكتور محمد راتب النابلسي في هذا ؟.

توجيه النبي الكريم في ذبح الدابة :

الدكتور راتب :

الحقيقة النبي الكريم له توجيه في ذبح الدابة أن نقطع أوداجها فقط ، دون أن نقطع رأسها ، وأنا أقول : إن توجيهات النبي الكريم ليست من اجتهاده ، ولا من معطيات عصره ، ولا من ثقافة عصره ، ولا من خبرته ، إنما هي وحي يوحى :

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

(سورة النجم)

ثم أقول : ليس على وجه الأرض في حياة النبي ، ولا بعد موته بمئة عام ، ولا بمئتي عام ، ولا بخمسمئة عام ، ولا بألف عام ، ولا بألف وأربعمئة عام جهة علمية قادرة أن تفسد هذا التوجيه ، لا تقطعوا رأس الدابة ، اقطعوا أوداجها ، الآن تبين قبل عقدين من الزمن أن القلب يتلقى الأمر بالنبض منه ذاتياً ، لأن القلب عضو نبيل ، وخطير جداً ، لو ربط بالشبكة الكهربائية العامة وتوقفت الكهرباء العامة لمات الإنسان .

تماماً لو كان هناك مستشفى لإجراء عمليات قلب مفتوح ، هل يعقل ألا يكون في هذه المستشفى مولدة كهرباء ؟ لأن هناك حالة من الحالات أن القلب واقف ، ويبدل صمامه ، فلو قطعت الكهرباء العام من الشبكة العامة لمات المريض ، فلابدّ من مولد ذاتي .

وهذه الحكمة من وجود مركز كهربائي في القلب ، يعطي الأمر بالنبض 80 نبضة وهناك مركز ثان ، و احتياطي ثالث ، إذاً النبض يقدر بثمانين نبضة ، أحياناً الإنسان بحاجة لمئة و ثمانين نبضة .

مثلاً إنسان يمشي في بستان رأى ثعباناً ، ما الذي حصل ؟ انطبعت صورته على شبكية العين ، لكن هنا لا تقرأ الصورة ، تنتقل الصورة إلى الدماغ إلى مركز الرؤيا ، هناك ملف الثعبان ، هذا الملف جاء من معلومات درسها في المدرسة ، أو قصص سمعها من جدته ، ورأى ثعباناً محنطاً في قطرميز ، هذه مجموع المعلومات شكلت ملف الثعبان ، هذا الملف قرأ الصورة، فأخبر الدماغ أن هناك خطر لدغته قاتلة .

الآن الدماغ ملك الجهاز العصبي ، الدماغ يلتمس من ملكة الجهاز الهرموني الغدة النخامية أن تواجه الخطر ، هذه الملكة عندها وزير داخلية اسمه الكظر فوق الكلية ، هذا الكظر يرسل خمسة أوامر مباشرة ، أول أمر يرفع نبض القلب إلى مئة و ثمانين نبضة ، الأمر الثاني يرفع وجيب الرئتين ، فالخائف نبضه مرتفع وهو يلهث ، والأمر الثالث إلى الأوعية المحيطة في الجسم تضيق لمعتها فيصفر

لون هذا الخائف ، والأمر الرابع إلى الكبد لإطلاق سكر إضافي أثناء الخوف ، وأمر خامس لإطلاق هرمون التجلط ، هذا يجري في ثوان معدودة .

الحكمة من قطع أوداج الدابة فقط دون أن يقطع رأسها :

الآن لو طبقنا هذا على الدابة ، إذا قطعنا رأسها وبقي القلب ينبض بأمر منه ذاتياً ، ثمانون نبضة فقط ، فلا يخرج إلى خارج الدابة إلا ربع الدم ، إذا بقي الرأس موصولاً يعمل الأمر الاستثنائي ، من الدماغ ، إلى النخامية ، إلى الكظر ، إلى القلب ، النبض صار مئة و ثمانين نبضة فيخرج كل الدم ، فلذلك الدم أخطر شيء بالدابة ، هو مجمع السموم ، ومجمع الأمراض كلها ، والدم نجس إلى سفح .

(أَوْ دَماً مَسْفُوحاً)

(سورة الأنعام الآية : 145)

لذلك حينما وجه النبي أصحابه إلى قطع أوداج الدابة دون قطع رأسها بمعنى أنه أبقى الوظيفة المعقدة الثانية للقلب حيث يتلقى أمراً من الدماغ عن طريق الكظر لرفع النبض وبالتالي الدم كله يخرج ، هذه الحكمة ، كل مسالخ العالم تعلق الدابة من رجليها وتقطع رأسها ويبقى معظم الدم فيها .

المسلمون وسطاء بين الله وبين خلقه :

الدكتور وائل :

هذا آخر شيء نتحدث في الإعجاز العلمي ، لكن في قضية الاعتدال والتوسط ، الأمة الإسلامية مدعوة اليوم لإنجاز حضاري متقدم يرقى بها إلى مراتب المجد والفلاح ، وأيضاً أن تقدمه إلى الغرب ، وبدلاً من أن نطالب وأن نقول اعملوا كذا ، واعملوا كذا ، لنقل لنأتِ إلى مراكز البحث العلمي ، لنفتح الجامعات ، لنرَ العلماء الربانيين يتكلمون بما يرضي الله سبحانه وتعالى ، لنقدم مشروعاً حضارياً لهذه الأمة ، و هذه الأمة إن شاء الله ماضية في مشروعها ، متقدمة ، وإن نصر الله لقريب إن شاء الله .

الدكتور راتب :

ولأننا أمة وسطاً بمعنى وسطاء بين الله وبين خلقه .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - آفاق إسلامية - الدرس (3-4) : قوانين القرآن الكريم 1
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-11-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ وائل :

دكتور هذا الكون يسير وفق قوانين معينة ، والقرآن الكريم أخبرنا بجملة هذه القوانين ، هذا الإخبار ربما يكون له علاقة بإعمار الأرض ، لأن الإنسان إذا عرف قانون شيء معين ، وسار وفق القانون ، نجا في النهاية ، حتى إذا كان في دائرة معينة ، أو في مؤسسة معينة ، وعرف قانون هذه المؤسسة ، فإنه يستطيع أن يسير على وفقها ، دون أن يصادم أحداً ، ومصلحته في آخر الأمر تسير ، بداية وقبل أن نتحدث عن هذه القوانين ، لكم باع الحقيقة ، ولكم حلقات أيضاً في عدد من المحطات الفضائية في هذا الموضوع ، بداية ما أهمية معرفة قوانين الله عز وجل على هذه الأرض ؟ حبذا لو نتعرف على هذه الأهمية لمعرفة القانون .

أهمية معرفة قوانين الله عز وجل على هذه الأرض :

الدكتور راتب النابلسي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

دكتور وائل لا بدّ من مقدمة ، بادئ ذي بدء أضرب مثلاً من واقعنا ؛ لو أن موظفاً في دائرة ، وله مدير عام ، هذا المدير مزاجي سويعاتي ، يغضب بلا سبب مبرر ، ويرضى بلا سبب ، التعامل معه صعب جداً ، هناك مدير يضع قواعد التعامل مع الموظفين ، فمثلاً الموظف الذي لا تأتي عليه شكوى طوال العام يرفعه ، والموظف الذي لا يأخذ ولا إجازة يرفعه ، فصار هناك قواعد ثابتة في التعامل مع هذا المدير ، العيش مع هذا المدير مريح جداً ، كل نتيجة لها سبب يؤدي السبب ينال النتيجة ـ ولله المثل الأعلى ـ كان من الممكن ألا يكون هناك قوانين بين العباد وبين ربهم ، لكن الله جلّ جلاله خالق السماوات والأرض ، الذات الكاملة ، صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، أراد أن تكون

العلاقة بعباده علاقة مقننة ، والقانون علاقة ثابتة بين متغيرين ، لكن لا بدّ من التنويه بادئ ذي بدء ، لو أن إنساناً احتقر قانون السقوط ، هذا قانون فيزيائي ، وأراد أن يهبط من الطائرة بلا مظلة، إنكاره لهذا القانون ، واحتقاره لهذا القانون ، ورفضه لهذا القانون ، هل يلغي هذا القانون ؟ هل يلغي مفعول القانون فيه ؟ فالبطولة أن تتكيف ، بل إن من أدق أدق تعريفات الذكاء التكيف ، تعلمنا في الجامعة تعاريف للذكاء كثيرة ، لكن ما وجدت أبلغ من هذا التعريف : الذكاء هو التكيف ، فأنت حينما تتكيف مع القوانين تأخذ النتائج الباهرة بجهد يسير ، أنت تصور باباً كبيراً أردت أن تقتحمه ، تحتاج إلى مطرقة ، وإلى جهد عشر ساعات ، لو معك مفتاحه بثانية بضغطة خفيفة يفتح الباب ، فالذي يحاول أن يتحرك بلا قوانين كمن يحاول أن يهدم جداراً أو باباً كبيراً له وزن كبير ، محكم الإغلاق بمطرقة ، والذي يسلك طريق القانون كمن يأتي بمفتاح بضغطة خفيفة يفتح الباب ، فلذلك نحن بحاجة ماسة إلى هذه القوانين .

نحن نتعامل مع الله تعاملاً عشوائياً ، تعامل دعاء فقط ، لن نأخذ بالأسباب ، الحقيقة العالم الإسلامي قصر في الأخذ بالأسباب ، وقع في وادي المعصية ، بينما العالم الغربي أخذ بها ، واعتمد عليها ، وألهها ، ونسي الله ، فوقع في وادي الشرك ، سهل جداً أن تأخذ بالأسباب وأن تنسى الله ، أن تأخذ بها وأن تعتمد عليها ، أن تأخذ بها وأن تؤلهها ، هذا خطأ كبير هو الشرك ، وسهل أيضاً ألا تأخذ بها متواكلاً بسذاجة ، وفهم ضيق ، وأفق ضيق، الله هو الحامي ، الله ليس لنا غيرك ، هذه الأدعية المشهورة عند المسلمين ، اجعل كيدهم في نحرهم ، فلم يحدث هذا الشيء.

دكتور وائل :

برأيك أن هذا كان سبباً وراء تخلف المسلمين في مراحل ؟

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء :

الدكتور راتب النابلسي :

طبعاً أنا أقول هذه الحقيقة ، صدقني أن كل ذرة في جسمي ، وكل قطرة في دمي تؤمن بها ، البطولة أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، الحالة المتطرفة سهلة جداً ، مع الابن سهل أن تكون قامعاً له بضرب شديد ، وسهل أن تسيبه، لكن البطولة أن يحتار فيك أيها الأب، بقدر ما يحبك بقدر ما يخافك ، دائماً الوضع الوسطي يحتاج إلى جهد كبير ، فأنت حينما لا تأخذ بالأسباب كشأن العالم الإسلامي يكتفي بالدعاء ، يا رب دمرهم ، لم يدمروا ، يا رب زلزلهم ، لم يزلزلوا ، هم يأخذون بالأسباب ونحن ندعو عليهم ، ما لم نأخذ بالأسباب لن نقطف الثمار ، القضية

دقيقة جداً ، لذلك أنا أقول لا يمكن أن ننتصر على أعدائنا إلا بشرطين كل شرطٍ شرطٌ لازم غير كاف ، سيأتي الحديث عنه بعد قليل .

نحن ينبغي أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، هذا الذي يدعو إلى الأخذ بالقوانين ، هناك قوانين ، طبعاً الحقيقة هذه تسمية محدثة أما الحقيقة هي سنة الله :

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)

(سورة الأحزاب)

(وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)

(سورة فاطر)

أي زوال الكون أهون على الله من أن يغير هذه القوانين ، تفضلت وقلت : لا تحابي أحداً ، ما لم ندفع ثمن النصر لن ننتصر ، ما لم ندفع ثمن التغيير الأمر لن يتغير ، هذه قضايا أصولية ، وقضايا كبرى ، وقضايا مصيرية تهم العالم الإسلامي ، أما التقديم أن الله عز وجل ، أنا فيما أعتقد وأراه صواباً أن أصل الدين معرفة الله .

دكتور وائل :

ذكرت أن هذه قوانين وأنها سنن إلهية ،

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)

(وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)

إذاً هل هذا الأمر يعني أن غير المسلم إذا أخذ بهذه الأسباب وأخذ بهذه النواميس وهذه القوانين ارتقى على المسلم الذي يصلي ليلاً نهاراً و يصوم النهار ويقوم الليل لأنه لم يأخذ بهذه القوانين ؟

كل إيجابيات الغرب إسلامية لا لأنهم يعبدون الله بل لأنهم يعبدون المال :

الدكتور راتب النابلسي :

الإسلام منهجه موضوعي ، بمعنى لو جاء ملحد وأخذ بهذه القوانين لقطف ثمارها ولكن في الدنيا فقط، أما المؤمن يقطف ثمارها في الدنيا والآخرة ، لو أن ملحداً أخذ بهذه القوانين لقطف كل ثمارها في الدنيا، وأساساً الغرب كل قوته سببها أنه أخذ ببعض هذه القوانين ، حينما أعطى الإنسان حقه نال منه كل شيء ، أنا أقول دائماً : أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء ، حينما أعطاه حرية نما المجتمع ، حينما أعطاه حاجاته الأساسية اطمأنت نفسه ، فلذلك الغرب بذكاء فقط أخذ بهذه القوانين فكان قوياً ، بل إنني أقول دائماً : كل إيجابيات الغرب إسلامية لا لأنهم يعبدون الله أبداً ، هم يعبدون الدولار من دون الله ، لأنهم يعبدونه أتقنوا أعماله ، ضبطوا مواعيدهم ، أداروا أوقاتهم ، أعطوه حرية

نالوا بها كل طاقاته ، فلذلك هذه القوانين موضوعية لو أخذ بها ملحد لقطف كل ثمارها في الدنيا فقط وماله في الآخرة من خلاق ، لأنني أعتقد أنه ما من إنسان مسلم أو غير مسلم يعمل عملاً طيباً إلا نال ثوابه في الدنيا والآخرة ، الله عز وجل غني عن أن يقدم عبد من عباده شيئاً للناس دون أن يكافئه في الدنيا أو في الآخرة ، هذه القوانين لها تقديم دقيق جداً ، أنا أعتقد أن أصل الدين معرفة الله ، لأنك إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر ، وهذا حال المسلمين اليوم ، في التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي تعلمنا فرائض الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، وما إلى ذلك ، لكن ما تعرفنا إلى الله ، ألغيت في حياتنا المرحلة المكية ، فإذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في المعصية ، أما إذا عرفنا الآمر وعرفنا الأمر تفانينا في طاعة الله عز وجل ، فلذلك الله عز وجل أراد أن تكون علاقته بنا علاقة مقننة واضحة ، وفق قوانين ثابتة، والدليل قوله تعالى :

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)

(سورة الأحزاب)

(وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)

(سورة فاطر)

دكتور وائل :

دكتور محمد الإنسان المسلم حينما يتفانى في طاعة الله ، وينسى الدنيا ، وينسى هذه القوانين ، ألا يترتب عليه إثم أيضاً ؟

فرص العمل الصالح متاحة أمام القوي أضعاف مضاعفة عن الضعيف :

الدكتور راتب النابلسي :

تقتضي هذه القوانين أن تأخذ بالدنيا ، تقتضي هذه القوانين أن تجعل الدنيا مطية للآخرة ، تقتضي هذه القوانين أن الدنيا مجال وحيد وفرصة ذهبية لدفع ثمن الآخرة ، فلذلك الإنسان إذا كان في الدنيا قوياً قوة مال أو قوة علم أو قوة سلطان ، هذا القوي بماله أو بعلمه أو بسلطانه فرص العمل الصالح متاحة أمامه أضعاف مضاعفة عن الضعيف ، من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لأن فرص العمل الصالح مبذولة أمامه على مصارعها ، بينما أقول دائماً : إذا كان طريق القوة ، قوة المال ، أو قوة العلم ، أو قوة المنصب ، سالكةً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، والنبي أثنى على القوي قال :

((المؤمن القويُّ))

ما قال القوة ، القوي من دون إيمان مجرم ، القوي من دون إيمان كما ترى في العالم الغربي ماذا يفعلون في العالم الثالث ، القوي من دون إيمان ضرب عشواء ، أما النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

إذاً ينبغي أن نكون أقوياء ، إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، أما إذا كان طريق القوة على حساب مبادئنا ومثلنا وقيمنا فالضعف وسام شرف للمؤمن

دكتور وائل :

دكتور من هذه القوانين .

أصل الدين معرفة الله :

الدكتور راتب النابلسي :

لازلنا في المقدمة ، هناك مقدمة مهمة جداً ، بما أن أصل الدين معرفة الله ، كيف نعرفه هنا سؤال ؟ أنا وضعت يدي على الجرح ، نحن مقصرون في معرفة الله ، ومن فضل الله أمور المنهج واضحة ، آلاف الكتب مؤلفة في الفقه ، وبكل تفاصيل الشريعة ، أما معرفة الله نحن قصرنا فيها ، كيف نعرفه ؟ أنا أقول من آياته ، من آياته الكونية ، ومن آياته التكوينية ، ومن آياته القرآنية ، آياته الكونية خلقه :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

يتفكرون ، وآياته التكوينية أفعاله :

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11))

(سورة الأنعام)

هؤلاء زعماء قريش الكبار ، الأغنياء ، الأبطال ، الصناديد ، الذين وقفوا ضده ما مصيرهم ؟ في مزبلة التاريخ ، هؤلاء الضعاف الذين التفوا حوله هم في السجل الذهبي ، هناك قوانين ثابتة ، لذلك أنا حينما أفكر أن آيات الله الكونية أتفكر بها ، آياته التكوينية أنظر فيها ، أما آياته القرآنية ، قال تعالى :

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24))

(سورة محمد)

فالقرآن ، آيات الله القرآنية ينبغي أن نتدبرها ، وآيات الله الكونية ينبغي أن نفكر فيها ، وآيات الله التكوينية ينبغي أن ننظر فيها ، تفكر في الآيات الكونية ، ونظر في الآيات التكوينية ، وتدبر في الآيات القرآنية .

القرآن الكريم يُقرأ قراءة تعبد و قراءة تدبر :

لذلك القرآن الكريم يقرأ قراءة تعبد رائعة في رمضان كل يوم جزء ، لكن ينبغي أن نقرأه قراءة أخرى قراءة تدبر ولو قرأت آية واحدة ، لو قرأت عشر آيات ، وتدبرتها بدقة، وكشفت القوانين فيها ، وأخذت بهذا القانون :

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3))

(سورة القدر)

بمعنى ربما عبدت الله ثمانين عاماً عبادة شكلية كمعظم الناس ، ليلة واحدة إذا تفكرت في هذا القرآن الكريم ، ودرست آياته دراسة عميقة جداً ، ووقفت عند ثوابته ، هذه الدراسة خير للإنسان من ثمانين سنة عبادة جوفاء :

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3))

(سورة القدر)

إذاً نحن أمام معرفة الله ، في لقاءات سابقة تحدثت عن معرفة الله من خلال الكون ، ومن خلال أفعاله، أما هذا اللقاء الطيب مخصص للحديث عن معرفة الله من خلال قوانين القرآن الكريم ، نحن طبعاً سميناها تجاوزاً قوانين ، هي سنن ، المصطلح القرآني سنن ، أما الآن كلمة قانون لها رنين معين ، تجاوزنا وسميناها قوانين على أنها قواعد ثابتة في التعامل مع الله عز وجل .

دكتور وائل :

ومن خلال هذه القوانين أو السنن تستطيع أن تتعرف على الله عز وجل .

الدكتور راتب النابلسي :

كيف يعاملنا ؟

دكتور وائل :

بقوة القانون تعرف هذا القانون .

الإنسان من خلال القوانين أو السنن يستطيع أن يتعرف على الله عز وجل :

الدكتور راتب النابلسي :

كما تفضلت بملمح جيد جداً ، أنت أحياناً تنتفع بهذا القانون ، وأحياناً قد لا تحتاج هذا القانون ، لكنك تقدر واضع هذا القانون ، أنت حينما تقرأ أحكام الطلاق الدقيقة جداً ، إنسان معه زوجة صالحة ، يحبها وتحبه ، ما فكر بطلاقها إطلاقاً ، لكن يتأثر بهذه الأحكام الدقيقة ، العادلة ، الرحيمة ، أحياناً الإنسان ينتفع بالقانون إذا استخدمه وقد ينتفع به حينما يعرف .

دكتور وائل :

دكتور الفرق بين القانون أو السنن الإلهية القوانين العامة لهذا الكون وبين القوانين التشريعية ، نحن دائماً نقول : القانون الإسلامي ، هناك قوانين الكون وهناك تشريعات دقيقة ما الفرق بينهما ؟

الله عز وجل له كون نعرفه من خلاله وشرع نعبده من خلاله :

الدكتور راتب النابلسي :

الحقيقة أن التشريعات الدقيقة متعلقة بالأمر ، الله عز وجل له كون نعرفه من خلاله ، نحن بالكون نعرفه وبالشرع نعبده ، فرق بين معرفته وبين عبادته ، بل إن شرائع الأنبياء جميعاً تلتقي في كلمتين الدليل :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء)

أي يمكن دكتور وائل أن نضغط الشرائع السماوية كلها بكلمتين :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء)

أي التوحيد نهاية العلم ، حينما ترى أن الله هو الفعال ، هو القوي ، هو المعطي، هو المانع ، هو المعز، هو المذل ، هو الشافي ، هو القابض ، هو الباسط ، هو الملهم ، حينما ترى أن يد الله تعمل وحدها ، حينما ترى أن يد الله في السماء إله وفي الأرض إله، حينما ترى أنه لا يمكن لإنسان أن يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله :

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26))

(سورة الكهف)

الله تعالى لن يسمح لطاغية على وجه الأرض أن يكون طاغية إلا و يوظف طغيانه لخدمة دينه :

حينما تؤمن أن :

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ُاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود الآية : 123)

حتى الطغاة في الأرض عصي بيد الله ، يستخدمهم لصالح دينه والمؤمنين :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6))

(سورة القصص)

أنا أقول صدق دكتور وائل ، لا يسمح الله لطاغية على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أن يكون طاغية إلا وأن يوظف طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين ، لذلك قال تعالى :

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً (20))

(سورة لقمان)

هذا التسليط ممن لا يعرف الله ، أي إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

أنا أقول دائماً : إن شاء الله نكون كذلك ، المسلمون يشبهون إنساناً معه التهاب معدة حاد ، قابل للشفاء، فالطبيب الرحيم أخضعهم لحمية شديدة جداً قاسية ، أما الطرف الآخر معه ورم خبيث منتشر ، فلما سأل الثاني الطبيب ماذا آكل ؟ قال له : كُلْ ما تشاء ، فأيهما أفضل أن نكون خاضع لحمية شديدة جداً وفي شفاء تام بعدها أم يقول لي الطبيب كُلْ ما تشاء ؟

(فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً)

(سورة الأنعام الآية : 44)

الدنيا دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له :

دكتور وائل للتقريب واحد في الأرض وأصفار للشمس ، شيء من الصعب أن تتصوره ، كل ثلاثة أصفار ألف ، ثلاثة أخرى مليون ، ثلاثة ثالثة ألف مليون ، الرابعة مليون مليون ، وكل ميليمتر صفر ، من هنا إلى الشمس ، مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر كل ميليمتر صفر ، هذا الرقم ضعه صورة لمخرج في المخرج لا نهاية ، قيمته صفر ، الدنيا عند الله صفر :

((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[رواه الترمذي سَهْل بْن سَعْدٍ]

الدنيا جيفة طلابها كلابها ، الدنيا دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له ، لذلك :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء))

[من كنز العمال عن ابن عمر]

لا تستقيم لإنسان ، يعطيه الصحة و الأولاد و عنده مشاكل ، الزوجة جيدة الدخل قليل ، الدخل كثير ليس عنده أولاد :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

[من كنز العمال عن ابن عمر]

الأحداث الخطيرة التي ألمت بالمسلمين زادتهم تمسكاً بدينهم و معرفة بربهم :

نحن دكتور وائل ـ جزاك الله خيراً ـ نعاني ما نعاني ، أنا أقول : كل شِدة أصابت المسلمين وراءها شَدَة إلى الله ، وكل محنة ألمت بالمسلمين وراءها منحة من الله ، وهذه النعم الباطنة ـ صدق ولا أبالغ ـ لو الإنسان تأمل في الإيجابيات ، الأحداث الخطيرة التي ألمت بالمسلمين والله لا تعد ولا تحصى ، زادتنا تمسكاً بديننا ، زادتنا معرفة بربنا ، زادتنا محبة لبعضنا ، زادتنا معرفة بجريمة أعدائنا ، أنا أقول كلمة : لو دفعنا مليارات ممليرة لا نستطيع أن نعري أعداءنا كما عروا أنفسهم بحرب غزة ، هم عروا أنفسهم ، بفضل الله عز وجل ، نحن دائماً نتابع السلبيات في الأخبار ، لكن القلة القليلة من المفكرين الناضجين يضعون أيديهم على الإيجابيات ، سوف يأتي يوم ترى أن كل الأحداث الأليمة التي ألمت بنا سبب نهضتنا ، سبب توحدنا ، سبب عودتنا إلى الله عز وجل .

دكتور وائل :

دكتور محمد أنت فتحت لنا آفاقاً كبيرة ، حقيقة من الشدائد يتولد النصر ، وعندما يشعر الإنسان بحاجته وبضغطه يبحث مباشرة عن طرق النجاة ، وعن طرق الخلاص ، المسلمون لو أنهم عاشوا في الفترة الماضية على الرغم من وجود حالة التخلف التي كانوا يعانون منها ، وهذا الأمر ليس سراً أن نتحدث به ، المسلمون عانوا من حالة تخلف في الفترة الماضية لو أنهم عاشوا إضافة إلى حالة التخلف حالة من الرخاء سيزداد الأمر ويصلهم إلى الموت ، لكن الله عز وجل أشعرهم بالآلام حتى يراجعوا الطبيب ، وربما الطبيب الآن الذي نبحث عنه هو قوانين الله عز وجل .

الدنيا العريضة والرخاء والمال الوفير و الحالات المبهجة حجاب بين الإنسان وربه :

الدكتور راتب النابلسي :

في حكم ابن عطاء السكندري حكمة رائعة : " ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك ، وإذا كشف لك الحكمة في المنع عاد المنع عين العطاء " .

دكتور وائل بقناعتي أن الدنيا العريضة ، الرخاء ، المال الوفير ، الحالات المبهجة ، هذه حجاب بين الإنسان وربه ، أحياناً الضغوط ، عفواً هناك ألماسة في تركيا في متحف كبير ، ثمنها مئة وخمسون مليون دولار ، أكبر ألماسة في العالم ، أنا أقول : الألماس أصله فحم لكن جاءه ضغط لا يحتمل فصار ألماساً ، فإذا قررنا هذه القاعدة على الإنسان ، الإنسان بالضغوط الشديدة يصبح بطلاً ، يعرف قيمة المال ، قيمة العلم ، بالضغوط الشديدة يعرف من عدوه ، فيبدو أن المؤمنين يوم القيامة :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ)

(سورة الزمر الآية : 87)

بالأرض تحملنا ضغوطاً و شدائد وأدينا العبادات ، وكان هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل ، وصمدنا أمام الباطل ، الآن نتمتع بهذه الجنة بفضل ما كنا في الأرض :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ)

(سورة الزمر الآية : 87)

فلا يوجد عطاء كبير إلا بسبب ، بلا سبب لا يوجد عطاء .

دكتور وائل :

دكتور قوانين الله عز وجل في هذا الكون كبيرة وكثيرة ، وهي السنن كما تفضلت ، لكن قانون الالتفاف والانفضاض ، الناس عندما يلتفون على شيء وينفضون عن شيء ، كيف جعل الله عز وجل منه قانوناً ؟

العلاقة بين الالتفاف والانفضاض علاقة ثابتة وهذا القانون يحتاجه كل إنسان :

الدكتور راتب النابلسي :

بل علاقة ثابتة بين الانفضاض والالتفاف ، الحقيقة هذا القانون يحتاجه كل إنسان، يحتاجه الأب على مستوى الأسرة ، تحتاجه الأم ، يحتاجه الأخ الكبير ، يحتاجه المعلم ، يحتاجه المدرس ، يحتاجه الداعية، يحتاجه خطيب المسجد ، يحتاجه مدير المستشفى ، يحتاجه مدير الجامعة ، أي منصب قيادي يحتاج هذا القانون ، إنسان عنده أولاد يسعده أنهم يحبونه ، أن يلتفوا حوله ، أن ينصاعوا لأمره ، هذا

شيء مسعد ، ويؤلمه أشد الألم أن يتمردوا عليه ، ألا يحبونه ، أنا أقول كلمة للتاريخ : في الثقافة الإسلامية الأب محترم جداً لكن بطولة الأب لا أن يكون محترماً أن يكون محبوباً ، البطولة أن يحبك أولادك ، البطولة أن يكون العيد حينما تأتي إلى البيت لا حينما تخرج ، لا بدّ من عيد إما مع مجيء الأب أو مع خروجه ، هذا القانون أساسه قوله تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

كأن الله عز وجل يقول لنبيه الكريم : يا محمد بسبب رحمة استقرت بقلبك كنت ليناً لهم ، فلما كنت ليناً لهم التفوا من حولك ، ولو كنت منقطعاً عنا لامتلأ القلب قسوة ، ولانعكست القسوة غلظة وفظاظة ، فانفضوا من حولك ، وكأنها معادلة رياضية ، اتصال ، رحمة ، لين ، التفاف ، انقطاع ، قسوة ، غلظة، انفضاض .

دكتور وائل :

الاتصال مع من ؟

من أراد رحمة الله عز وجل فليرحم خلقه :

الدكتور راتب النابلسي :

مع الله ، تشتق منه الرحمة ، يمتلئ القلب رحمة ، أحياناً يوجد في المركبة إذا لاحظت عداد المتراج وعداد دورة المحرك ، أنا أرى إذا كان هناك عداد للإيمان ، وعداد للرحمة ، العقارب تتحرك معاً ، بقدر إيمانك ترحم الناس ، بقدر البعد عن الله تقسو عليهم ، إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي :

((الراحمون يرحمهم الرحمن))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

لذلك الله عز وجل ينصر الأمة الكافرة ، التي ترحم من حولها على أمة مسلمة تقسوا على من حولها .

دكتور وائل :

دكتور أنت ذكرت نقطة الاتصال تولد الرحمة ، الأمة الكافرة كيف ؟

الإنسان يعيش مع الناس بإيمان أو بذكاء :

الدكتور راتب النابلسي :

الرحمة الثانية ذكاء ، إما اتصال أو ذكاء ، هناك قلب رحيم وهناك عمل رحيم ، القلب الرحيم أساسه الاتصال ، أما العمل الرحيم عمل أساسه الذكاء ، وأنت إما أن تعيش مع الناس بإيمان أو بذكاء ، أما لا إيمان ولا ذكاء ؟!

دكتور وائل :

خاصة إذا اجتمع الحقد والجهل .

الدكتور راتب النابلسي :

الغرب بذكائه وجد أنه إذا رعى من حوله ، أعطى من حوله ما يحتاجه ، ملكه ، وأنت الآن إنسان يعمل معك كن معه كاملاً تملكه ، يعطيك روحه ، أعطه حاجته وكرامته خذ منه كل شيء ، الغرب أدرك هذه الحقيقة .

دكتور وائل :

ولذلك في أنواع الإدارات ، هناك إدارة أبوية ، والإدارة اليابانية أدركت هذه النقطة .

أي إنسان يتصل بالله يصبح قلبه رحيماً يرحم من حوله :

الدكتور راتب النابلسي :

أنا كنت مرة في أمريكا ، وهي أول دولة في صناعة السيارات ، اكتشفوا فجأة أن كل عشر سيارات هناك ثمانية من صنع اليابان ، هذه ظاهرة خطيرة جداً ، أرسلوا وفداً إلى هناك ليكتشف أين الخلل ؟ المفاجأة الخطيرة ليس الخلل تقنياً ، الخلل سيكولوجي اجتماعي، المدير يعيش مع العمال ، العامل اسمه صهر رب العمل ، عنده أمن ، عنده تعويضات كافية ، مستقبله مضمون ، أتقن عمله ، فلذلك دائماً الإنسان عندما يتصل بالله ماذا يحدث ؟ الحقيقة نحن نعاني من صلاة جوفاء أحياناً ، قال تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

قال بعض العلماء : ذكر الله أكبر ما فيها ، والدليل :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

لكن بعضهم قال : لا ، ذكر الله لك أيها المسلم وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكنه إذا ذكرك منحك الأمن ، منحك الحكمة ، منحك الرحمة ، شيء خطير عبادة تؤدى كل يوم خمس مرات ، تؤدى أداء أجوفاً ، مستحيل، فأنت حينما تتصل بالله تشتق منه الرحمة ، هذه الحقيقة دقيقة جداً ، مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً ، فأي إنسان يتصل بالله يصبح قلبه رحيماً، يرحم من حوله ، ورحمة عامة وليست خاصة ، أن ترحم ابنك هذا شيء فطري ، هذا طبع ليس لك فيه أجر كبير ، شيء طبيعي ، خلاف الرحمة وضع شاذ ، أما أن ترحم من حولك ، أن ترحم إنساناً لا يمت لك بصلة ، النبي عليه الصلاة والسلام قال : " ولكنها رحمة عامة " ،

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ)

من الله ، بسبب رحمة اشتققتها منا يا محمد كان هذا القلب رحيماً ، انعكست رحمتك في قلبك ليناً في المعاملة .

دكتور وائل :

اللين .

اللين من لوازم الرحمة :

الدكتور راتب النابلسي :

اللين من لوازم الرحمة ،

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)

الأم ترحم تلين مع ابنها ، الغريب لا يرحم ، ولو كنت منقطعاً عنا لامتلأ القلب قسوة ولانعكست القسوة غلظة :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

دكتور وائل :

دكتور قضية الرحمة ، وأن الرحمة مشتقة من الله عز وجل ، الصلاة إذا خشع الإنسان بها أمده الله عز وجل بذكره ، وهي الرحمة ، وفرع هذه الرحمة أنها تظهر ليناً على الإنسان ، دكتور أنت ذكرت نقطتين بأن اللين هذا قد يكون سببه ذكاءً ، وقد يكون سببه الاتصال بالله .

الفظاظة والغلظة شيء مرفوض في الدين والدعوة إلى الله تحتاج إلى لين و تلطف :

الدكتور راتب النابلسي :

هذا الفرق بين الفطرة و الصبغة ، الصبغة لين سببه الاتصال بالله ، أما الفطرة ذكاء أن تقدر الرحيم فطرة ، أن ترحم رحمة أصيلة صبغة .

هناك درس للدعاة بهذه الآية ، النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ، سيد ولد آدم ، أوتي القرآن الكريم ، أوتي المعجزات ، أوتي الفصاحة والبيان ، أوتي جمال الصورة ، أوتي الحكمة ، شخصية فذة في الأرض ، المخلوق الأول ، كأن الله عز وجل يقول له : أنت أنت يا محمد مع كل هذه الخصائص ، مع أنك نبي ورسول وسيد الأنبياء والمرسلين ، ويوحى إليك ، ومعك المعجزات ، وأوتيت الفصاحة والبيان وجمال الصورة ، أنت أنت بالذات :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

فكيف بداعية ليس نبياً ولا رسولاً ولا يوحى إليه ولا معه قرآن ولا فصيح ولا معه جمال الصورة ومع ذلك هو فظ غليظ ؟ لمَ الغلظة يا أخي ؟ أرسل الله موسى إلى من قال :

(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24))

(سورة النازعات)

فرعون ، إلى من قال :

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (38))

(سورة القصص)

قال الله عز وجل :

(فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

(سورة طه)

هذا المنهج ، الفظاظة والغلظة والقسوة شيء مرفوض في الدين كلياً ، المسلمون اختلطت عندهم مفاهيم الجهاد مع مفاهيم الدعوة إلى الله ، مفهوم الدعوة إلى الله يحتاج إلى لين، إلى تلطف .

دكتور وائل :

ما هو سبب هذا الخلط ؟

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ومن نهى عن منكر فليكن نهيه في غير منكر :

الدكتور راتب النابلسي :

هذا خلط أوراق :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وأغلظ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

(سورة التوبة)

هنا أخلاق الجهاد في الحرب ، عفواً إذا أنت كنت في مسبح ، وكان أصدقاؤك يسبحون ، قال لك أحدهم : رشه ، ماذا تعني رشه ؟ أي بلله بالماء ، وإذا كنت في المعركة وقال لك : رشه ، أي اقتله بالرصاص ، هناك جو معين ، جو الحرب ، فيه غلظة ، ليس من المعقول أن ترحمه ، أنت تقاتله ، أما جو السلم فيه رقة ، فيه لطف ، فلذلك :

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى(43)فقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44))

(سورة طه)

لذلك من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه في غير منكر ، هذا درس للدعاة يحتاجه الأب والأم وأي منصب قيادي ، ودرس للدعاة .

دكتور وائل :

هذا تفسير راق لقضية الالتفاف والانفضاض ، وحبذا أن تأخذ الإدارات والتدريب القيادي والإداري بهذه الفكرة الجميلة الراقية التي تنبع من موضوع الرحمة .

الدين الإسلامي دين عظيم جداً لكن المسلمين لا يعرفون قيمته ولا أبعاده :

الدكتور راتب النابلسي :

ألف كتاب كيف تكسب الأصدقاء ؟ أول طبعة خمسة ملايين نسخة ، جاء الشيخ الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ أخذ هذه القواعد ، وترجمها إلى لغة القرآن ، فإذا بها قواعد قرآنية ، أنا أذكر قاعدة واضحة جداً ، أنت إذا كنت مدير عام لمؤسسة ، وعندك موظف وأخطأ ، ينبغي أن تذكر له إيجابياته أولاً بعدئذ تنتقده ، أنت أمين ، أنا أقدر ولاءك للشركة ، أنا أقدر حرصك على المصلحة العامة ، أنا أقدر أنك صادق ، لكن تأخرك اليومي يسبب إزعاجاً ، هو قبلها منك .

النبي عليه الصلاة والسلام يؤم أصحابه في صلاة من صلوات الفرض ، صحابي تأخر عن إدراك الركعة الأولى ، فدخل إلى المسجد وأسرع ليلحق مع النبي الركعة الأولى ، أحدث جلبة وضجيجاً وشوش على الصحابة في صلاتهم ، عندما انتهت الصلاة قال له النبي عليه الصلاة والسلام : زادك الله حرصاً ولا تعد .

زادك الله حرصاً على الصلاة أن تصلي معنا ، لكن شوشت علينا ولا تعد ، صدق هذا الدين عظيم جداً لكن نحن لا نعرف قيمته ولا أبعاده .

دكتور وائل :

دكتور قبل أن أنتقل إلى موضوع التيسير والتعسير ، من أين جاء أننا لا نعرف قيمة الدين ؟

الدكتور راتب النابلسي :

خطأ الخطاب الديني .

دكتور وائل :

من أين جاء الخطأ فيه ؟

عدم معرفتنا لقيمة الدين بسبب الخطأ في الخطاب الديني و خطأ الدعاة و خطأ الحكومات:

الدكتور راتب النابلسي :

من خطأ الدعاة ، الحقيقة السؤال دقيق بمعنى من المستحيل أن يعزى خطأ المسلمين لجهة واحدة ، هناك خطأ بالخطاب الديني ، هناك خطأ بالدعاة ، هناك خطأ أن الحكومات ما تبنت الإسلام الوسطي ، فلما لم تتبنَ الإسلام الوسطي صار هناك إسلام متطرف، والتطرف خلاف الصح ، المشكلة كبيرة جداً لا يمكن أن تعزى إلى جهة واحدة .

دكتور وائل :

التطرف كيف ينشأ عند الإنسان وهو جسم وعقل وروح ؟

نشأة التطرف عند الإنسان :

الدكتور راتب النابلسي :

أعتقد أن الدين هواء للإنسان لا يمكن أن يحتكره أحد ، الدين تجده في كل مصر، في كل عصر ، في كل إقليم ، عند كل فئة ، عند كل طائفة ، لا أحد يحتكره ، لا فرد ولا جماعة ولا طائفة ، هواء ، بل إنني أعتقد أن الأديان الوثنية أساسها صحيح ، افتقار إلى الله ، الذي يعبد بوذا يلبي حاجة في نفسه ، عنده ضعف ، عنده إحساس بالضعف ، الإحساس بالضعف يحتاج إلى قوي ، يحتاج إلى من يدعمه .

دكتور وائل :

لكنه أخطأ .

الدكتور راتب النابلسي :

أخطأ في الطريق ، فالدين أصل في حياتنا ، فإذا منع الهواء بحثنا عن شيء آخر، هو التطرف ، أنا أتمنى عندما الأقوياء يتبنوا الإسلام الوسطي ، صار هناك توازن ، فإذا منعنا الإسلام الوسطي صار عندنا مشكلة .

دكتور وائل :

دكتور جهودكم كدعاة اسمح لي فيها قبل أن ننتقل إلى موضع آخر كدعاة وكمفكرين إلى أين يتجه الآن الخطاب الديني الإسلامي ؟ هل ترى أنه يتجه بالطريق الصحيح؟ هذه الفوضى كما تسمى عند البعض الفوضى الخلاقة ، قضية هذه الفوضى التي عمت حتى في الخطاب الديني هناك من يتحدث بطريقة معينة ، هناك من يتكلم بطريقة أخرى، أنا قال لي أحد النخب في المجتمع الأردني : لقد جنن الخطباء الناس أين نتجه ؟ برأيك هل نحن الآن نتجه نحو ترشيد هذه الخطا ؟

ترشيد الخطوات للسير نحو الإسلام الصحيح :

الدكتور راتب النابلسي :

أنا سأقول لك ماذا أرى ، قبل خمسين عاماً إن صحّ أن هذا السطح الذي أمامنا سطح المبادئ والقيم ، قبل خمسين عاماً كان هناك كتل ثلاث ، الغرب والشرق والإسلام ، الشرق آمن بالمجموع ، والغرب آمن بالفرد ، الاشتراكية والرأسمالية والإسلام دين الله ، الذي حصل أن الشرق تداعى من الداخل وانتهى ، من دون حرب ، لأن الله عز وجل قال :

(إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

(سورة الإسراء)

الشرق رفع شعار لا إله ، فالباطل زهوق ، و زهوق صيغة مبالغة ، وصيغ المبالغة تعني كماً أو عدداً، لو كان هناك مليار باطل كلها زاهقة ، ولو كان هناك أكبر باطل عمره سبعون عام سوف ينهار ، انتهينا منه ، نحن الآن أمام قبل الحادي عشر من أيلول أمام الغرب والإسلام ، الغرب دكتور وائل قوي جداً ، وغني جداً ، وذكي جداً ، وبشكل موضوعي طرح قيماً رائعة جداً جداً ، طرق قيمة الحرية ، والديمقراطية الأصيلة ، حقوق الإنسان ، تكافؤ الفرص ، حق التقاضي ، والعولمة ، احترام جميع الأديان ، الغرب تألق تألقاً مذهلاً ، خطف أبصار أهل الأرض ، حتى صار الذي ينال البطاقة الخضراء كأنه دخل إلى الجنة ، الذي حصل أنه بعد الحادي عشر من أيلول كان الغرب حضارة كبيرة ، فأصبح قوة غاشمة ، ولم يبقَ على سطح المبادئ والقيم إلا الإسلام ، لذلك قال عالم أمريكي هداه الله إلى الإسلام : " أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اليوم اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام ، ولكن بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، ويحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر " .

الدعوة إلى الله و الدعوة إلى الذات :

دكتور وائل أقول لك بصدق : الإسلام العظيم محجوب عن العالم الغربي ، محجوب بالمسلمين ، لذلك المسلمون نائمون في ضوء الشمس ، والغرب يعمل في الظلام والذي يعمل في الظلام يسبق النائم في ضوء الشمس ، فالمشكلة التي تفضلت بها الخلل أن الإسلام شُوه بالمسلمين ، أي لو فهم الصحابة الإسلام كما نفهمه نحن لما خرج من مكة .

إنسان أسلم فجاء مهاجراً فقبضوا عليه في الطريق ، فقال لمن قبض عليه : عهد الله إن أطلقتموني لن أحاربكم ، فأطلقوا سراحه ، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ، فسرّ به سروراً عظيماً ، بعد سنة هناك غزوة ، هذا الصحابي دون أن يشعر نسي وعده ، فانخرط مع الجنود ، قال له النبي : ارجع ، ألم تعاهدهم ؟ في عصر مبادئ وقيم ، نحن اكتفينا بعبادات شعائرية ، صدق ولا أبالغ منهج الله يزيد عن خمسمئة ألف بند ، تبدأ من فراش الزوجية وتنتهي بالعلاقات الدولية ، فالخطاب الديني تنوع وأنا أقول لك بالمناسبة السؤال دقيق جداً قد يكون محرجاً ولكن سأجيبك عنه ، هناك دعوة إلى الله خالصة أساسها الاتباع ، أساسها التعاون ، أساسها الاعتراف بالآخر ، أساسها قبول النصيحة ، وهناك دعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، هذه التي جننتهم ، الدعوة إلى الذات المغلفة بدعوة إلى الله أساسها التنافس لا التناصح ، أساسها الابتداع لا الاتباع ، أساسها إلغاء الآخر ، أساسها رفض النصيحة ، فالذي تتحدث عنه من هذا القبيل ، هناك دعوة إلى الذات أي هناك مصالح ، أي مصالح الدنيا تفرق والآخرة تجمع ، أقسم لك بالله لو أن الدعاة أخلصوا لله لتعاونوا تعاوناً مذهلاً ولرأيت الدين وحدة واحدة ، أما كل واحد له مصالح .

أنواع الاختلاف :

لذلك الاختلاف أنواع ثلاثة ، اختلاف طبيعي نحن في التاسع و العشرين من رمضان سمعنا صوتاً ضخماً ، عندنا في الشام مدفعاً لإثبات العيد ، فاختلفنا يا ترى مدفع العيد أو أن هناك تفجير صخرة في الجبل ؟ لا نعلم ، هذا اختلاف طبيعي اختلاف نقص معلومات ، أما حينما تكون الأمور واضحة تماماً ونختلف هذا اختلاف أهواء :

(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 19)

اختلاف قذر ، أمورنا واضحة ، إلهنا واحد ، نبينا واحد ، قرآننا واحد ، أهدافنا واحدة ، لغتنا واحدة ، ديننا واحد ، يتقاتلون والدماء تسيل .

دكتور وائل :

وخاصة حينما يغلف الدين بغلاف المصلحة التي تفضلت .

الدكتور راتب النابلسي :

أنا قلت دعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، تنازع مصالح ، تنازع أهواء ، الخلاف الثالث اختلاف محمود ، اختلاف تنافس ، إنسان يرى أن أعظم عمل الدعوة إلى الله ، وإنسان يرى أن أعظم عمل في تأليف الكتب ، وآخر في افتتاح مستشفيات ، ومصحات ، وآخر في بناء مساجد ، هذا الاختلاف محمود.

إذاً هناك اختلاف قذر ، واختلاف الأهواء والمصالح ، والاختلاف الطبيعي .

دكتور وائل :

لعل الدعاة والمفكرون إن شاء الله يلتقون ويشكلون رابطة على الأقل .

المؤمن الصادق المخلص يسعى إلى القضاء على التفرقة و تفتيت الأمة :

الدكتور راتب النابلسي :

المشكلة أن هذه الصحوة موجة هناك من يركبها ويسيسها ، وهناك من يسعى لإثارة الفتن الطائفية ، دكتور وائل فرعون موسى ماذا قال الله عنه ؟

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

(سورة القصص)

تقطيع الأوصال ، التفرقة ، الطرح الخلافي دائماً ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، نحن إذا كان عندنا وعي وإخلاص لبلدنا ولأمتنا نسقط هذه الورقة من يد أعدائنا ، الطرف الآخر يسعى إلى التفرقة ، يسعى إلى تفتيت الأمة ، شرذمتها ، والمؤمن الصادق المخلص يسعى إلى رئب الصدع ، ولم الشمل .

دكتور وائل :

عودة إلى هذه القوانين القيّمة ، قانون التيسير والتعسير .

الناس على اختلاف مللهم وانتماءاتهم وطوائفهم لا يزيدون عند الله عن نموذجين :

الدكتور راتب النابلسي :

أولاً : الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، تابع ما شئت ، كل هذه التقسيمات من صنع البشر والقرآن لم يعترف بها ، العرق الأبيض ، العرق الملون

الأنجلو سكسوني ، السامي ، الآري ، دول الشمال ، دول الجنوب ، المستغلين ، المستغلون ، هناك تقسيمات في الأرض لا تعد ولا تحصى ، كل هذه التقسيمات عند الله باطلة ، عند الله زمرتان في عباده، زمرة عرفت الله ، فانضبطت بمنهجه ، فسلمت وسعدت في الدنيا والآخرة ، وزمرة غفلت عن الله ، وتفلتت من منهجه ، وأساءت إلى خلقه ، فهلكت وشقيت في الدنيا والآخرة ، ولن تجد فئة ثالثة هذا التقسيم القرآني ، الدليل :

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

كل إنسان برأسه هدف ، هذا ذاهب إلى تأمين وظيفة ، هذا ذاهب لإيقاع بين اثنين، هذا لارتكاب فاحشة معينة ، هذا لغيبة أو نميمة ،

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

لكن كل هذا المسعى يصب في خانتين ، إذا كان هناك ستة آلاف مليون إنسان ، وكل إنسان في باله هدف يسعى إليه ، هذه الحركات التي يقوم بها البشر صبها الله عز وجل في خانتين فقط ، قال تعالى :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة ، وأن الدنيا دار عمل ليس دار أمل .

دكتور وائل :

كيف يخلق للجنة ؟

الدكتور راتب النابلسي :

خلقك الله كي تتنعم بالجنة .

دكتور وائل :

إذاً أصل الخلق أنك مخلوق للجنة .

1 ـ نموذج عرف الله و انضبط بمنهجه فسلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

الدكتور راتب النابلسي :

لذلك :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

الحسنى هي الجنة :

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

(سورة يونس الآية : 26)

صدق أنه مخلوق للجنة ، بنى حياته على العطاء ، يعطي من ماله ، من جهده ، من خبرته ، من وقته، هذه أول زمرة ، الرد الإلهي الكريم :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

زواجه ميسر ، بيته ميسر ، تربية أولاده ميسرة له ، عمله ميسر سمعته متألقة ، محبوب :

((استقيموا ولن تحصوا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

لن تحصوا ، جنابكم باللغة العربية إغفال المفعول إطلاق للفاعل ،

((استقيموا ولن تحصوا))

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

صدق أنه مخلوق للجنة فاتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء ، العطاء المحض ، لذلك الرد الإلهي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

تيسير بكل المعاني في حياته ، حتى في صحته ، حتى في زواجه ، حتى في تربية أولاده ، حتى في عمله ، حتى في سمعته الاجتماعية .

2 ـ نموذج غفل عن الله وتفلت من منهجه فهلك وشقي في الدنيا والآخرة :

الطرف الثاني :

(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

كذب أنه مخلوق للجنة ، وآمن بالدنيا ، و رفض الآخرة ، عندما آمن بالدنيا استغنى عن طاعة الله ، وبخل .

الأنبياء و الأقوياء :

لذلك أقول لك هذه الكلمة : يقع على رأس الهرم البشري صنفان ؛ الأنبياء والأقوياء ، وأي واحد من بني البشر تابع لقوي أو نبي دون أن يشعر ، قالوا : إما أن تكون عبداً لله ، وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم، فالإنسان إما أنه عبد لله ، وإما أنه عبد لعبد لئيم ، هؤلاء الأقوياء والأغنياء ، الأقوياء ملكوا

الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب ، وشتان بين أن تملك رقبة الإنسان ، وبين أن تملك قلبه ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأقوياء عاش الناس لهم ، الفراعنة عاش الناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم فقط ، الأنبياء في غيبتهم ، الأقوياء يرفضون النصيحة ، الأنبياء يقبلونها ، قال له : والله ليس بموقع ، ببساطة ما بعدها بساطة حول ، موقف رائع جداً أن تعود عن اجتهاد ، الله عز وجل حجب عن النبي الموقع المناسب ، حجبه عنه اجتهاداً وإلهاماً ووحياً ، لأن هناك مكرمة أخلاقية رائعة وهي الرجوع عن الخطأ ، النبي عليه الصلاة والسلام معصوم، فهذه المكرمة لا يمكن أن تظهر منه ، هو قدوة لنا ، المكرمة هي الرجوع إلى الصواب ، أنا مخطئ قالت لي زوجتي أخطأت أقول لها : معك الحق ، إن شاء الله لا تعاد ، الموقف في بطولة ، أما الإنسان القوي لا يتراجع .

أحياناً الأقوياء بحاجة إلى هذه الفضيلة إذا أخطأ أن يرجع عن الخطأ ، النبي عليه الصلاة والسلام معصوم لا يخطئ ، هذه الفضيلة لن تظهر منه إطلاقاً ، ولأنه قدوة الله عز وجل حجب عنه الموقع المناسب ، حجبه عنه إلهاماً ووحياً واجتهاداً ، فجاء صحابي كتلة أدب معه ، قال له : يا رسول الله هو الرأي والمشورة ، قال له : والله ليس بموقع ، ببساطة ما بعدها بساطة ، النبي عليه الصلاة والسلام شرّع لنا الرجوع عن الخطأ ، هذه فضيلة .

الإنسان عندما يكفر بالآخرة ، آمن بالدنيا ، استغنى عن طاعة الله ، بنى حياته على الأخذ ، الأقوياء يرفضون النصيحة ، الأنبياء يقبلونها ، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي ، ولهذا أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء ، أنا أقول للأقوياء : بطولتكم أن تتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبكم الناس .

هذه قاعدة .

قانون التيسير و التعسير :

الآن القانون :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة ، بنى حياته على العطاء ، الرد الإلهي الكريم :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

كلمة فلان محظوظ ، وفلان يده خضراء ، وفلان فوق الريح ، كله كلام باطل ليس له معنى إطلاقاً ، هناك تيسير وهناك تعسير ، التيسير له قانون والتعسير له قانون ، التيسير أساسه الإيمان بالآخرة واتقاء

أن يعصي الله ، والعطاء الرد الإلهي التيسير ، والتعسير رفض الآخرة ، استغنى عن طاعة الله ، بنى حياته على الأخذ ، فالرد الإلهي التعسير ، فلذلك:

((ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ، وما يغفر الله أكثر))

[أخرجه ابن عساكر عن البراء]

((يا عبادي ، لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم ، وإنسَكم وجِنَّكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألتَهُ ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أدخِلَ البحرَ ـ ذلك لأن عطائي كلام ، واخذي كلام ـ الشاهد هنا ، فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

هذا قانون التيسير والتعسير ، أقسم لك بالله زوال الكون أهون على الله من أن تؤمن بالآخرة ، وتسعى لها ، وتتقي أن تعصي الله ، وتبني حياتك على العطاء ثم لا توفق ، والله هذا يتناقض مع نواميس الكون، أنا أقول هذه العبارة أرددها كثيراً : زوال الكون أهون على الله من أن يخيب إنساناً آمن بالآخرة، واتقى أن يعصيه ، وأحسن إلى خلقه ، ألا يوفق في الحياة .

دكتور وائل :

ألا يكون نوعاً من أنواع الابتلاءات دكتور ؟

لن يُمكن الإنسان قبل أن يُبتلى :

الدكتور راتب النابلسي :

هذه حالة خاصة ، القاعدة التيسير ، الابتلاء امتحان ، دائماً دكتور وائل المؤمن يمر بثلاث مراحل متداخلة أو متمايزة ، كيف ؟ مع المعصية هناك تأديب ، المؤمن يغلط أحياناً ، مع الاستقامة هناك امتحان ، فإذا نجح في تأديب المعصية فتاب ، ونجح في امتحان الرخاء فصبر ، الآن يأتي التكريم ، فالتكريم هو الوضع العام المستقر ، يسبقه تأديب عند المعصية وابتلاء عند الطاعة .

الإمام الشافعي سُئل : "ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ فقال : لن تُمكن قبل أن تبتلى" . هذا وضع خاص ، أما التيسير والتعسير هذا قانونه .

دكتور وائل :

الآية الكريمة :

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ(2))

(سورة العنكبوت)

بداية ، قانون الأمن ونحن الوقت يداهمنا ، وهذا موضوع لو طرقناه بحلقات كثيرة لا نوفيه حقه ، لكن قانون الأمن .

في قلب المؤمن حالة أمن لو وزعت على أهل بلد لكفتهم :

الدكتور راتب النابلسي :

الحقيقة أن الأمن حالة دقيقة جداً ، نفي احتمال المصيبة ، ألا تقع مصيبة اسمها حالة سلامة ، أنت راكب سيارتك ، و لم تستطع أن تصلح العجلة الاحتياط ، والطريق طويل قد تصل إلى المكان دون أن تصاب بشيء لكن عندك حالة قلق مستمرة ، أي خطأ انقطعت ، فأنت تشعر أنك وصلت إلى السلامة ولكن لم تكن آمناً ، لأن عجلة الاحتياط لم تصلحها ، فالسلامة عدم حدوث مشكلة أما الأمن عدم توقع مشكلة ، أنت في خوف الفقر في فقر ، قد يكون أغنى الأغنياء فقير عند الله ، خائف يفتقر ، فهو فقير ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها . الأمن نعمة من نصيب المؤمن فقط ومعي دليل ، بقلب المؤمن حالة أمن لو وزعت على أهل بلد لكفتهم ، قال تعالى :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82))

(سورة الأنعام)

لو أن الآية أولئك الأمن لهم ولغيرهم ، أما :

(أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام)

عندما قدمنا الخبر كشبه جملة على المبتدأ المؤخر ، صار هناك قصر وحصر ، أي الأمن لهم وحدهم:

(أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ)

لذلك المؤمن من أولى خصائصه الشعور بالأمن :

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا)

(سورة التوبة الآية : 51)

بقلبه أمن لو وزع على أهل بلد لكفاهم ، تجد إنساناً معه ملايين مملينة ، معه أرصدة ، بكل بنك له رصيد وتجده في قلق ، وهناك إنسان لا يملك شيئاً ، لكن عنده أمن من الله عز وجل ، فنحن في أمس الحاجة للشعور بالأمن .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - آفاق إسلامية - الدرس (4-4) : قوانين القرآن الكريم 2 مع الدكتور وائل عربيات

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-02-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور وائل:

دكتور محمد راتب نحن دائماً نسعد بك، الشيخ محمد رشيد رضا يقول في تفسيره في قناة المنار في قول الله عز وجل:

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

[سورة الأنعام: 11]

يجب على الأمة أن يكون فيها قوم يبينون سنن الله في خلقه كما فعلوا في غيرها من العلوم، كالتوحيد، والفقه، وغيرها، ويقول: العلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، يُحيل الله إليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من الأمم الأخرى، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل معرفة حقيقة هذه الأرض، كيف ترى ضرورة معرفة قوانين القرآن الكريم؟

المصطلح القرآني سنن و المصطلح المعاصر قوانين :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، دكتور وائل جزاك الله خيراً.

بادئ ذي بدء: المصطلح القرآني سنن:

(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)

[سورة فاطر: 43]

المصطلح المعاصر قوانين، في أدق تعريفات القوانين أنها علاقة ثابتة بين متغيرين، مقطوع بصحتها، يؤيدها الواقع، عليها دليل، لو ألغينا كلمة من هذا التعريف، لو ألغينا الدليل لكانت تقليداً، التقليد لا

يجدي، المقلّد ليس كالمقلَّد، المقلّد وضع لنفسه سقفاً ولن يبلغه إلا أقل منه، فالتقليد شيء غير مقبول، علاقة ثابتة، مطردة، شاملة، عامة، يقينية، في كل مكان، في كل زمان، في كل عصر، في كل مِصر، علاقة ثابتة.

بالمناسبة ربنا عز وجل تفضل علينا فثبت ملايين القوانين، قوانين الدوران، خصائص المواد، خصائص البذور، ثبت ملايين القوانين رحمة بنا، لكنه حرك قانونين؛ قانون الصحة، وقانون الرزق، وكأن الله عز وجل أراد أن يؤدبنا، وأن يربينا، وأن يأخذ بيدنا إليه من خلال حرصنا اللامتناهي على صحتنا، وعلى رزقنا، قوانين الكون ثابتة.

تعامل الله مع البشر وفق قوانين وسنن :

الآن تعامل الله مع البشر، أو مع خلقه، أو مع المؤمنين، وفق قوانين وسنن، بالمناسبة من الصعب جداً أن تتعامل مع إنسان مزاجي، لا تعرف متى يرضى؟ لا تعرف متى يغضب؟ قد يغضب غضباً غير معقول بلا سبب، وقد يرضى بلا سبب، فأي إنسان بمؤسسة، بشركة، بوزارة، هذا التعامل على رأس هذه الوزارة، أو هذه المؤسسة، مزاجي وهو تعامل صعب جداً، لكن أي مدير مؤسسة وضع قواعد ثابتة، الموظف يترفع كل عام إن لم يأخذ إجازة، إن لم يكن عليه شكوى، وضع قواعد، فالموظف يستريح عندئذ، فإذا كان الذي يدير مؤسسة، أو شركة، أو جامعة، أو مستشفى، واضع قوانين دقيقة في التعامل مع الموظفين، هؤلاء يتنافسون، يتسابقون، هم مرتاحون نفسياً، فربنا خالقنا، مربينا، مسيرنا، ويمكن أن يعطينا أوامر فقط، لكن شاءت حكمته أن يضع لنا في التعامل معه قوانين، فالبطولة أن تأخذ هذه القانون، أنت تصور باباً تريد أن تدخله، معك مطرقة، تبذل جهداً مخيفاً، لكن بالمفتاح بضغط بسيط ينفتح الباب، فالقانون قضية سهلة جداً.

فحينما يعلم المؤمن القوانين التي تحكم العلاقة بينه وبين ربه، القضية سهلة جداً، مثلاً الله عز وجل يقول:

(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً)

[سورة الأنعام الآية : 115]

كأن الله يقول: "يا عبادي كلمتان؛ منكم الصدق ومني العدل، تتفاوتون عندي بالصدق، وأنا أعدل بينكم"، هذا قانون، "كن ابن من شئت".

اعتماد القرآن الكريم على قيمتين مرجحتين بين البشر؛ العلم والعمل :

كل المقاييس التي وضعها البشر، الأقاليم، و الأعراق، والأنساب، والمنابت الثقافية، والانتماءات القومية والطائفية، كل هذه المرجحات أغفلها الله عز وجل، أبقى مرجحين فقط، قال تعالى:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة الزمر: 9]

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

[سورة الأحقاف: 19]

القرآن الكريم اعتمد قيمتين مرجحتين بين البشر؛ قيمة العلم، وقيمة العمل، بينما البشر يعتمدون مئات المرجحات الانتمائية، وأنا أقول دائماً: أي أمة تعتمد مقاييس انتمائية تتخلف، وأي أمة تعتمد مقاييس موضوعية تتقدم.

الدكتور وائل:

أنا أشكرك، هذا في غاية الدقة ما تفضلت به أن نعتمد على مقاييس موضوعية.

الدكتور راتب:

إن الدول المتقدمة القوية جداً أحد أسباب تقدمها أنها اعتمدت فيما بين رعاياها على مقاييس موضوعية.

الدكتور وائل:

وهذا يجب أن نعترف به.

بطولة الإنسان أن يغذي عقله باليقينيات وقلبه بحبٍّ يسمو به :

الدكتور راتب:

لو تابعنا تعريف القانون، علاقة ثابتة لا تتبدل، لا تتغير لا بالزمان، ولا بالمكان، ولا بالأمصار، ولا بالأقاليم، أبداً، بين متغيرين، تطابق الواقع.

بالمناسبة العلم بتعريف جامع مانع: الوصف المطابق للواقع، فكل شيء لم يطابق الواقع يعد جهلاً، وقد نتوهم أن الجهل فراغ وعائنا من المعلومات، لا، قد يكون الوعاء ممتلأ بمعلومات مغلوطة، الجاهل هو الذي يستوعب أفكاراً غير صحيحة، فعلاقة ثابتة بين متغيرين، يؤيدها الواقع، عليها دليل، مقطوع بصحتها، عند القطع وقفة متأنية؛ هناك وهم يقدر بثلاثين بالمئة، هناك شك يقدر بخمسين بالمئة، هناك ظن من تسعين إلى خمسة وتسعين بالمئة، هناك يقين مئة بالمئة، فالبطولة أن تعتقد حقائق يقينية.

أنا أقول دائماً: الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، لكن بطولة الإنسان أن يغذي عقله باليقينيات، لا بالترهات من أوهام وأباطيل، لا بالخزعبلات، لا بالمعلومات الساذجة غير الممحصة، بطولة الإنسان أن يغذي عقله باليقينيات، ويغذي قلبه بحب يسمو به، هناك حب يسمو بالإنسان، وحب يهوي به، الحب حبان، حب في الله وحب مع الله، الحب في الله يرقى بالإنسان، الحب مع الله يهوي به، الحب مع الله أن تحب جهة ليست منضبطة، وقد تكون معتدية، لكن أصابك منها نفع، هذا حب مع الله هو عين الشرك، أما الحب في الله أن تحب الله أولاً، أن تحب أنبياءه ورسله، أن تحب سيد الأنبياء والمرسلين، أن تحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين، أن تحب العلماء العاملين والفقهاء، أن تحب أهل العلم، أن تحب الأعمال الصالحة، أن تحب المساجد والأعمال الخيرية، وأن تحب زوجتك، وحب الزوجة فرع من محبة الله لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "الحمد لله الذي رزقني حب عائشة"، من محبة الله.

الدكتور وائل:

دكتور محمد راتب الحب مع الله ما هو ضابطه إذا أردنا أن نضبط هذه الكلمة؟

ضابط الحب مع الله :

الدكتور راتب:

ألا تميل إلى جهة لا ترضي الله، معنى ذلك أن انتماءك لها انتماء مصلحي فقط، والمصلحة تثمر الحب أحياناً، ألا تنتمي إلى جهة لا ترضي الله، بل أن تنتمي إلى جهة ترضي الله.

الدكتور وائل:

أي ضابطها.

الدكتور راتب:

ضابطها استقامة المحبوب.

الدكتور وائل:

مثلاً إذا أردنا أن نسقطها على وضع العالم، هناك الأحلاف التي تصبح عالمياً، نذكر في التاريخ الإسلامية أن هناك أحلافاً إسلامية مسيحية بالمقابل هناك أحلاف مسيحية إسلامية إلى غير ذلك، هناك أناس يشاركون الناس في قضاياهم، ما هو ضابطها؟ هل هو ضابط محبة أم ضابط تعاون وتآلف؟

مفهوم المواطنة والتعايش مفهوم من أرقى المفهومات :

الدكتور راتب:

أنا لعلي ذكرت قبل أن آتي إلى هذا المكان أن النبي عليه الصلاة والسلام أتحفنا بمفهوم المواطنة والتعايش، هذا المفهوم من أرقى المفهومات، حينما دخل المدينة المنورة أبرم مع أهلها اتفاقية، تقول هذه الاتفاقية: أهل يثرب أمة واحدة، مع أن في يثرب يوجد أوس وخزرج وثنيون، وأوس وخزرج مسلمون، وفيها نصارى ويهود، وفيها أتباع وموال وأعراب، النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد وهو لا ينطق عن الهوى أن أهل يثرب أمة واحدة، سلمهم واحدة وحربهم واحدة، اليهود لهم دينهم ولنا ديننا، فأنت أحياناً تضطر أن تتفق مع جهة ليست مسلمة لكن تجمعنا بها تحديات مشتركة، وآمال مشتركة، فهذا التوافق لا شيء عليه في الدين إطلاقاً.

الدكتور وائل:

ولا يوجد نظرة عدائية بيننا وبينهم أبداً.

الابتعاد عن النظرة العدائية أثناء الحديث عن الآخر :

الدكتور راتب:

أنا أشد ما يؤلمني أن بعض الدعاة في العالم الغربي يدعون على الآخر بتدمير بلادهم، وترميل نسائهم، وتيتيم أطفالهم، مع أن دوساً قبيلة بالغت بإيذاء المسلمين والصحابة النبي دعا لهم، لِمَ لا نقلد النبي عليه الصلاة والسلام؟ لذلك القضية أن عندنا خطأ في الخطاب الديني، الخطاب الديني إذا كان خطاباً صدامياً، خطاباً تكفيرياً، خطاباً يؤكد أن ما سوى المسلم يجب أن يموت، هذا خطاب مرفوض، وعندئذ يصبح الإسلام كله مرفوضاً، هذا النجاشي، ما طبق من الإسلام شيئاً في بلده، إلا أنه حمى الصحابة فقط، فحينما جاء وفد من النجاشي خدمهم النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه، لو تعلمنا منه، لما خاطب قيصر قال: إلى عظيم الروم، ولم يسبهم.

الدكتور وائل:

اليوم الإشكالية الكبيرة أنك إذا خاطبت شخصاً بما يعرفه أهله، أي كأن تقول: هذا عظيم البلد الفلاني، هذا المقدس عند البلد الفلاني، تُشن حروب على الدعاة والمفكرين.

الدكتور راتب:

كنت في أستراليا فألقيت محاضرة، طبعاً اختاروا أكبر صالة بسيدني، ألقيت محاضرة مترجمة ترجمة فورية، صاحب المحاضرة مسيحي أثناء المحاسبة أعطاهم مئتي دولار، قالوا لِمَ؟ قال: لأن الشيخ الذي

ألقى كلمة في هذه الصالة لم يسبنا، ملاحظة دقيقة جداً يبدو أنه تعود إذا جاء داعية إسلامي يسب الطرف الآخر، لم يسبنا.

الدكتور وائل:

لكن الآن بفضل الله عز وجل بدأت هذه التحولات والخطاب الإسلامي الذي يرجع إلى أصوله الحقيقية والبعيدة عن التطرف، دكتور محمد راتب النابلسي أكثَرَ القرآن الكريم من وصف الحياة الطيبة، والكلمة الطيبة، والعمل الطيب، والبلد الطيب، وكأنه يشير إلى كلمات منتقاة في مفهوم الطيب، ماذا عن قانون الحياة الطيبة؟ هل هناك من هذه القوانين قانون يعتبر قانون حياة طيبة؟

الآية التالية أصل في موضوع الحياة الطيبة :

الدكتور راتب:

هناك آية هي أصل في هذا الموضوع:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

[سورة النحل الآية: 97]

الدقة بالغة في هذه الآية، الإنسان قد يعمل عملاً صالحاً بدافع ذكائه، بدافع مصلحته، الله عز وجل أجلّ وأعظم من ألا يكافئه، لكن يكافئه في الدنيا، فأي إنسان بدافع ذكائه، بدافعه خبرته، بدافع ثقافته، بدافع حرصه على منجزاته، بدافع حرصه على أن يكون الأعلى في المجتمع، فكان عمله طيباً، هذا العمل له عند الله أجر ولكن في الدنيا، أما المؤمن فيعمل عملاً صالحاً ابتغاء مرضاة الله فله الدنيا والآخرة.

لذلك:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً)

كلمة عمل صالحاً واسعة جداً أي زوج صالح، زوجة صالحة، موظف صالح، أستاذ جامعة صالح، تاجر صالح، صانع صالح أتقن صناعته، مدرس أتقن درسه، تاجر أعطى سعراً معتدلاً وجاء ببضاعة جيدة، هذه يمكن أن يكون حولها ندوة بكاملها، العمل الصالح كلمة جامعة مانعة تغطي كل شيء، صلاح نفسه، صلاح قلبه، صلاح طموحاته، صلاح بيته، صلاح تجارته، صلاح عمله،

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً)

المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف، والتشريف، والمسؤولية،

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كان الباعث في هذا العمل إيمانه بالله، وتعظيمه له، وابتغاؤه الدار الآخرة، الرد الإلهي الحتمي:

(فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

وقد يتوهم أحدهم أن الحياة الطيبة حياة الأغنياء، لا أبداً، الآية لا تعني الغنى إطلاقاً، تعني أن الإنسان حينما يتصل بالله يسعد بهذا القرب، تسعد بهذا القرب ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقده ولو ملكت كل شيء، هذه السكينة العطاء الإلهي الأول، تتنزل على قلوب المؤمنين، يسعدون بها ولو فقدوا كل شيء، ويشقون بفقدها ولو ملكوا كل شيء.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي   رأوه لما وليت عنا لــغيرنا

و لـو سمعت أذناك حسن خطابنا   خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولــو ذقت من طعم المحبة ذرة   عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولــو نسمت من قربنا لك نسمة   لمت غريباً واشتياقــاً لقربنا

* * *

الإسلام منـهج أخلاقي ينظم علاقة الإنسان بأخيه وعلاقته بربه :

هذه الحياة الطيبة، حياة فيها راحة نفسية، فيها رضا، فيها حكمة، فيها قرب من الله، فيها تفاؤل، فيها ثقة لعطاء الله، ثقة لنصره، ثقة بأنه متفوق بإيمانه بالله، الإنسان يشقى بحالة نفسية سيئة، ويسعد بحالة نفسية طيبة، قال تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً)

أي زواجه، عمله، شراء الحاجيات وفق منهج، المنهج الإسلامي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، منهج كامل، الشيء المؤلم أن المسلم توهم أن الإسلام هو خمس عبادات، هو خمس عبادات لكن هذه العبادات أعمدة:

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]

الخمس شيء والإسلام شيء آخر، الإسلام منهج أخلاقي، مجموعة قيم أخلاقية، مجموعة قوانين تنظم علاقة الإنسان بأخيه، وعلاقة الإنسان بربه، منهج، أنا أقول ولعلي لست مبالغاً: قد يصل إلى خمسمئة ألف بند، الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، أحد بنوده، فحينما تعتقد أن هناك منهجاً تفصيلياً رسمه الله عز وجل، رسم كلياته في القرآن الكريم، وتفاصيله في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، هذا المنهج إذا طبقته عشت حياة طيبة، الحياة التي أرادها الله لك، حياة الإيمان، حياة الحب، حياة الرحمة، حياة الزوجة الصالحة، الابن الصالح، حياة العامل الصالح، ما عند الله عز وجل متاح لكل البشر، من دون استثناء، والآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

[سورة الحجرات: 13]

هذه الحياة الطيبة، توفيق بالدراسة، توفيق بالصحة، توفيق بالعمل، توفيق بالعلاقات الاجتماعية، توفيق بالدعوة.

الدكتور وائل: ما هو السر؟ هل العمل الصالح هو الذي يقودنا إلى التوفيق؟

الله عز وجل لا يتعامل معنا بالتمنيات لأن التمنيات بضائع الحمقى :

الدكتور راتب:

لا، الإنسان يوفق إلى عمل صالح، لك أن تطلب، الكلمة الدقيقة:

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)

[سورة الإسراء: 20]

لا تملك إلا أن تطلب من الله، الذي يؤلمني أشد الألم أن الناس عاجزون عن الطلب فقط، اطلب، اطلب أن تكون داعية، اطلب أن تكون عالماً، اطلب أن تكون مصلحاً، اطلب أن تكون محسناً، أقسم لك بالله يقيني بهذه الآية يفوق حدّ الخيال، لو طلبت أن تكون أغنى أغنياء الأرض من أجل أن تنفق هذا المال لخدمة المؤمنين والناس أجمعين لبلغت ذلك، الله عز وجل لا يتعامل معنا بالتمنيات أبداً :

(لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ)

[سورة النساء: 123]

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

[سورة الإسراء: 19]

لأنه صادق في طلبها، وسعى لها سعيها، فالله ينتظر منا أن نسأله:

(كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء)

الأغنياء طلبوا الغنى، الأقوياء طلبوا القوة، قد يكون الطلب نفسياً ليس شرطاً أن ينطق به، ما الذي تطلبه؟ الكلمة الدقيقة الدقيقة ما أنت فيه هو صدقك، وما لست فيه تمنياتك، كل طالب يتمنى أن يكون الأول على البلاد لكن لا يبذل جهداً يتوافق مع هذه الأمنية فالتمنيات لا قيمة لها، والعالم الإسلامي يتمنى النصر، يتمنى التفوق، يتمنى أن تأتي معجزة تهلك أعداءه، لا يتعامل الله إلا مع الصادقين، أي مع الحريصين على تحقيق ما يطمحون إليه.

الاستقامة ترقى بالإنسان إلى الهدف الذي أراده الله له :

إذاً هذا القانون:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

[سورة النحل: 97]

الحياة الطيبة واسعة جداً تطيب بها النفس، تسعد بها النفس، ترقى بها النفس، تتفاعل بها النفس، تتفوق بها النفس، الشيء الطيب شيء مريح للنفس، وأدق اتصال بينها وبين النفس أن هذه النفس تطيب بها، عفواً لو أن إنساناً تناول عصير فاكهة تطيب نفسه بهذا الشراب، لو شرب الخمر تخبث نفسه بهذا الشراب، هناك طعام مسرطن، وهناك طعام مغذٍّ، هناك علاقة ترقى بك إلى الله وعلاقة تهوي بك، هناك زوجة تسعدك، و زوجة تشقيك، هناك حرفة مبنية على ابتزاز أموال الآخرين تشقى بها، و حرفة أساسها الغش معها تدمير ، الاستقامة ترقى بك إلى الهدف الذي أراده الله لك.

إذاً:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

وأنا أؤمن أن الأنثى لا تقل عن الذكر ولا واحد بالمليار، المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف، وفي التشريف، وفي المسؤولية، المرأة ترقى برعايتها لزوجها وأولادها إلى أعلى مستوى في الجنة:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ـ يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

الإعراض عن ذكر الله عز وجل يؤدي بصاحبه إلى جهنم :

لذلك هذا القانون الأول، طبعاً يقابله قانون آخر:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

[سورة طه: 124]

الإعراض عن ذكر الله، ذكر الدنيا، ذكر المال، ذكر النساء، ذكر الطموحات، أراد الدنيا ولم يعبأ بالآخرة، أبعد الآخرة عن حساباته، ما أدخلها في حساباته إطلاقاً، نسي أن الله سيحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة، هذا الذي أعرض عن ذكر الله، ما طبق منهجه، ما اتصل به، ما أدى فروضه، ما صام شهره، ما صلى الصلوات الخمس، ما حج بيت الله الحرام، ما أراد أن يكون قريباً من الله عز وجل، أعرض عن ذكر الله، عفواً أريد أن أضرب مثلاً بسيطاً، طالب كسول الأستاذ له جسم ضخم، وصوت جهوري، حينما أعرض عن الله ليس معنى ذلك أنه لم يؤمن به، آمن به لكنه لم يطبق أمره:

(أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)

[سورة التوبة: 54]

آية دقيقة، معنى ذلك أنهم يصلون وينفقون.

الدكتور وائل:

كيف وصفهم؟

الكفر درجات و ليس درجة واحدة :

الدكتور راتب:

طبعاً الكفر درجات، هناك كفر يخرج من الملة، أن تنكر وجود الله، هناك كفر كما قال النبي عليه الصلاة والسلام دون كفر، فأنت حينما لا تعبأ ببعض الأحكام الشرعية مع أنها قرآنية، لا تعبأ بقانون غض البصر، لا تعبأ بقانون أن الربا محرم، يقول لك: العصر هكذا، فعندما تنكر حكماً في القرآن الكريم أو ما جاء في السنة، ولا تعبأ به فهذا نوع من الكفر به.

الدكتور وائل:

وهذا الأمر حقيقة يقتضي أن من يتصدون إلى مهمة تكفير الآخرين، أن ينظروا إلى أن الكفر درجات وأن هناك كفر عمل، وكفر اعتقاد، والكفر ليس درجة واحدة.

تقييم الأشخاص ليس من شأن البشر بل من شأن خالق البشر :

الدكتور راتب:

لكن لي رأياً بهذا الموضوع لو سمحت لي به، أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن تقييم الأشخاص ليس من شأن البشر، من شأن خالق البشر، أنا أتمنى على كل مؤمن أن يكف عن تكفير الآخرين، هذا الموضوع ليس من اختصاصهم، بل إنني أقول: هذا تطاول على الله، ولبعض العلماء الكبار قاعدة رائعة، يقول: نحن لا نكفر بالتعيين، أنت ممنوع منعاً باتاً أن تقول: فلان كافر، من أنت؟ لكن من أنكر وجود الله، من أكل الربا واستحله ورآه هو الصواب فقد كفر بهذا المنهج، لا بد من أن تكفر حالات، أو تصورات، أو أعمال، أما أن تكفر أشخاصاً القاعدة الأساسية لا نكفر بالتعيين، ثم في بعض الأحاديث:"من كفّر مؤمناً فقد كفر"، تكفير المسلم كفر، من هو المسلم؟ قال: من غلب عليه الصلاح والتستر، هو لم يرتكب كبيرة، صائم، مصلٍّ، له عمل، دخله مشروع، أولاده لهم تربية جيدة، بناته محجبات، هذا مسلم، لا

يوجد عندنا خبر سيئ عنه، أنا لا أقول: هو معصوم، لكن يغلب عليه الصلاح ولو أنه مرة صلى الفجر بعد الشمس، لا يفتخر بها يتستر، هذا تحرم غيبته، لذلك في بعض الأحاديث:

"من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن حرمت غيبته، وكملت مروءته، وظهر عدله، ووجبت أخوته".

أما من عامل الناس فظلمهم، فقد سقطت عدالته، حدثهم فكذبهم، سقطت عدالته، وعدهم فأخلفهم، سقطت عدالته، لكن العلماء الكرام ذكروا حالات كثيرة جداً بعمل لا يسقط العدالة لكنه يجرحها، من أكل في الطريق، من مشى حافياً، من بال في الطريق، من كان حديثه عن النساء، من تنزه في الطريق.

الدكتور وائل:

هذه من تنزه في الطريق، أو من كان حافياً، أو غيرها، ألا تعتبر قرفية مثلاً في ظل أحوال معينة ثم تتغير؟

الأشياء الثابتة في كلّ عصر :

الدكتور راتب:

ممكن لأن هذه بظرف معين، لكن التطفيف بتمرة، أكل لقمة من حرام، فاكهة غالية جداً تأخذ قطعة تأكلها كم السعر؟ السعر غال وتمشي! هذا أكل لقمة من حرام، صَحِب الأراذل، تنزه بالطرقات يملأ عينيه من محاسن النساء، هناك أشياء ثابتة في كل عصر.

الدكتور وائل:

حديثنا في هذه الحلقة قوانين القرآن الكريم، قانون الاستخلاف يقول الله :

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)

[سورة البقرة: 30]

خلافة الإنسان لله في أرضه تقتضي أن يعمر هذه الأرض، يستخلفها في وجوه النفع، أن يراقب هذه الأرض فيكون مسؤولاً عنها، إلى أي درجة سعى الإسلام أن يكرس مفهوماً في ذهن الإنسان أياً كان هذا الإنسان مسلماً أو غير مسلم على أنه مستخلف في هذه الأرض، ولكن الاستخلاف يكون في الدرجة الأولى المسلمون مسؤولون عنه.

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

الدكتور راتب:

دكتور وائل، جزاكم الله خيراً، أنا أتصور أن هذا الموضوع يحتاج إلى مقدمة، ذلك أن الله إذا وعد المؤمنين وعداً زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين:

(وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)

[سورة التوبة: 111]

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)

[سورة النساء: 87]

هناك من يتوهم أن كل وعود القرآن الكريم إلى المؤمنين غير واقعة، الحقيقة هناك مفارقة حادة بين واقع المسلمين وبين وعود رب العالمين، من هذه الوعود المتعلقة بالاستخلاف:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور الآية : 55]

أي أن يكونوا قادة للأمم، أن يكونوا مستخلفين من الله، أن ينشروا هذا الدين في أطراف المعمورة:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور: 55]

ويبدو للاستخلاف قانون آخر:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً)

[سورة النور الآية: 55]

وعدنا بالاستخلاف، والتمكين، والتطمين، أنا أقول دائماً: الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، نحن ـ لا أقول عن بلد معين، أقول على مستوى العالم الإسلامي ـ لسنا مستخلفين، ولسنا ممكنين، ولسنا آمنين.

الدكتور وائل:

أسبابه؟

إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل يعني تفريغها من مضمونها :

الدكتور راتب:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم:59]

وقد لقينا ذلك الغي، بالمناسبة أضاعوا الصلاة وقد أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها:

(أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)

[سورة التوبة: 54]

هم عند الله كافرون بنوع من الكفر مع أنهم يصلون، أضاعوا الصلاة لا يعني تركها، بل يعني تفريغها من مضمونها، لأن الإنسان حينما يصلي الله عز وجل يقول:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

أي من لوازم الصلاة أن تمنعك لا ردعاً بل وازعاً عن أي عمل سيئ، فحينما ترى مصلياً يغش المسلمين، ترى مصلياً يأكل مال الناس بالباطل، ترى مصلياً يعتدي على أعراض الناس ولو بالنظر، هذا المصلي، ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكفّ شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، فهذه الصلاة تؤكد أن من ثمارها القطعية اليانعة العمل الصالح:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

أي مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن يقع المصلي الذي صلى كما أراد الله بالفحشاء والمنكر.

من ذكر الله أدى واجب العبودية ومن ذكره الله منحه الأمن و الطمأنينة :

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

المعنى الأولي ذكر الله أكبر ما فيها، لقول الله :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه: 14]

لكن لابن عباس معنى رائعاً جداً: ذكر الله لك أيها المصلي وأنت تصلي أكبر من ذكرك له، لأنك إن ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إذا ذكرك منحك الأمن، منحك التوفيق، منحك الحكمة، منحك الرضا، هذه ثمار مذهلة، لكن مليار وخمسمئة مليون يصلون وليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل، مشكلة كبيرة جداً لذلك: ليس كل مصلٍّ يصلي.

الدكتور وائل:

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ، فليسَ للهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

المذنب يحجبه ذنبه عن الاتصال بالله عز وجل :

الدكتور راتب:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم:59]

أضاعوا الصلاة لا يعني تركها، بل يعني تفريغها من مضمونها، أي ألا تسبقها استقامة، فإن لم يسبقها استقامة أصبحت صلاة شكلية، لو أن إنساناً من المسلمين أو المشاهدين أو المستمعين عمل عملاً لا يرضي الله بعدها صلى العشاء هل يستطيع بهذه الصلاة أن يتصل بالله؟ لا، بل يؤدي حركات الصلاة؛ يقرأ ما ينبغي أن يقرأه، يركع، ويسجد، أما هل يستطيع أن يتصل بالله؟ الجواب لا، حجبه ذنبه عن الاتصال بالله، هذه حقيقة مرة، ليس كل مصلٍّ يصلي:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم:59]

من أجمل ما قرأت في قوله تعالى:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء :88-89]

القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، القلب السليم هو القلب الذي لا يقبل خبراً يتناقض مع وحي الله، القلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لشرع الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد إلا الله:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

العالم الآن يعبد مصالحه وليس له مبدأ يعبده :

الآن أول تفسير قرآني للتناقض المريع والمفارقة الحادة بين واقع المسلمين وبين وعود رب العالمين أنه:

(خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ)

في آخر الزمان يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، في آخر الزمان يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، يؤتمن الخائن، ويخون الأمين، في آخر الزمان ترى أناساً تافهين يتحدثون عن مصير الأرض، مثلاً حينما تقول ملكة ماتت بحادث في الغرب،

في مؤتمر صحفي بث على إحدى عشرة فضائية، أنها زنت عشر مرات، ولما ماتت مشى في جنازتها ستة ملايين إنسان، ما هذا العالم؟ حينما ترى أن هناك جرائم ترتكب في العالم والعالم ساكت سكوتاً مطبقاً، هذه مشكلة كبيرة، أي العالم يعبد مصالحه، ليس له مبدأ يعبده، نحن في آخر الزمان، لذلك:

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً حتى يأتي أخي عيسى فيملؤها قسطاً وعدلاً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

[سورة مريم الآية : 59]

ولقد لقينا ذلك الغي، لكن الطريق مفتوح إلى الله وبأي لحظة الصلحة بلمحة.

الدكتور وائل:

أي إذا كان هذا الحديث الذي تفضلت به يقودنا إلى قانون آخر، اسمح لي أن تتداخل هذه القوانين معاً حتى نصل إلى تلك الحقيقة، قانون الاستخلاف في الأرض، وأنت ذكرت بأن الخلف الذي أضاعوا الصلوات سوف يلقون غياً، وهناك من يرى من العلماء والمفكرين أن مرحلة الصحوة قد شارفت على الغروب ـ مما ذكرته سابقاً ـ وأننا الآن في مرحلة اليقظة، إذاً كيف يمكن أن نصل إلى مرحلة الاستخلاف مرة أخرى؟ ما هو القانون الذي يضبط مرحلة الاستخلاف هل هو قانون التغيير أيضاً؟

الجرعات المنعشة من الله عز وجل للمسلمين :

الدكتور راتب:

لا شك في مقدمة دقيقة جداً، إن صحّ أن هناك سطحاً عليه المبادئ والقيم في الأرض، قبل خمسين عاماً فيما أتصور كان هناك ثلاث كتل، الشرق، والغرب، والإسلام، الشرق تداعى من الداخل، ماذا بقي على هذا السطح؟ الغرب والإسلام، أنا أتكلم كلاماً موضوعياً؛ الغرب غني جداً، وذكي جداً، وقوي جداً، وطرح قيماً رائعة جداً، طرح قيمة الحرية، وطرح قيمة حقوق الإنسان، وطرح تكافؤ الفرص، فخطف أبصار أهل الأرض حتى أن كل إنسان في الأرض يتمنى هذه البطاقة الخضراء، وكأنها بطاقة إلى الجنة، والذي حدث لحكمة بالغة أن الله ما كان ليذر المؤمنين على ما هم عليه، ويقاس عليها الدول أيضاً، فهذه الدول العملاقة الغربية التي طرحت طروحات رائعة جداً هم ليسوا كذلك، وضعهم بظرف معين فانقلبوا إلى وحوش، رأينا وحشيتهم في أفغانستان، في العراق، وهنا وهنا، ما الذي حدث؟ سقط الغرب كحضارة وبقي قوة غاشمة، ما الذي بقي على هذا السطح؟ الإسلام وحده.

لذلك قال أحد أكبر علماء الغرب وهو مقيم في أمريكا: "أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب، على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم

كله سيركع أمام أقدام المسلمين، لا لأنهم أقوياء، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام".
نحن والحقيقة مرة خلال نكبات تتابعت في العصر الحديث أورثتنا ثقافة اليأس، وثقافة الإحباط، وثقافة الطريق المسدود، لكن الله جلّ جلاله ما نسينا أعطانا جرعات منعشة، من هذه الجرعات انهيار النظام العالمي المبني على الربا، هذا دعم لديننا، والعالم الغربي الآن كله يتحدث عن النظام الإسلامي، من هذه الجرعات كيف أن أخوتنا في تركيا استطاعوا أن يصمتوا عن الحديث عن الدين ويقدموا إنجازاً حضارياً أقنع الطرف الآخر، هذا إنجاز أيضاً، جرعة منعشة ثانية موقف الأتراك من دافوس هذا جرعة منعشة، انتصار أخوتنا في غزة، هذه جرعات منعشة، ذكرتنا بماضينا، كأن الله أراد أن يقول لنا: أنا موجود يا عبادي، ثقوا بي، اصطلحوا معي، الأمر بيدي، موازين القوى بيدي، أي: عفواً جيش عملاق في المنطقة يعد الأول في تنوع الأسلحة، و يعد الرابع في العالم، لم يستطع خلال اثنين وعشرين يوماً أن يحقق أهدافه، هذه كلها جرعات منعشة أعطتنا الثقة، لذلك قال هذا العالم: "أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين، لا لأنهم أقوياء، ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام، بشرط ـ هذا الشرط ورقة العمل لنا ـ أن يحسن المسلمون فهم دينهم، وأن يحسنوا تطبيقه، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر.

الدكتور وائل:

هذا ما حصل هنا مع فتح الله وكيف أنه قدم هذا الدين للآخر لا على أنه عقيدة وإنما على أنه منجز حضاري يمكن أن يكون خلاصاً في محاربة الفقر، محاربة الأمية، وغيرها من القضايا، واستطاع أن يجيب على إشكاليات كثيرة.

الدين يمكن أن يكون خلاصاً في محاربة الفقر و الأمية :

الدكتور راتب:

أنا أقول: المسلمون بحاجة إلى تجربتين، تجربة ماليزيا الاقتصادية، وأنا سافرت إلى ماليزيا على رأس وفد رسمي في مؤتمر إسلامي، فالتقى بنا السفير السوري في المطار، وقال لنا: إن هذا البلد مجموع صادراته إلى العالم تفوق صادرات العالم العربي بأكمله بما فيه النفط، ثلاثة وعشرون مليوناً كانوا في الغابات قبل ربع قرن، الآن عندهم فائض نقدي يقدر بستين مليار دولار، نحن في أمس الحاجة إلى هذه التجربة.

الدكتور وائل:

كيف نجحت هذه التجربة؟ من أين بدؤوا بعمليات الإصلاح؟ هل الإصلاح بدأ عندهم من الداخل أم الإصلاح فرض عليهم من الخارج؟

الدكتور راتب:

العمل، أقول لك كلمة دقيقة: هناك إحصاءات دقيقة جداً تؤكد أن المواطن في دول شرق أوسطية ـ لا أعيّن ـ يعمل سبع عشرة دقيقة إلى سبع وعشرين دقيقة في اليوم فقط، في الغرب يعمل ثماني ساعات، لا أصدق أمة يعمل أفرادها سبعاً وعشرين دقيقة في اليوم تغلب أمة يعمل أفرادها ثماني ساعات، هذا كلام دقيق أنا دائماً أبتعد عن الوهم، أقول: الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، عقب سقوط بغداد، كان هناك مسابقة بين مغنيتين، المحطة التي أجرت هذه المسابقة تلقت ستاً وثمانين مليون اتصال، هذه قيمتها ألوف الملايين، بغداد سقطت، نعاني ما نعاني، والله في بلد آخر خلال عشرين يوماً صدر أربعة وستين مليون اتصال لقناة ساقطة هابطة، عندنا مشكلة كبيرة.

الدكتور وائل:

مشكلتنا أين تتلخص؟ هل هي فجوة بين النخبة وبين الأمة؟ أم علاقة أولي الأيدي بأولي الأبصار؟

الإصلاح يبدأ من التعليم :

الدكتور راتب:

والله أنا في مثل هذه الأسئلة أنا أتجنب أن أعزو هذا إلى جهة واحدة، أنا أقول دائماً هذه الظاهرة الخطيرة التخلف، نحن جميعاً ـ شعوب وحكومات، وكبار وصغار، ومسؤولون ـ محاسبون عنه، القضية كبيرة جداً.

الدكتور وائل:

من أين يبدأ الإصلاح؟

الدكتور راتب:

من التعليم، يجب أن تتناغم المناهج الدراسية، والتوجيه الأسري، والتوجيه الديني، ثلاثة خطوط، الطالب يأتي إلى المسجد يتحدث الخطيب أن آدم أبو البشرية، يدخل إلى المدرسة يتحدث أستاذ الطبيعيات أن القرد هو أبو البشرية، هذا تناقض كبير جداً، ما لم تتناغم مناهج التدريس مع وسائل الإعلام مع الأسرة، تعرض نظرية دارون بما لها وما عليها، والله أنا عندي شريط عن دارون إذا شاهده المسلم مستحيل أن يؤمن بها، من أقوال علماء غربيين، هذه النظرية ساقطة الآن لكن يعتني العالم بها لأنها مريحة، دكتور وائل الإنسان أحياناً يعتقد بشيء غير صحيح لكنه مريح، كنت أضرب

مثلاً: أراد شخص شراء سيارة ولم يشترِ بعد، والثاني أراد شراء سيارة واشترى، سرت إشاعة أن هناك مشروع قانون بتخفيض الرسوم إلى النصف، الذي اشترى يكذب الإشاعة، من دون دليل يكذبها، والذي لم يشترِ يصدقها من دون دليل.

فالإنسان مهيأ أن يصدق شيئاً من دون دليل، شيء يريحه، نظرية داروين مريحة لأنها تلغي المحاسبة، تلغي وجود الإله، تلغي الآخرة كلياً، الذين يقصفون الدول ويبيدون الشعوب هم مرتاحون بداروين.

الدكتور وائل:

نحن تحدثنا مع الدكتور زغلول نجار عن هذه النظرية بحلقتين عن خلق الإنسان بالقرآن الكريم، وبالفعل سقطت هذه النظرية تاريخياً منذ فترة، لكن دكتور أنت أشرت إلى نقطة وأنا أشكرك عليها، وهي قضية التعليم، ونحن اليوم نلاحظ على مستوى عالمنا العربي والإسلامي، إما تعليم كما يقال رفع عتب، وإما تعليم أمريكي وتربية غربية، وإما تعليم إسلامي وتربية إسلامية، وهذه الحقيقة كلاهما طامة كبرى، نحن الآن لا نريد أن نتغنى بالماضي، أنا من الناس الذين يحبون التاريخ، وأؤكد أن التاريخ ليس ماضياً هو حركة عقلانية، لأن الأمم التي ليس لها تاريخ تبدأ من الصفر، لكن علينا أن ندرك الواقع المر، والحقيقة المرة، بأننا اليوم لا نمثل نظاماً تعليماً راقياً، وإن كان هذا لنظام التعليم الراقي لسرنا على وفقه، ولتحركنا في هذا العالم، لكن لا بد لنا من أن نستفيد من تجارب الأمم الأخرى التعليمية، وأن نطبق مناهج تعليمية، ولكن أن تكون تربيتنا إسلامية، ما رأي الدكتور محمد راتب ؟

بطولتنا أن نقلد في الدين وأن نطور خطابنا الديني :

الدكتور راتب:

سئل مفكر كبير: ماذا نأخذ وماذا ندع من الغرب؟ قال: نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم، ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال، وهل من المعقول إذا لسعتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها؟ أنا أقول: نحن مكلفون أن نقلد في ديننا، ديننا توقيفي لا يحتمل لا التطوير، ولا التغيير، ولا الزيادة، نطور خطابنا الديني ممكن، لكن نحن أمرنا أن نقلد في ديننا وأن نبتدع في دنيانا، أن نطور دنيانا، وأن نحل مشكلات شبابنا، الشباب هم المستقبل وما لم نهيئ لهم أعمالاً، وفرص عمل، وزوجات، وبيوتاً، نحن أمام قنبلة موقوتة، الشباب أمام تطرفين؛ تطرف تفلتي إلغاء القيم الإباحية، أو تطرف تشددي التكفير ثم التفجير، هذه مشكلة كبيرة جداً، أنا أقول: يجب أن نقلد في الدين وأن نطور خطابنا الديني، لكن البطولة أن نبتدع حلولاً لمشكلاتنا في الدنيا.

لذلك ما دامت العنوسة عندنا عالية جداً، والبطالة عالية، والأمية عالية، ونستورد ولا نصدر، وبأسنا بيننا، وسلمنا لأعدائنا، لا يحترمنا الغرب، القضية خطيرة جداً، أنا أقول لك رأيي الشخصي: الغرب لا يحبنا بدليل قوله تعالى:

(هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ)

[سورة آل عمران: 119]

لكن بين ألا يحبنا ويحتقرنا وبين لا يحبنا ويحترمنا، ممكن ألا يحبنا لكنه يحترمنا، يحترمنا إذا حللنا مشكلاتنا، الخطاب الديني ولو نجح أنا أقول لا يقنع الآخر مادام واقعنا سيئ جداً.

الدكتور وائل:

والفقه أن يحيط بالواقع وأن يقدم حلولاً لمشكلاتنا، لا نريد أن نقول هذا حرام من منطلق أنه حرام، أعطنا حلاً؟

الانتماء للمجموع أساس في حلّ مشكلاتنا :

الدكتور راتب:

ما الذي يمنع أن نكرس نظام فريق العمل الذي قوي به الغرب، العمل المؤسساتي، الانتماء للمجموع، أنا مرة ضربت مثلاً: إنسان لا ينتمي للمجموع، مستلق تحت شجرة تفاح قد قطفت كلها بقيت تفاحة كبيرة جداً لم يرها الذين قطفوا التفاح، اشتهاها، معه منشار شجر قطع الشجرة، وأخذ التفاحة وأكلها، هذا وضع الذي ينتمي إلى مصالحه لا إلى أمته، نحن بحاجة إلى انتماء للمجموع، بحاجة إلى نظام فريق العمل، عمل مؤسساتي.

الدكتور وائل:

وأنا أتصور أنه يبدأ من المدرسة؛ التعليم على فريق العمل، نحن اليوم حتى على مستوى الجامعة، الجامعة تدعو إلى البحث العلمي المشترك، بعض الأساتذة في الجامعات ماذا يفعلون؟ مطلوب منك عدد نقاط معين تكتب بحثاً عني وأكتب بحثاً عنك، وبالتالي مطلوب عشر نقاط يصبح كأني كتبت خمس نقاط، لم يعد هناك تعاون، هذه إشكالية.

الدكتور راتب:

هل تصدق أن الألعاب في العالم الغربي لا تستخدم إلا من قبل خمسة أطفال، فإن لم يتعاونوا لا تلعب، يدخلون التعاون في دمائهم، هم يتعاونون وبينهم خمسة بالمئة قواسم مشتركة، والله مرة كنت في جنيف قال لي أحدهم: هناك مطعم في فرنسا طعامه طيب، وكنت مرة في سويسرا، أيضاً بمدينة جانب إيطاليا،

المكتب في سويسرا، وبيته في إيطاليا، أين الحدود؟ نحن نقف ساعات طويلة بين بلدين مسلمين.

الدكتور وائل:

على مستوى الجامعات لننتقل قليلاً كيف الغرب احترمت أساتذة جامعاتها، لأن هذا الذي يسود القرار، الأستاذ الجامعي في الغرب عليه حصانة سياسية، إذا ذهب إلى مكان لا يؤخر يقدم على بقية الناس، لأن هذا وقته ثمين، ميزانيات البحث العلمي ويجبرون عليها، لماذا نحن لا نقول في آخر كل عام أساتذة الجامعات يفرغون إلى الاستفادة من تجارب أخرى في الغرب وارجع لي بتقرير بمقدار التفاعل بين هذا و ذلك؟ لماذا لا نفعل علاقة الجامعات بالوزارات الحكومية؟ إذا حدث عندهم إشكالية معينة أول ما يحتمون بجامعاتهم وأساتذتهم، لأن خلاصهم بأيدي هؤلاء على يد العلم.

الطب والتعليم أساسيات حياة الإنسان :

الدكتور راتب:

عندي بعض التعريف للجامعات في البلاد النامية، أنها مدرسة يدخلها الطالب جاهلاً متواضعاً يخرج منها جاهلاً متكبراً، الجامعة أساس تقدمنا فيجب أن نعتني بها، أنا أتمنى أن يعتني المسلمون بالطب وبالتعليم، الطب والتعليم أساسيات حياتنا، لكن أنا متفائل أن هناك تطوراً.

الدكتور وائل:

الأردن اهتم بقطاع الطب.

الدكتور راتب:

وأنا أقدر ذلك بهذا البلد الطيب، أرجو الله تعالى أن تكون هذه القوانين مفعلة في حياتنا.

الدكتور وائل:

قانون النصر ماذا عنه؟

شروط قانون النصر :

الدكتور راتب:

القانون يحتاج إلى ندوة كاملة، لا بد من إيمان يحمل على طاعة الله:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الروم: 47]

ولا بد من إعداد المتاح:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

[سورة الأنفال: 60]

إعداد من دون إيمان لا يكفي، إيمان من دون إعداد لا يكفي، إعداد وإيمان، الإيمان أي إيمان؟ الذي يحمل على طاعة الله، إيمان مطبق، وأي نصر وأي إعداد؟ إعداد ما تستطيع، ومن رحمة الله بنا أنه ما كلفنا أن نعد القوة المكافئة، كلفنا أن نعد القوة المتاحة، قال تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

هناك نصر مبدئي، هناك نصر تقليدي، هناك نصر تفضلي، هناك نصر استحقاقي، هناك نصر كوني، فحينما يتحارب فريقان بعيدان عن الله الأقوى هو الذي ينتصر، وعندما يتحارب مؤمن وغير مؤمن المنتصر هو المؤمن بدعم الله، لذلك المعركة بين حقين لا تكون، وبين حق وباطل لا تطول لأن الله مع الحق، وبين باطلين لا تنتهي.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - المجالس العلمية الهاشمية - الدرس (1-4) : قواعد الأخلاق في الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين بالجمهورية العربية السورية ، فليتفضل مشكوراً .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين المعظم ، أصحاب المعالي والسماحة ، الأخوة المؤمنون حضوراً ومشاهدين ومستمعين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من آمن أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله وبنى حياته على العطاء :

أيها الأخوة الأكارم ، الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

هو المخلوق الأول رتبة والمخلوق المكرم :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70))

(سورة الإسراء)

والإنسان هو المخلوق المكلف ، مكلف أن يعبد الله ، والعبادة علة وجوده وهي في بعض تعاريفها الدقيقة : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية . ولكن حينما يؤمن الإنسان أنه مخلوق للجنة ، ينطلق من هذه العقيدة بحرصه البالغ على طاعة الله يتقي أن

يعصيه ، وينطلق من خلال هذه العقيدة على العمل الصالح ، أما حينما يغفل الإنسان أنه مخلوق للجنة ويؤمن بالدنيا وحدها يستغني عن طاعة الله وعن العمل الصالح .

الأخلاق استقامة وعمل صالح :

لذلك الأخلاق في جوهرها استقامة وعمل صالح ، الاستقامة سلبية ، ما كذب ولا خان ولا غش ولا فعل كذا وكذا كلها تبدأ بلاءات ، أما العمل الصالح بذل وعطاء ، بذل من جهدك ، ومن وقتك ، ومن علمك ، ومن جاهك ، فلذلك الأخلاق في جوهرها كفّ عن المنكرات وفعل الطاعات ، فإذا آمن الإنسان أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله وبنى حياته على العطاء قال تعالى ، دققوا :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

لأنه صدق بالحسنى وهي الجنة اتقى أن يعصي الله وبنى حياته على العطاء ، لذلك الرد الإلهي التكريمي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

(سورة الليل)

الناس رجلان لا ثالث لهما :

(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

انطلق من أن الدنيا هي كل شيء هي نهاية الآمال ومحط الرحال ، عندئذ استغنى عن طاعة الله وعن الاستقامة وبنى حياته على الأخذ ، لهذا البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم ، لا يزيدون عن رجلين رجل عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، ورجل غفل عن الدنيا والآخرة وتفلت من منهجه وأساء لخلقه فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، ولن تجد نموذجاً ثالثاً .

منطلقات الأخلاق :

1 ـ أن نؤمن أننا مخلوقون للجنة عندئذ نتقي أن نعصي الله ونبني حياتنا على العطاء :

يقع على رأس الهرم البشري زمرتان الأنبياء والأقوياء ، الأنبياء ملكوا القلوب ، والأقوياء ملكوا الرقاب ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء عاش الناس لهم ، والناس جميعاً تبعٌ لقوي أو نبي ، لهذا أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء ، وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الناس .

فالمنطلق الأول للأخلاق أن نؤمن أننا مخلوقون للجنة ، عندئذ نتقي أن نعصي الله ونبني حياتنا على العطاء ، هذا البند الأول .

2 ـ الشهوات حيادية إما أن توظف في الخير أو في الشر :

البند الثاني أودع الله فينا الشهوات ، هذه في كل إنسان قال تعالى :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

لولا الشهوات ما ارتقينا إلى رب الأرض والسماوات ، لأننا بالشهوات نرتقي مرتين نرتقي صابرين ونرتقي شاكرين ، إذا ارتقينا شهوة لا ترضي الله نرتقي إلى الله صابرين ، أما إذا مارسنا شهوة وفق منهج الله نرتقي إلى الله شاكرين ، فهي سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها ، إنها كالوقود السائل إذا وضع في المستودع المحكّم ، وسال في الأنبوب المحكم ، وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ولّد حركة نافعة ، أقلتك هذه السيارة أنت وأهلك في يوم جميل ، أما إذا صبّ على السيارة ، أعطها شرارة ، أحرقت المركبة ومن فيها ، إذاً الشهوات حيادية إما أن توظف في الخير أو في الشر .

الشهوات سلم للرقي إلى رب السماوات و الأرض :

الشهوة إما أن تكون سلماً نرقى بها أو دركات نهوي بها ، إما أن تكون قوة دافعة أو قوة مدمرة ، ما الذي يضبطها ؟ منهج الله ، ولأن الإنسان مخير بإمكانه أن يتحرك مئة وثمانون درجة بهذه الشهوات ولكن الشرع سمح له بحيز محدود فإذا أبقى حركته وفق هذا الحيز ارتقى بالشهوات إلى الله ،

قال تعالى:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المخالف ، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، لذلك ليس في الإسلام حرمان ، في الإسلام تنظيم ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل قناة نظيفة تسري خلالها ، هذا المنطلق الثاني ، حتى هذه الشهوات هي أداة محركة ، الشهوة في الإنسان كالمحرك في المركبة ، الشرع كالطريق المعبد ، العقل كالمقود ، مهمة المقود أن يحافظ على بقاء المركبة على الطريق وهي تنطلق لفعل الشهوات ، في انسجام ، في دقة بالغة .

التوحيد نهاية العلم والتقوى نهاية العمل :

أيها الأخوة ، شيء آخر علاقة الأخلاق بالتوحيد ، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، التوحيد نهاية العلم والتقوى نهاية العمل ، فلذلك الإنسان حينما يؤمن أن الله وحده هو الرافع وهو الخافض ، وهو المعطي وهو المانع ، وهو المعز وهو المذل :

(مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

(سورة الكهف)

أنت حينما تؤمن أن الأمر بيد الله وحده تتجه إليه ، وتصمد أمام كل الضغوط .

لذلك حينما التقى سيدنا ابن عمر راعياً قال له : بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، قال له الراعي : ليست لي ، يقول : قل لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب ، يقول الراعي : ليست لي ، يقول له : خذ ثمنها ، يقول له الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، هذا الراعي وضع يده على حقيقة الدين ، أنت حينما تقول أين الله وصلت إلى أربعة أخماس الطريق .

الكون مظهر لأسماء الله الحسنى :

أيها الأخوة الكرام ، الأخلاق والتفكر ، الله عز وجل جعل الكون كله مظهراً لأسماء الله الحسنى قال تعالى :

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)

(سورة البلد)

أعلى آلة تصوير احترافية رقمية في كل ميليمتر مربع عشرة آلاف مستقبل ضوئي ، في العين في الميليمتر المربع من الشبكية مئة مليون مستقبل ضوئي ، من أجل أن نفرق بين ثمانية ملايين لون ، لذلك الله عز وجل قال :

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)

(سورة البلد)

الآيات الدالة على عظمة الله لا تنتهي ، لذلك هذا الإله العظيم ألا يخطب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ الله عز وجل قال :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية : 28)

الأخلاق الفاضلة أعظم شيء في هذا الدين :

بقي شيء أيها الأخوة : من أعظم ما في هذا الدين أن الأخلاق الفاضلة والأخلاق السيئة تعرف بداهة بالفطرة ، لهذه تسمية المعروف معروفاً شيء مدهش أي أن الفطر السليمة تدركه بفطرتها وأن المنكر تنكره الفطر السليمة ، سمي المعروف معروفاً والمنكر منكراً .

ومرة عين إمام سكن في لندن ، ثم نُقل إلى ظاهر لندن إلى مانشستر ، اضطر أن يركب مركبة كل يوم مع السائق نفسه ، فمرة صعد المركبة ، وأعطى السائق ورقة نقدية كبيرة ، ردّ له السائق التتمة ، عَدّها، فإذا هي تزيد عشرين بنساً على ما يستحق ، فقال هذا الإمام في نفسه : سأردّ هذه الزيادة للسائق، لكن بعد أن جلس جاءه خاطر شيطاني ، قال : إنها شركة عملاقة ، ودخلها فلكي ، والمبلغ يسير جداً ، وأنا في أمسّ الحاجة إليه ، فلا عليّ أن آخذه ، لكن الذي حصل أنه قبل أن ينزل دون أن يشعر مدّ يده إلى جيبه ، وأعطى السائق العشرين بنساً ، فابتسم السائق ، وقال له : ألست إمام هذا المسجد ؟ قال : بلى ، قال : والله حدثت نفسي قبل يومين أن أزورك في المسجد لأتعبد الله عندك ، ولكنني أردت أن أمتحنك قبل أن آتي إليك ، وقع الإمام مغشياً عليه ، لأنه تصور عظم الجريمة التي كاد يقترفها لو لم يدفع للسائق هذا المبلغ ، فلما صحا من غفوته قال : يا رب ، كدت أبيع الإسلام كله بعشرين بنساً .

سبب تخلف المسلمين أنهم باعوا دينهم بتصريح كاذب ، بغش ، بمبلغ من المال أغراهم فعصوا ربهم ، لذلك العبادة التعاملية هي الأصل ، ولن تصح العبادة الشعائرية ونحن في شهر الصيام إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، وأرجو الله عز وجل أن ننتفع جميعاً بهذه الحقائق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته وشكر لكم على هذه الإضاءات واللمحات المضيئة والجيدة .

أعظم وسيلة لترسيخ الأخلاق القدوة الصالحة :

ما دور العلماء الأجلاء في تعزيز وتقوية دعائم وقواعد الأخلاق ؟

أعظم وسيلة لترسيخ الأخلاق القدوة الصالحة ، سيدنا عمر بن الخطاب كان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله وخاصته ، وقال إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة

شكر الله لكم ....

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - المجالس العلمية الهاشمية - الدرس (2-4) : دور الإعلام في بيان الصورة الحقيقية للإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أيها الأخوة والأخوات ، عدد من المحاور التي يمكن أن نتحدث عنها في هذا اللقاء الطيب الخير .

المحور الأول : هو أثر هذه الكلمة الطيبة على المجتمعات ، وعلى الناس جميعاً وأثرها في وسائل الإعلام ، وبكل وسائلها ، وبكل أدواتها .

تفضل دكتور محمد راتب النابلسي إذا كان هناك تعقيب .

أثر الكلمة الطيبة على المجتمعات :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

بين الأرض والشمس 156 مليون كم ، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، هذا الذي أراد أن يسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصور بغباء ما بعده غباء أنه لو توجه نحو قرص الشمس وهي في رابعة النهار ، وأراد أن يبصق عليها ليطفئها البصقة رجعت إلى وجهه ، وتبقى الشمس في عليائها ، وما ضرّ السحاب نبح الكلاب ، وما ضرّ البحر أن ألقى فيه غلام بحجر ، ولو تحول الناس إلى كناسين ليسيئوا لهذا الدين ما أثاروا هذا الغبار إلا على أنفسهم .

المحاضر :

دكتور محمد راتب النابلسي تطرق دكتور نبيل الحقيقة إلى حرية التعبير ، لابدّ أن نتعرف إلى بعض ضوابط حرية التعبير لو سمحت .

ضوابط حرية التعبير :

الدكتور راتب :

قبل كل شيء بعض العلماء فهموا قوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)

(سورة إبراهيم الآية : 4)

فلو فهموا هذه الآية فهماً معمقاً وموثقاً لأدركنا أن لسان قومه وسائل النشر في حياته ، فالأنبياء بدؤوا بالكلمة ، لكن الآن الإنسان يستطع أن يُسمع صوته للملايين المملينة عبر الإذاعة ، ويستطيع أن يقرأ الناس مقالته أيضاً الملايين المملينة ، وأن يرى خطابه ملايين مملينة من الناس ، هذه فرصة عجيبة جداً أنه إنسان في مكان واحد يخاطب نصف سكان الأرض هذا مسؤولية كبيرة جداً ينبغي أن نتحملها ، لأن بعضهم وصف الأجهزة الإعلامية العملاقة بالقنبلة الذَرية ، تصل إلى كل بيت ، تقتحم كل السدود والحدود ، فلابد من تهيئة القنبلة الذُرية كي تقف بوجه هذه القنبلة الذَرية ، لابد من إنشاء جيل مؤمن واعٍ ، وأن يستخدم هذه الوسائل .

أنا أقول دائماً : لو أن عدواً ماكراً معه سلاح طيران قوي ، لا يوجد طريق للوقوف بوجهه إلا بتأمين سلاح طيران مقابله ، الآن أسلحة العالم الإعلام ، فلابد أن نستخدم هذه الأسلحة بالذات كي نصل بها إلى تعزيز مواقفنا ، ومبادئنا ، لأن حرباً عالمية ثالثة معلنة على المسلمين جهاراً نهاراً .

أما موضوع الحرية الحقيقة أنهم ليسوا منطقيين ، يعني لو أن أحداً تعرض لا للمحرقة أصلاً للرقم يدخل السجن ، فلماذا عندهم خطوط حمراء لا يستطيع أحد أن ينال منها هم الذين يدعون الديمقراطية ؟ لو أن إنساناً شكك برقم المحرقة يدخل السجن ، لماذا يبيحون لكتابهم أن يصلوا إلى مقدسات المسلمين ، وما لم يعتمد العالم كله مقاييس موحدة في حدود الحرية فيبقى هذا الوضع المضطرب والذي ينذر بانفجار كبير قائم ... وشكراً .

المحاضر :

الدكتور محمد راتب النابلسي ، الحقيقة هنالك محور مهم جداً ونحن نتحدث في هذا السياق عن دور الإعلام ألا وهو الانترنيت ، كيف لنا أن نستثمر هذه الوسيلة الحديثة والوسيلة المهمة في توضيح صورة الإسلام ؟.

دور الانترنيت في توضيح صورة الإسلام :

الدكتور راتب :

مقولة رائعة تقول :

ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال ، وهل إذا لدغتنا جماعة من النحل نقاطع عسلها ؟ إننا نفتح أبوابنا ونوافذنا كي نجدد هواء بيوتنا ، ولكن لا نسمح للرياح العاتية أن تقتلعنا من جذورنا هذه المقولة كانت نظرية أصبحت من خلال الانترنيت عملية .

الوجه السلبي للانترنت :

أولاً هناك وجه سلبي لابدّ من ذكره ، هذا الوجه السلبي أن الانترنيت حطمت الحواجز والحدود ، والموانع والسدود ، والمبادئ والقيم ، وكان من أهم ضحاياها شريحة الشباب ، فهذا الشاب في غرفته المغلقة استطاع من خلال الانترنيت أن يرى العالم كله بلا ضوابط إطلاقاً ، وبلا قيود ، ولأن ضعفاً في بنائه الديني والأخلاقي جرفه إلى الفساد .

لذلك الشباب الآن من خلال الانترنيت ، ومن خلال التشدد ، أمام تطرفين تطرف تفلت ، أساسه هذه المشاهد الإباحية ، وتطرف تشدد يبدأ بالتكفير وينتهي بالتفجير ، فما لم نهتم بالشباب لأنهم عاد الأمة ، ومستقبل الأمة ، وعليهم المعول في أن تستعيد الأمة دورها القيادي ، هذه وجه سلبي من الانترنيت ، وللعلم هناك 23 مليون موقع إباحي للانترنيت يعني قديماً وضع المسلمين كان يشبه حديقة حيوان تقليدية ، الوحوش بالأقفاص ، والزوار طلقاء ، الآن وضع العالم نحن أمام حديقة حيوان إفريقية ، الوحوش طلقاء ، والزوار إن لم يدخلوا في سيارة مصفحة يهلكون ، فلا بد من التحصين الذاتي .

الوجه الإيجابي للانترنت :

1 ـ استخدام الانترنت من قِبل عدد كبير جداً من الناس :

الشيء الأول في هذا الموضوع الإيجابي : الوجه الآخر للانترنيت تؤكد الإحصائيات أن في عام 2004 يستخدم هذه التقنية العالية ثمانمئة مليون إنسان في الأرض أنت أمام مئة مليون إنسان ، فإذا

استخدم الدعاة إلى الله هذا في الأسلوب الإعلامي الخطير وصلوا إلى ثمانمئة مليون إنسان طبعاً تحتاج إلى لغات عديدة ، لا يكفي أن تكون باللغة العربية .

2 ـ العدد الضخم فرصة مواتية لتقديم الصورة الصحيحة للإسلام :

شيء آخر : هذا العدد الضخم فرصة مواتية جداً لتقديم الصورة الصحيحة للإسلام لهذا الكم الهائل من الزوار .

لم تنل وسيلة معلومات ما نالته الانترنيت من سرعة الانتشار ، والقبول بين الناس ، وعمق التأثير على مختلف الأجناس والأطياف والشرائح .

3 ـ تميزها بتنوع كبير وحجم خطير دون عقبات مكانية أو زمانية :

الشيء الآخر : تتميز الانترنيت بتنوع لا حدود له في المعلومات ، وبحجم لا يوصف في هذه المعلومات ، تنوع كبير ، وحجم خطير ، دون عقبات مكانية أو زمانية ، ما في عقبة مكانية أو زمانية . والانترنيت ربما في المستقبل ، وقد بدت ملامح هذا الإجراء تقضي على وسائل الإعلام التقليدية ، من صحف ومجلات وكتب وإذاعات ، بل هي الوسيلة الأولى الآن بلا منازع وهذا الكلام إن رأيتموه شطحاً هناك أسباب تؤكده .

الانترنت الوسيلة الأولى بلا منازع لعدة أسباب :

1ـ ألغت المكان و تجاوزت الحدود و السدود :

أولاً الانترنيت ألغت المكان ، تجاوزت الحدود ، والسدود ، والموانع ، والعقبات تجاوزت كل شيء ووصلت إلى كل إنسان ، ألغي المكان في الانترنيت ، ولأن المكان ألغي يمكن أن نستخدمها بالدعوة إلى الله كي نصل بها إلى كل الأطياف ، إلى كل الشعوب ، إلى كل الأمم .

2ـ ألغت الزمان :

الشيء الآخر : أنها ألغت الزمان ، فالسرعة الكبيرة التي يتم بها نقل المعلومات بحجم هائل أسقطت عامل الزمن ، يعني الذي يقع في طرف الدنيا تراه في الانترنيت بعد دقائق ، تراه وتقرأ عنه كل

التفاصيل .

لذلك الآن هناك شيء جديد المعلومات متاحة لكل الناس ، هناك سواسية بين الناس في أخذ المعلومات، إذاً أسقطت عنصر المكان ، لأنه كان هناك عقبات اقتصادية ، نقل المعلومات يحتاج إلى نفقات باهظة ، الآن كما تنقل الرسالة بالدي ـ إش ، إل ، مبالغ طائلة جداً ، نقل المعلومات كان أمامه عقبات اقتصادية، الآن ألغي المكان لأن النقل أصبح سريعاً جداً وألغي الزمان .

3 ـ التفاعلية :

الآن هناك جديد التفاعلية ، الإعلام التقليدي يتعامل مع الناس كجهة تتلقى فالإعلام يريها ما يرى ، وقد جاء في القرآن الكريم :

(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)

(سورة غافر الآية : 29)

أما الآن المستخدم للانترنيت هو يرى ما يريد ، يأخذ ما يريد ، وقد يدلي برأي فيما يرى ، صار في تفاعل ، كان المواطن يتلقى فقط من وسائل الإعلام التقليدية ، أما في الانترنيت صار بإمكانه أن يختار هو ما يريد ، وأن يدلي برأيه فيما يقرأ .

4 ـ المجانية :

شيء آخر : المجانية ، نحن عندنا موسوعة بريطانية ثمنها في دمشق 75 ألف ليرة ، الآن تأخذها بالانترنيت مجاناً ، شيء ثمنه فوق طاقة أي طالب علم ، خذ مجاناً من الانترنيت ، الآن كتب ثمينة جداً، غالية جداً ، يمكن أن تسحبها من الانترنيت مجاناً ، فصار في إلغاء الزمان ، وإلغاء المكان ، والمجانية ، والتفاعلية .

5 ـ سهولة الاستخدام :

شيء آخر : سهولة الاستخدام ، لا تحتاج لا إلى دكتوراه ، وإلى اختصاص تجلس مع صديق ، كم معلومة بسيطة تدخل في الانترنيت ، هذه كلها جعلت الانترنيت وسيلة من وسائل الإعلام المعاصر .

سلاح الانترنيت سلاح مخيف يصل إلى كل بيت فعلينا أن نربي أبناءنا تربية إيمانية واعية:

الآن ومع الأسف الشديد الإسلام يُهاجم من خلال الانترنيت ، وما لم يقف المسلمون ليردوا على هذا الهجوم بالوسيلة نفسها ، ذكرت قبل قليل : أن دولة معادية عندها سلاح فتاك ما في سبيل أبداً أن ننتصر عليها إلا أن نستخدم السلاح نفسه ، الآن سلاح الانترنيت سلاح مخيف يصل إلى كل بيت ، يقتحم أية غرفة في البيت ، فما لم نربِ الأجيال تربية إيمانية واعية ، وما لم ندخل في هذا الحقل الذي يبدو أنه خطير جداً سيقضى علينا .

أيها الأخوة الكرام ، بتواضع شديد أنا لي موقع في الانترنيت إحصائيات شهر آب مجموعة الدخولات31 مليون و500 ألف ، يعني بمعدل أكثر من مليون باليوم ، الإنسان يخطب بجامع وأمامه عشرة آلاف ، أما هنا يومياً في مليون ، مجموع المواد المسحوبة 88500 غيغا ، المواد المسحوبة ، هذا رقم كبير جداً ، مجموع الملفات النصية 886 ألف و600 ألف نص ، الملفات النصية ، الملفات الصوتية 3 ملايين و500 ألف ، الملفات المرئية مليون و200 ألف بشهر واحد ، فهذه وسيلة نشر عالية جداً ، ويمكن عن طريق الانترنيت إلى كل الأطياف ، والانترنيت موقعي باللغة الإنكليزية والعربية معاً .

مبادئ الدعوة إلى الله عز وجل عديدة منها :

أيها الأخوة الكرام ، لكن موضوع المحاضرة :(الدعوة إلى الله والانترنيت)

1 ـ الدعوة إلى الله بالعمل الصالح و القول الحسن :

بادئ ذي بدء : لابدّ من أن ننتبه لهذه الدعوة ، الحقيقة ما من شيء يتذبذب بين أن يرقى إلى أعلى عمل يقترب من صنعة الأنبياء ، وبين أن يسقط في الوحل ولا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة كالدعوة إلى الله ، يصبح عملاً عظيماً يرقى إلى صنعة الأنبياء حينما يبذل الداعية من أجلها الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، وحينما يخلص فيما يقول ويطبق ما يقول .

قال الإمام الشافعي : والله لأن أرتزق بالرقص أهون من أن أرتزق بالدين فمشكلة الدعوة إلى الله تسمو وتسمو حتى تقترب من صنعة الأنبياء .

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

ليس عند الله إنسان أفضل من هذا الإنسان .

2 ـ القدوة قبل الدعوة :

الشيء الثاني : القدوة قبل الدعوة ، الدعوة الإسلامية بالذات ، قد تنتفع من طبيب ، من مهندس ، ولا يعنيك سلوكه اليومي ، أما الدعاة إلى الله لا يمكن إلا أن يكونوا قدوة قبل أن يقولوا كلمة .

سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته ، وقال : إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وأيم الله لا أوتين بواحدٍ وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة .

القدوة قبل الدعوة ، لذلك ابن آدم عظ نفسك فإن وعظتها فعظ غيرك ، و إلا فاستح مني .

فحينما يرى الطرف الآخر أن الدعوة التي يسمعها ليست مطبقة تسقط الدعوة .

لذلك حال واحد في ألف أبلغ من قول ألف في واحد ، مسافة كبيرة ، حال واحد صادق موصول في ألف أبلغ من قول ألف في واحد ، القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان .

3 ـ الإحسان قبل البيان :

مرت معي رواية تاريخية لا أدري مدى صحتها لكن جاء سيدنا معاوية كتاب من أحد المواطنين أما بعد :

فيا معاوية ! مباشرة ، إن رجالك قد دخلوا أرضي ، فانههم عن ذلك ، وإلا كان لي ولك شأن والسلام .

استدعى ابنه يزيد ، قال له : ما ترى يا يزيد ؟ قال له : أرى أن ترسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه ، قال له : غير ذلك أفضل ، اكتب أيها الكاتب ، أما بعد :

فقد وقفت على كتاب حواري رسول الله ، ولقد ساءني ما ساءه ، والدنيا كلها هينة جنب رضاه ، لقد نزلت له عن الأرض ومن فيها .

جاء الكتاب الثاني ، أما بعد :

فيا أمير المؤمنين ! أطال الله بقاءك ، ولا أعدمك الرأي الذي أحلك من قومك هذا المحل .

قال : يا بني من عفا ساد ، ومن حلُم عظُم ، ومن تجاوز استمال إليه القلوب .

الداعية يحتاج إلى إحسان ، يجب أن يفتح قلوب الناس بإحسانه حتى يفتحوا له عقلهم .

4 ـ الأصول قبل الفروع :

شيء آخر : الأصول قبل الفروع ، سمعت فتوى عجيبة حصل خلاف في رمضان في بعض المساجد، واصطرع رواد المسجد حول صلاة التراويح ، 8 ركعات أو 20 ركعة ، فأصدر المفتي فتوى بإغلاق المسجد ، لأن الأصول وحدة المسلمين ، والتراويح سنة ، لا نضحي بأصل من أجل فرع ، الأصول قبل الفروع ، نحن أحياناً غرقنا بالتفاصيل ، غرقنا بالتفاصيل يتناقض مع مقاصد الشريعة ، هذه نقطة دقيقة بالدعوة إلى الله .

5 ـ المبادئ لا الأشخاص :

شيء آخر : المبادئ لا الأشخاص ، تعلمون جميعاً من منسياتكم أن جبلة أن الأيهم قدم سيدنا عمر مسلماً ، فرح به ، وأثنى عليه ، وطاف حول الكعبة ، بدوي من فزارة داس طرف ردائه ، فضربه ضربة هشمت أنفه ، هذا البدوي شكاه إلى عمر ، فاستدعاه عمر وجرى حوار بينهما ، شاعر معاصر صاغه شعراً ، فقال عمر لجبلة :

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر شيأً ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي .

قال عمر : أرض الفتى ، لابد من إرضائه ، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ، وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟

قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً .

فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

فقال عمر : عالم نبنيه ، كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

الدعوة إلى الله تنطلق من أن المبادئ هي الأصل لا الأشخاص ، نحن لا نعرف الحق بالرجال نعرف الرجال بالحق ، هذه مبادئ الدعوة إلى الله ، حتى إذا وضعناها في الانترنيت أن تصل إلى الطرف الآخر .

6 ـ المضامين لا العناوين :

بالمناسبة أيها الأخوة ، الدين توقيفي ، يعني هو منتج سماوي ، ليس منتجاً أرضياً لا يخضع لا للبحث، ولا للدرس ، ولا للدراسة ، ولا للتأمل ، ولا للتعديل ، ولا للتطوير ، ولا للتحديث ، ولا للزيادة ، ولا للنقصان ، ولا للحذف ، منتج سماوي ، وليس منتجاً أرضياً الدين ليس تراثاً ، ليس ثقافة ، الدين منتج إلهي ، وحي .

لذلك هذا الوحي إذا أصررنا على التجديد بالدين نستبدل هذا المصطلح بمصطلح آخر ، التجديد في الخطاب الدعوي ، أما إذا بالغنا بالإصرار على التجديد في الدين نقول التجديد في الدين يعني أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، هذا هو التجديد .

إذاً القدوة قبل الدعوة ، الإحسان قبل البيان ، الأصول قبل الفروع ، المبادئ لا الأشخاص ، المضامين لا العناوين .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

(سورة البقرة الآية : 62)

دققوا : الذي منعه أن يؤذي مخلوقاً .

(وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

للدين إطار ، و مضمون ، إذا بقي الاهتمام بالإطار نحن في طريق الهاوية لابد من أن نعتني بالمضامين قبل العناوين .

7 ـ التدرج لا الفطرة :

شيء آخر : التدرج لا الطفرة ، تحريم الخمر الآيات التي نسخت بقيت بالقرآن لماذا ؟ ليتعلم الدعاة منها التدرج لا الطفرة ، ومخاطبة العقل والقلب معاً ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)

(سورة الانفطار)

أي دعوة إلى الله تعتمد على مخاطبة العقل وحده لا تنجح ، وأية دعوة إلى الله تعتمد على مخاطبة القلب وحده لا ينجح ، القرآن خاطب العقل وخاطب القلب لأن الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، فإذا لبينا حاجاته الثلاث تفوقنا ، وإذا اخترنا واحدة تطرفنا ، وفرق كبير بين التطرف وبين التفوق .

خلاص العالم في الإسلام بشرط أن يحسنوا فهم دينهم وعرضه وتطبيقه :

أيها الأخوة الكرام ، حينما يصح الخطاب الديني نقنع به الطرف الآخر ، لذلك يقول أحد كبار العلماء الأمريكان وقد هداه الله إلى الإسلام : أنا لا أصدق أن العالم الإسلامي يستطيع اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا عرضه ، وأن يحسنوا تطبيقه .

هذه ورقات العمل لنا ، فنحن حينما نعتني بالخطاب الدعوي ، حينما نجدد الدين بمعنى أن نزيل عنه كل ما علق به مما ليس منه ، الآن إذا وضعناه بالانترنيت ، ووصلنا بهذا إلى ثمانمئة مليون إنسان بالأرض نكون قد استخدمنا هذه الأداة الجديدة التي لها فعل السحر عند الناس ، وأتمنى أن نسعى جادين لتلافي سلبياً الانترنيت ، والله لها سلبيات وأنا أحياناً تحضرني هذه الآية أن الانترنيت والفضائيات كالخمر :

(فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)

(سورة البقرة الآية : 219)

فبطولتنا أن نقلل من سلبيات الانترنيت ، مثلما قلت لكم 23 موقع إباحي لها والإنسان يصل بأقل سبب، فلابد من وقفة وصحوة ، وتعاون لتلافي سلبيات الانترنيت ولتوظيف هذا المنبر الإعلامي المذهل في نشر هذا الدين العظيم .

والحمد لله رب العالمين ، وشكراً لإصغائكم .

المحاضر :

بارك الله فيك دكتور محمد راتب النابلسي ، هل من تعقيب دكتور نبيل على موضوع الانترنيت ؟

الحذر الشديد أثناء نقل معلومات ما من الانترنت :

الدكتور نبيل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بالفعل لقد تعمق دكتور النابلسي في شرح هذا الموضوع الخطير موضوع الانترنيت وأهميته ، وأقول فقط أن نكون حذرين في المعلومات التي نتلقاها عبر الانترنيت ، مثلاً : لو أن شاباً أراد أن يبحث عن معلومات حول القدس ودخل إلى محرك البحث ، وكتب القدس باللغة العربية، أو باللغة الإنكليزية أو غيرها من اللغات فستنهال عليه مع شديد الأسف معلومات معظمها مغرض ، ومشوه ، ومحرف ، فيجب من خلالنا نحن أن نضع على الانترنيت المعلومات الصحيحة ،

وقاعدة البحث الصحيحة حول الإسلام ، وحول المقدسات الإسلامية ، وننبه الشباب أنه ليس كل شيء يتلقونه عبر الانترنيت هو معلومة آمنة ، ومعلومة يمكن أن يتصرف بها بشكل مباشر ، هناك مواقع إسلامية مسؤولة باللغات المختلفة ، باللغة العربية ، والإنكليزية ، والفرنسية ، ننبه الشباب إليها ، وأنا أركز على أهمية التواصل مع الشباب عبر الانترنيت ، فليس سراً الآن أن الشباب أصبحوا يتلقون معلوماتهم عبر ما يسمى بالإعلام الجديد ، وبدؤوا ينصرفون عن وسائل الإعلام التقليدية الصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون ، الرقابة أيضاً سقطت كمفهوم ، لم يعد في هذا الوقت إمكانية للرقابة ، كيف تراقب ؟ وماذا تراقب ؟ وأنا أؤيد الدكتور النابلسي أن الحل هو التحصين ، والتعليم ، والتوجيه ، الانترنيت إذاً هي خطر ، ولكنها فرصة ، فرصة لنا كي نقدم أنفسنا بشكل أفضل .

المستقبل للتعايش والتكامل بين وسائل الإعلام لا للتنافس و الصراع :

هناك مقولة طبعاً : إن الانترنيت قد تقضي على وسائل الإعلام التقليدية الصحافة المطبوعة ، وهذه مقولة تتردد كثيراً في السنوات الأخيرة ، لكن واضح الآن أن الاتجاه لتعايش هذه الوسائل ، بدلاً من أن تقضي واحدة منها على الأخرى ، نفس الكلام قيل عندما جاء التلفزيون بعد المذياع ، قالوا إن المذياع سينقرض ، المذياع مازال موجوداً ، وما زال مهماً ، في عمان وحدها يوجد ما لا يقل عن ثلاثين محطة إذاعية ، فأنا أعتقد أن المستقبل للتعايش والتكامل بين وسائل الإعلام ، من المحزن أن نسبة انتشار الانترنيت في العالم العربي ضئيلة جداً ، وأقول أيضاً : بسبب الانترنيت أصبحت مسؤولية بيان الإسلام ، وتوضيح صورة الإسلام مسؤولية الجميع ، وليست مسؤولية الإعلاميين فقط ، كل مواطن واعٍ ومطلع يستطيع أن يدخل في هذا الحوار مع العالم ، وتوضيح صورة الإسلام إما عبر المدونات الموجودة عبر الانترنيت ، حتى الحوار مع الآخرين مفهوم الجوار تغير بسبب الانترنيت فالجار ليس فقط الذي يجلس إلى جانبك ، لكن الجار الذي تتحاور معه حتى ولو كان في الصين ، تقيم علاقات معه، فمن واجبك ومسؤولية كبيرة عليك أن توصل له رسالة الإسلام عبر الانترنيت بالطريقة التي تراها مناسبة ، وشكراً .

المحاضر :

دكتور محمد راتب النابلسي ، لماذا لا ندعو حقيقة من هذا المنبر ، ومن هذا المكان إلى تشكيل هيئة من أصحاب رؤوس الأموال لدعم الإعلام الهادف ، الإعلام الإسلامي ؟.

مسؤولية أصحاب رؤوس الأموال في دعم الإعلام الهادف :

الدكتور راتب :

والله أنا أقول دائماً : هناك عبادة عامة ، هي طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، في عبادة الهوية ، ما معنى ذلك ؟ أن الغني عبادته الأولى إنفاق المال ، والقوي عبادته الأولى إحقاق الحق ، وإنصاف الضعيف ، والعالم عبادته الأولى :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ)

(سورة الأحزاب الآية : 39)

فأغنياء المسلمين ، يملكون أموالاً لا تأكلها النيران ، ومع ذلك هناك حاجة ماسة إلى دعم هذه الأجهزة، والفضائيات ، والانترنيت ، بحيث تقف في وجه هذه الهجمة الشرسة.

الغنى والفقر بعد العرض على الله :

أنا أتمنى أن يعلم الغني المسلم أن هذا المال يده عليه يد الأمانة ، وأن مهمته أن يصرفه في طاعة الله ، لأن الله قال :

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ)

هو ، كلامه ، مقولته :

(رَبِّي أَكْرَمَن)

بعد قليل :

(كَلَّا)

(سورة الفجر الآية : 17)

أداة نفي وردع ، يعني يا عبادي ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء ، وحرماني دواء ، فالمال ليس نعمة ، ولا نقمة ، موقوف على طريقة إنفاقه ، فإذا أنفق هذا الغني المسلم هذا المال لتعزيز قيم الإسلام ، لتعزيز دور الدعوة إلى الله يكون قد وضع المال في مكانه الصحيح .

سيدنا علي له كلمة يقول : الغنى والفقر بعد العرض على الله ، قبل العرض على الله ليس الغني غنياً ، ولا الفقير فقيراً ، لأن الموت ينهي قوة القوي ، وضعف الضعيف ، وغنى الغني ، وفقر الفقير ، وذكاء الذكي ، ومحدودية المحدود ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، ينهي كل شيء ، فالغنى والفقر بعد العرض على الله ، هنيئاً لمن قدم ماله أمامه عندئذٍ يسره اللحاق به ، وشكراً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - المجالس العلمية الهاشمية - الدرس (3-4) : المجلس الثاني ، حقوق الإنسان في الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

وبعونه أبدأ مع فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

المذيع :

فضيلة الدكتور تبدو حقوق الإنسان في الإسلام متمثلة في المقاصد التي قررتها الشريعة الإسلامية ، وتتزاوج أحياناً مع حقوق الأكوان ، لكن من الواضح أن الإسلام في نظرته إلى حقوق الإنسان يرتقي بها إلى درجة الفرائض والواجبات ، السؤال ما طبيعة الحقوق في الإسلام ؟ وما هو مصدرها ؟ وما وجه الارتباط هنا بين الحقوق من جهة والمسؤوليات والواجبات من جهة أخرى ؟

حقوق الإنسان :

الدكتور علي جمعة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أبدأ بتقدم التحية إلى صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف مندوب عن صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ، وأشكر الأردن الكريم لهذه الدعوة ، وأقول لكم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذه الكلمة حقوق الإنسان كلمة حادثة حدثت في الغرب ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم علمنا أن أي شخص يعرض علينا خطة رشد ، فإننا نعرضها على كتاب الله ، وعلى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن وافقت كتاب الله وسنة رسول أخذنا بها ، وإلا عدلناها بما يتفق مع كلمة الله ، و كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا رفضناها ، فعلنا ذلك عندما عرض العالم علينا في أواسط القرن التاسع عشر أن ننهي الرق ، فاجتمع المسلمون وأقروا بإلغاء الرق ، لأن الشرع تَشَوَّف على إلغاء الرق ، حدث هذا بعدما عرضوا أن يكون هناك علاقة دولية بين الدول ، فسارع المسلمون ووافقوا على وجود

مثل هذه العلاقة الدولية ، وأن يكون التعامل بالمثل ، وعندما ظهرت كلمة حقوق الإنسان عرض المسلمون تلك الحقوق على الإسلام ، على الكتاب والسنة ، وجدنا أن الإسلام يدعو إلى شيء أوسع وأعمق ، فوافقنا على ما دعينا إليه من الإعلام العالمي لحقوق الإنسان سنة ألف وتسعمائة وسبع وأربعين من الميلاد ، وذلك لأن الإسلام دعا إلى ما يمكن أن نطلق عليه بحقوق الكون، أسس لذلك فقال وهو يعلم المسلمين أن هذا الكون من حولهم يسبح :

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

وكأن هذه الجمادات التي حولنا تسبح بالحال ربها، أشعرنا أن الكون الذي حولنا له حق علينا وهو حق التعمير :

(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)

أشعرنا أن هذا الكون يسجد لربه :

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15))

(سورة الرعد)

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49))

(سورة النحل)

أشعرنا أن هناك عالماً للغيب ، وعالماً للشهادة ، وأن الكل يسير باتجاه عبادة الله عز وجل ، وأنه يجب علينا أن نتفاعل ، وأن نتعامل مع هذا الكون ، لأن هذا الكون من خلقه، ولأنه يتفاعل ويتعامل معنا ، أساس لا بدّ منه ، أساس يرسم لنا دائرة كبرى يمكن أن نسميها بحقوق الأكوان ، فإنه سيدخل فيها الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ، بعد ذلك وهو على قمة هرم الكائنات قال تعالى :

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29))

(سورة الدخان)

الكون جميعه يتفاعل مع السير في الطريق إلى الله عز وجل :

السماء تبكي والأرض تبكي على الصالحين ، والسماء لا تبكي والأرض لا تبكي على الطالحين ، إنه يريد أن يفهمني أن هذا العالم يتفاعل معي ، ويتفاعل مع السير في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى :

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11))

(سورة فصلت)

فكأن السماء تنطق ، والأرض تنطق بحسب حالها مع ربها سبحانه وتعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

وجعلنا في قمة ذلك :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

واستعمال المفعول المطلق يدل على التأكيد وأنه قد فضلنا فعلاً ، حكى لنا قصة الخلق وحكى لنا أنه أسجد الملائكة لأبينا آدم :

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)

(سورة البقرة الآية : 30)

وإذا ما جئنا إلى حقوق الإنسان بالذات بعدما نلقي نظرة عابرة سريعة على حقوق الأكوان ، والذي فيها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

ويقول وهو يحافظ عن النبات : ما من غرسة يغرسها المؤمن بيده فيأكل منها طير أو حيوان أو بشر إنها كانت له صدقة :

((إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))

[عن أنس بْنِ مَالِكٍ]

كل ذلك يرسم لنا صورة كبرى حتى إذا وصلنا إلى حقوق الإنسان وجدناها إنما بديهية ومسلمة من غير نقاش فلذلك وافقنا عليها ،

المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة تكليفاً وتشريفاً من ناحية الحقوق و الواجبات :

وحينما تكلم الله عز وجل عن الإنسان أقرّ لنا المساواة ، فجعل ذلك في أصل الخلق ، وجدنا في كتب أخرى التفرقة بين الرجل والمرأة ، وتحميل المرأة عبء خروج آدم من الجنة، ولكن في القرآن الكريم:

(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (36))

(سورة البقرة)

أي أن المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة تكليفاً وتشريفاً من ناحية الحقوق، ومن ناحية الواجبات ، ونفى ونهى عن كل نوع من أنواع التميز ، باللون ، أو بالجنس ، أو بغير ذلك من الجاه أو المال ، أو بنحو ذلك من أي جهة للتميز بين البشر ، ولما رأيناه بالفاتحة التي يتلوها المسلم سبع عشرة مرة في اليوم على الأقل يقول الحمد لله رب العالمين ، في حين أن هناك صلوات في بعض الديانات تقول :

الحمد لله الذي خلقتني ذكراً ، فماذا تفعل الأنثى ؟ وتقول وتقول ولكن نسق مفتوح ، وتعليم عجيب غريب ، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين :

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (32))

(سورة النساء)

فأقر للرجال الرجولة ، وللنساء الأنوثة ، وطلب من كل منهما أن يدعو الله أن يقيمه إقامة صحيحة تامة فيما أقامه فيه ، نهى رسول الله عن هذا التمني فقال : "لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ".

الفرق بين التساوي و المساواة :

أقرّ لنا ربنا سبحانه وتعالى المساواة ، وبالرغم من ذلك فإنه لم يقر التساوي لأنه ضد الخلقة ، فهناك فرق بين المساواة وبين التساوي ونحن نقبل المساواة ، وندعو إليها ، ولا نقبل التساوي ولا يقبلها حتى كل البشر ، فإن المرأة المسلمة فرحة بأنها امرأة ، والرجل المسلم يفرح بأنه رجل ، ولذلك يدعو الله أن يوفقه فيما أقامه .

(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124))

(سورة النساء)

كلكم لآدم وآدم من تراب :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية : 13)

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)

(سورة طه)

رؤية عالمية تؤكد أن الإنسان في مساواة تامة عند الله ، لا يفرق في الطريق إلى الله سوى التقوى ، ولذلك نرى المسلمين في حضارتهم قالوا : الساجد قبل المساجد ، وقالوا: الإنسان قبل البنيان ، وفعلوا هذا فعلاً لم يزينوا مساجدهم زينة خارجة ، والإنسان لا يجد الأكل والشرب بل إنهم قدموا الإنسان على البنيان ، ولذلك لم تكن هي حضارة بنيان بقدر ما كانت حضارة إنسان .

الحرية الدينية و التحذير من طريق الشر ومآله في الدنيا والآخرة :

الحرية ومنها الحرية الدينية :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (256))

(سورة البقرة)

وأظن أنه ليس هناك أوضح من هذا النص :

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6))

(سورة الكافرون)

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ (29))

(سورة الكهف)

نعم البيان موجود ، ولكن الحرية أيضاً موجودة ، يبين لنا طريق الخير وطريق الشر :

(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10))

(سورة البلد)

لكنه يحذرنا من طريق الشر ومآله في الدنيا والآخرة .

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22))

(سورة الغاشية)

(وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (107))

(سورة الأنعام)

(فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (48))

(سورة الشورى)

وهكذا لأن الله عز وجل أراد من هذه الحرية ألا يكون هناك من المنافقين في المجتمع من يظهر شيئاً إكراهاً :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ (145))

(سورة النساء)

فلا يمكن أن ينشئ النظام الإسلامي مجموعة من المنافقين عن طريق الإكراه .

حقوق الإنسان وصلت في الشريعة الإسلامية إلى درجة عالية حتى أصبحت من الواجبات :

هذه بعض حقوق الإنسان في الإسلام لكنها تبلورت في المقاصد الشرعية العليا ، حفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ الدين ، وحفظ كرامة الإنسان ، وكنا نسميه بالفقه ، وفي أدبياتنا القديمة العرض ، وحفظ

المال الملك ، وهذه الخمسة هي حقوق الإنسان ، لكن هذه الحقوق وصلت في الشريعة الإسلامية إلى درجة عالية جداً ، حتى أصبحت من الواجبات فلا يجوز للإنسان أن يفرط في نفسه ، ولا يجوز للإنسان أن يغيب عقله ، حرم الله المسكرات ، والمخدرات ، والمغيبات ، ولا يجوز للإنسان أن يترك التعليم ، لأن الله عز وجل دعا على التعليم :

((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة))

[رواه الترمذي عن أبي هريرة]

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية : 28)

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا(114))

(سورة طه)

(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

(سورة يوسف)

سبحانه وتعالى بيّن أن حفظ العقل سواء بعدم تغييبه ، أو سواء بوجوب التعليم والتعلم :

((خيركم من تعلم القرآن و علمه))

[البخاري عن عثمان]

((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

جميل كلام فيه حفظ للعقل ، أما حفظ الدين ، فالدين ذروة سنام الأمر ، وهو الطريق إلى الله ، والطريق بين إياك نعبد وإياك نستعين .

هذه الحقوق الذي حفظ الله لنا فيها أنفسنا ، وعقولنا ، وديننا ، وعرضنا ، وكرامتنا ، وملكنا حقوقاً وصلت إلى درجة الواجبات .

بعض النماذج المعرفية التي لا نتفق مع الآخر فيها من حقوق الإنسان فيفرضها على العالم:

1- الانتحار :

كلمة أخيرة أحب أن أتكلم فيها وهي أن حقوق الإنسان إذا ما أردنا أن نقارنها بحقوق الإنسان العالمية التي دعينا إليها فاستجبنا سنة سبع وأربعين ، هي الحقوق المتفق عليها، لأننا لاحظنا في السنين الأخيرة أن هناك من يريد أن يجعل بعض الرغبات ، وبعض الشهوات ، وبعض التوجهات ، وبعض النماذج

المعرفية التي لا نتفق معه فيها من حقوق الإنسان ، فيفرضها على العالم ، وعلينا ، بالرغم من أن جماهير البشر ضدها وليست معها ، فلذلك ينبغي علينا أن ننتبه أن حقوق الإنسان حيثما أطلقناها فهي تلك الحقوق التي اجتمع عليها البشر ، لا تلك الشهوات التي يراد أن تدخل في حين غفلة من الزمان علينا وعلى البشر، فإن أحداً من العاقلين لم يجز الانتحار ، فكيف يكون الانتحار من حقوق الإنسان ؟ وأن من انتحر فلا بأس عليه سواء كان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً فله أن يفعل ما يشاء ، حفظ النفس يحرم الانتحار ، والنبي صلى الله عليه نهى عن الانتحار ، واعتبره جريمة ، وكبيرة من الكبائر .

2- الشذوذ الجنسي :

الشذوذ الجنسي الذي بدأ الآن في أدبيات الغرب يأخذ صبغة حقوقية بأنه من حقوق الإنسان ، لا ، هذا ليس من حقوق الإنسان ، يرفضه أغلب البشر، بل كل البشر إلا فئة ترى معنىً للحرية يقارب معنى التفلت ، ولكن هذا لا يقره لا دين ، ولا عقل ، ولا إنسان على وجه الأرض ، واجتمعت في بلجيكا منذ أكثر من خمس عشرة سنة بمندوبين عن ثلاثين ديناً في الأرض وأنا حتى ذلك الحين لم أكن أعرف أن الأرض فيها ثلاثين ديناً ، ولكنهم أجمعوا على هذا الذي نقول ، فلذلك لا نهتم كثيراً بمن يريد أن يروج بضائعه الفاسدة على البشر ، ولا أقول على المسلمين ويريد أن يخالف ما عليه جماعة البشر ، ولا أقول جماعة المسلمين فقط ، بل إن هناك أشياء مرفوضة من جماعة البشر ، يمكن أن يبيحها هو في نفسه أو مجتمعه أو في القانون ، هو حر :

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (29))

(سورة الكهف)

ونقول له : إنها كبيرة ، وأذية ، ومخالفة ، ولكنه لا يفرضها حقاً يطالب به ويحاسب عليه .

3 ـ القتل للملل :

هناك أشياء مثل القتل للملل ستسمعون عنه قريباً إن لم تكونوا قد سمعتم عنه ، إنسان ملّ فيريد أن يمارس القتل ، ويأخذ على ذلك أجراً ، وهناك اتفاقات حدثت في ألمانيا وأوقعت القضاء الألماني في مشاكل .

هناك القتل الوحيد أن المريض إذا استيئسنا من شفائه ، وثقلت علينا مؤونة علاجه ، فنقتله أحسن من أجل أن نوفر .

4 ـ التجارة في الأعضاء البشرية :

هناك التجارة في الأعضاء البشرية حتى يصبح الأغنياء متسلطين على الفقراء ، ويعاملونهم كقطع غيار ، هناك أشياء وأشياء ، يراد من بعض الجهات ويعد لبعض الجهات إلى أن تكون هذه من حقوق الإنسان ، باعتبار أنه حر يفعل في نفسه ما يشاء ، ليست هذه هي حقوق الإنسان ، لأن حقوق الإنسان هي المتفق عليها ، أمرنا بالرحمة بكل شيء ، بالجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان في قمة ذلك كله ، فلذلك فحقوق الإنسان في الإسلام هي من خلال حقوق الأكوان ، شكراً لكم ولحسن استماعكم .

المذيع :

وشكراً لفضيلة الدكتور علي جمعة على هذه التقدمة الواسعة والقيمة ، دكتور راتب نكمل ما بدأ به أو ما انتهى إليه فضيلة الدكتور علي عن بناء الإنسان قبل بناء العمران وقبل بناء البنيان ، في بداية الدولة الإسلامية كان بناء الإنسان يتقدم على بناء الأحكام ، خمس عشرة سنة النبي صلى الله عليه وسلم يعتني بالإنسان ، هذا الإنسان بمفهومه الشامل منزوع منه انتماؤه الديني ، أو انتماؤه القبلي ، كيف يمكن أن نفهم تصور الإسلام لقضية حقوق الإنسان من خلال القيمة التي قدرها للإنسان ؟

الإنسان في الإسلام المخلوق الأول رتبة فإذا آمن وشكر حقق الهدف من وجوده :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف مندوب صاحب الجلالة ـ حفظه الله ورعاه ـ .

الأخوة العلماء الأجلاء أصحاب الفضل والقرار ، الأخوة المؤمنين حضوراً ، ومستمعين ، ومشاهدين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان في الإسلام المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 73)

ولأن الإنسان قبل حمل الأمانة سخر الله له :

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)

(سورة الجاثية الآية : 13)

تسخير تعريف وتكريم ، موقفه من تسخير التعريف أن يؤمن ، وموقفه من تسخير التكريم أن يشكر ، فإذا آمن وشكر حقق الهدف من وجوده :

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ)

(سورة النساء الآية : 174)

والإنسان هو المخلوق المكرم :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

الإنسان هو المخلوق الأول و المكرم الذي خُلق ليرحمه الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، قد يقول قائل كيف هو مكرم ؟ بل كيف خلقه الله ليرحمه ؟ قال تعالى :

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية : 119)

خلقه ليرحمه ، هناك مصائب ، هناك مشكلات ، هناك أمراض ، الحقيقة للتوضيح علة صنع السيارة أن تسير ، والمكبح يتناقض في أصل مهمته مع علة سيرها ، ولكنه أكبر ضمانة لسلامتها ، فلذلك الإنسان هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، والمخلوق الذي خلق ليرحمه الله عز وجل ، ولكن لا بد من معالجة دقيقة لهذا الموضوع .

أيها الأخوة ، ثم إن الإنسان هو المخلوق المكلف ، مكلف أن يعبد الله ، والعبادة في أدق تعاريفها : هي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

هي طاعة طوعية وليست قسرية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، فما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، كما أنه ما عبده من أطاعه ولم يحبه ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، أصل الدين معرفة الله عز وجل ، الإنسان إذا عرف الله ثم عرف أمره تفانى في طاعة الآمر ، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر ، لذلك أيها الأخوة الكرام ، الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، فإذا لبى هذه الحاجات الثلاث معاً تفوق ، وإذا لبى واحدة منها تطرف ، وفرق كبير بين التفوق والتطرف ، والإنسان أي إنسان على وجه الأرض جبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، سلامة وجوده بطاعة ربه ، باتباع تعليمات الصانع ، لأن تعليمات الصانع هي التعليمات الوحيدة التي ينبغي أن تتبع ، وكمال وجوده التقرب إلى الله بالعمل الصالح ، واستمرار وجوده بتربية

أولاده ، والورقة الرابحة الوحيدة التي بقيت في أيدي المسلمين هي أولادهم ، لذلك لا يمكن أن نواجه القنبلة الذَرية في المستقبل إلا بالقنبلة الذُرية .

للإنسان حقوق ينبغي أن تُرعى كما أن عليه واجبات يجب أن تؤدى :

أيها الأخوة الكرام ، إن الإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة ، بين الواقعية المرة والمثالية التخيلية ، بين الفردية الطاغية والجماعية الساحقة ، بين الثبات الرتيب والتغير المضطرب ، بين الحاجات الملحة والقيم البعيدة ، لذلك والذي ينبغي أن يقال في هذا المقام وقبل أن تسمع أذن الدنيا عن حقوق الإنسان لاثني عشر قرناً أو تزيد ، ويوم كان العالم كله لا ينظر إلى الإنسان إلا من جهة ما عليه من واجبات يُطالب بأدائها ، وإلا كان عليه من العقاب ما يستحق ، جاء الإسلام ليقرر جهرة أن للإنسان حقوقاً ينبغي أن تُرعى ، كما أن عليه واجبات يجب أن تؤدى ، وكما أنه يُسأل عما عليه يجب أن يعطى ما له ، فكل واجب يقابله حق ، كما أن كل حق يقابله واجب .

الحقوق التي أعلنها الإسلام للإنسان كثيرة منها :

1 ـ حق الحياة :

من هذه الحقوق التي أعلنها الإسلام هي حق الحياة ، وحق الكرامة الإنسانية ، وحق التفكير ، وحق التدين ، وحق الاعتقاد ، وحق التعبير ، وحق التعلم ، وحق التملك ، وحق الكفاية ، وحق الأمن من الخوف ، فمن هذه الحقوق على سبيل المثال ، حق الحياة ، لقد قدس الإسلام حق الحياة ، وحماه بالتربية ، والتوجيه ، والتشريع ، والقضاء ، وبكل المؤيدات النفسية ، والفكرية ، والاجتماعية ، وعدّ الحياة هبة من الله تعالى لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يسلبها منه ، فالإنسان بنيان الله ، وملعون من هدم بنيان الله .

وقد أنكر الإسلام على أهل الجاهلية قتلهم أولادهم سفهاً بغير علم ، قال تعالى:

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

(سورة التكوير)

ولم يفرق الإسلام في حق الحياة بين أبيض وأسود ، ولا بين شريف ومشروف ، ولا بين حر وعبد ، ولا بين رجل وامرأة ، ولا وبين كبير وصغير ، حتى الجنين في بطن أمه له حرمة لا يجوز المساس

بها ، ومن هنا جاء تحريم الإجهاض ، حتى الجنين الذي ينشأ من طريق حرام ، لا يجوز لأمه ولا لغيرها أن تسقطه ، لأنه نفس بريئة ، لا يحل لاعتداء عليها ، فلا تزر وازرة وزر أخرى .
لقد شُرع القصاص صوناً لحياة كل الأطراف ، وشرعت الدية والكفارة في القتل الخطأ ، وقد حمى الإسلام حياة الحيوان أيضاً ، إن لم يكن منه أذىً ، وفي الحديث الصحيح :

((دخلت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْه عن ابن عمر]

2 - حق الكرامة :

هذا عن حق الحياة فماذا عن حق الكرامة ؟ هي بالمصطلح الإسلامي حماية العرض ، فقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان مع حرمة الدماء والأموال ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن ذلك في حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة في البلد الحرام والشهر الحرام ، واليوم الحرام فقال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله حرم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم))

[البخاري عن ابن عمر]

فلا يجوز أن يُؤذى إنسان في حضرته ، ولا أن يهان في غيبته ، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول ، فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط و بالسنان .
لقد حرم الإسلام أشد التحريم أن يُضرب إنسان بغير حق ، وأن يُجلد ظهره بغير حد ، وأنذر باللعنة من ضرب إنساناً ظلماً ، ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه ، كما حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان ، حرم الهمز ، وحرم اللمز والتنابز بالألقاب ، والسخرية ، والغيبة ، وسوء الظن بالناس ، وكفل الإسلام صون كرامة الإنسان بعد مماته ، ومن هنا جاء الأمر بغسل الميت ، وتكفينه ، ودفنه ، والنهي عن كسر عظمه ، أو الاعتداء عليه ، أو على جثته ، وقد جاء في الحديث النبوي :

((كسر عظم المَيْت ككسره حياً))

[رواه أبو داود عن عائشة]

وكما حمى الإسلام جسم المَيْت بعد الموت حمى عرضه وسمعته لئلا تلوكها الأفواه ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((لا تذكروا موتاكم إلا بخير))

[رواه النسائي عن عائشة]

3 ـ حق الكفاية :

هذا عن حق العرض ـ الكرامة ـ فماذا عن حق الكفاية ؟ فمن حق كل إنسان أن تُهيأ له كفايته التامة من العيش ، حيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة ، من مأكل ، وملبس ، ومسكن ، وعلاج ، والأصل أن يكون للإنسان دخل كاف يحقق كفايته منه عن طريق مشروع من زراعة ، أو تجارة ، أو صناعة ، أو وظيفة ، أو حرفة ، فإن لم يكن للإنسان دخل يكفيه كان على أقاربه الموسرين أن يحملوه لأنه جزء منهم ، قال تعالى :

(وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75))

(سورة الأنفال)

فإن لم يكن له أقارب موسرون يستطيعون حمله وجبت كفايته من الزكاة التي فرضها الله على المسلمين ، تؤخذ من أغنيائهم ، وترد على فقرائهم ، والزكاة فرضت لتحقيق تمام الكفاية ، وذكر الفقهاء أن الزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية ، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية ، وأن كتب العلم وأقساط الجامعات من تمام الكفاية ، وهذه الكفاية التامة تجب للإنسان الفقير تجب له ، ولأسرته مدة عام بأكمله على مذهب ، ومدة العمر كله على مذهب آخر ، حيث يغدو آخذ الزكاة دافعاً للزكاة ، يقول عمر ـ عملاق الإسلام رضي الله عنه ـ : إذا أعطيتم فأغنوا .

من ثمرات الإنسانية في الإسلام :

1 ـ مبدأ الإخاء البشري :

من ثمرات الإنسانية في الإسلام مبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام ، وأساس هذا المبدأ أن البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة ، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة ، والرحم الواصلة ، قال تعالى :

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم)

(سورة الأنفال)

و ربما فهمت كلمة الأرحام في هذه الآية بالمعنى الإنساني الواسع لتتسق مع بداية الخطاب ، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في دعائه :

((اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة))

من أوضح الأحاديث ، ويزداد هذا الإخاء توثقاً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان ، قال تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10))

(سورة الحجرات : 10)

من لم يكن انتماؤه إلى مجموع المسلمين فليس بمسلم :

بالمناسبة أقول ما لم يكن انتماؤك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، ليس الإسلام خطاً رفيعاً إذا حدت عنه مسافة قليلة خرجت من الدين ، الإسلام تيار عريض فيه اليمين واليسار، وكل من في هذا التيار على العين والرأس شريطة صحة العقيدة ، واستقامة السلوك ، قال تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10))

(سورة الحجرات : 10)

فالمسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يحقره ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لقد غسل الإسلام أرجاس الجاهلية ، وطهرها من الغل والحسد ، ونقاها من الأنانية ، والشح ، والبخل ، ومحا منها فوارق الجنس ، واللون ، والقبيلة ، والطبقة.

2 ـ مبدأ المساواة الإنسانية :

ومن ثمرات الإنسانية في الإسلام : مبدأ المساواة الإنسانية ، أساس هذا المبدأ أن الإسلام يحترم الإنسان ، ويكرمه من حيث هو إنسان ، الإنسان من أية سلالة ، ومن أي لون، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر ، وبين قوم وقوم ، وبين لون ولون ، يقول الله تبارك وتعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية : 13)

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المذيع :

والشكر أجزله لفضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي على هذه الأفكار العميقة ، واسمح لي دكتور عبد الكافي أن ننزل إلى الميدان ، أتحفنا الأستاذان شيخانا بالنظريات فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام

بأنواعها ، بتفاصيلها ، بمقاصدها ، لكن ماذا عن التجربة التاريخية ؟ ماذا عن التطبيقات العملية لحقوق الإنسان وأثرها في الحضارة الإسلامية أولاً ثم في الحضارة الإنسانية بالتالي ؟

حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة أي شيء آخر :

الدكتور عمر عبد الكافي :

أحمد الله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين ، وأصلي وأسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد :

صاحب السمو الملكي علي بن نايف مندوب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ـ حفظه الله ورعاه ـ الأخوة الحضور ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : عاب المشركون على عمرو بن هشام ـ أبو جهل ـ ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : يا عمرو لِما انتظرت حتى هرب محمد مع صاحبه إلى يثرب ، ولم تكسر عليه بابه وتأخذه من فراشه ؟ قال فرعون الأمة وتقول العرب: رَوَّعَ عمرو بن هشام بنات محمد، وهتك حرمة بيته ، إذاً هذا رجل بمقياس الدين وعدم الدين هذا رجل كافر ، لكن القيم العربية الأصيلة ، والخلق ، ومكارم الأخلاق التي جاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكملها تتضح في سلوك هذا الإنسان عندما يقول : إذا فعلت هذا ماذا يقول العرب ؟ تقول العرب : إن عمرو بن هشام أحد زعماء قريش ، أحد الذين يشار إليه بالبنان ، روع بنات محمد ، وهتك حرمة داره؟

إذاً جاء الإسلام ليضبط هذا الأمر إكراماً لهذه الإنسانية ، الإنسان ـ سبحان الله ـ لو رأينا رجلاً يطوف بالكعبة ، وخطر بباله أن يأخذ معولاً ليقتلع حجراً من أحجارها لفتك به الطائفون ، لكن هناك من يصنع منا أشنع من هذا الفعل ، غيبة المسلم لأخيه وخوضه في عرضه إنما يهدم بنيان إنسانيته ، وإن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة ، كان ابن عمر عندما يطوف وينظر إلى الكعبة قائلاً : يا كعبة الرحمن ما أبهاك ! وما أجملك ! وما أعظم حرمتك ! لكن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك .

الحفاظ على حرمة الضعيف من قيم الإسلام الكبيرة :

ولذلك كانت التوبة عند المسلم في مسألة الغيبة ، وهتك الأعراض ، أو التعدي على الحدود ، أو الخوض في الأعراض ، لا بدّ من أن نستسمح من قلنا من شأنه ، وإذا ذكرناه بالسوء أمام قوم وجب علينا من أركان التوبة أن نذكره بالخير لنعيد بناءه كما قمنا بهدمه ، فعرض المسلم غال ، وكبير وله قيمة ، والإنسان كإنسان سبحان الله ، الإسلام يحافظ دائماً ، ويعطي الحق أولاً للأضعف ، انظر إلى ما

أشار إليه فضيلة المفتي في قضية عصيان استواء المعصية عند آدم وحواء ، لكن في بعض الآيات يقول ربنا :

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121))

(سورة طه)

مع أن المعصية كانت من أمنا حواء ، لكن لأنها في النظرية الجنب الضعيف فيحفظ القرآن حرمتها ، ويجعل المعصية لآدم مع أن حواء اشتركت في أنها أكلت :

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122))

(سورة طه)

وهذا إذاً قضية الحفاظ على حرمة هذه الإنسانة الضعيفة ، هذه أيضاً من قيم الإسلام الكبيرة . النبي صلى الله عليه وسلم كان عندما يرى ابنته فاطمة كان يقوم لها ، ويقبلها بين عينيها ، وهناك من بناتنا ومن أخواتنا من بلغت الستين والسبعين وهي لا تذكر مرة أن أباها احتضنها أو قبّلها ، لأن ربما هذا يساوي شيء من إنكار أو تنقيص الرجولة عنده عندما يعطف على الأنثى .

تكريم الإسلام للإنسان :

الإسلام كرّم أي إنسان ، قام النبي صلى الله عليه وسلم لجنازة يهودي ، يقولون: يا رسول الله هذا يهودي ، قال : أليس نفساً خلقها الله عز وجل ؟ الخلق العجيب لخزيمة عندما يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى اليهودي دينه ، قال : أرأيتني يا خزيمة؟ قال : لا يا رسول الله أصدقك في خبر السماء ، وأكذبك في ديْنٍ ليهودي ، قال : من شهد له خزيمة ، فهو حسب هذا التكريم لإنسان صادق يصدق بالغيب لأنه صدق بالغيب الذي قبله ، لم ير الرسول يعطي ولكنه يعلم أن النبي صادق . والرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن ربه صادق في صغير الأمر وكبيره ، ونحن إذا أردنا أن نعلي من قيمة الإنسان يجب أن نعلي من قيمة الناس الذين من حولنا أولاً كيف ؟ الناس من حولك ثلاثة إما من يكبرك سناً ، وإما من يصغرك سناً ، وإما من هو في عمرك ، عامل الناس كبيرهم كأنه أب ، وصغيرهم كأنه ولد لك ، وأوسطهم كأنه أخ ، فبر أباك ، واعطف على ابنك ، وصن أخاك ، إذا انضبطت مجتمعاتنا بهذا المنطق رأى الغير ممن يتهموننا أن هذه هي معاملات وتعاملات المسلمين بعضهم مع بعض ، أن صغيرهم يحترم كبيرهم :

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويجل عالمنا))

[العسكري في الأمثال عن عبادة بن الصامت]

زيد بن ثابت يمتطي صهوة جواده ، فيقرب ابن عباس ركاب الفرس ليضعه في قدم زيد ، فيقول زيد : ماذا تصنع يا ابن عم رسول الله ؟ يقول : هكذا أمرنا أن نجل علماءنا، فيقفز زيد من فوق الفرس ويقبل يد ابن عباس ، يقول له : ماذا تصنع يا زيد ؟ يقول : ونحن أيضاً أمرنا أن نجل آل بيت نبينا . هذا التعامل سبحان الله نسمع أبا بكر وعمر في رحلتهما إلى سقيفة بني ساعد يوم الخلافة ، يوم انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، يقول أبي بكر لعمر : مد يدك لأبايعك ، قال : يا أبا بكر ما رأيت لك فهة ـ أي سقطة ـ مذ أسلمت إلا هذه ، اعتبر عمر مبايعة أبي بكر هذا خطأ كبير لأن المقامات محفوظة ، يقول أبو بكر : يا عمر أنت أقوى مني ، يقول عمر : ولكنك يا أبا بكر أفضل مني، فيقول أبو بكر: ولكن فضلي بقوتك .

سماحة الإسلام و المسلمين :

هذا التعامل العجيب الذي يرتقي بالإنسانية ، الترقي بهذه المعاملة ، كان النبي عليه الصلاة والسلام عندما يريد أن يعامل إحدى زوجاته يرقي إنسانيتها ، فيشرب من المكان التي تشرب منه عائشة ، وإذا أكلت من قطعة فاكهة أكل من المكان الذي وضعت فمها عليه ، لم يتأفف ، ولم يضرب الذكر صفحاً عما تصنع ، وإنما ليتودد ، أو ليثبت لنا ، كيف يتودد الرجل لزوجته ، وكيف تتودد الزوجة لزوجها ، حتى يعلمها متى تكون عنه راضية ومتى تكون عليه غضبانة ، فتتعجب وتقول كيف يا رسول الله ؟ قال : إن كنت عني راضية تقولين: لا ورب محمد ، قالت : وعندما أكون غضبانة ؟ تقول : لا ورب إبراهيم ، تقول : والله لا أذكر اسمك إلا بلساني ولكنك في قلبي يا رسول الله .

لو أن امرأة مسلمة من موديل ألفين وتسعة ميلادية ، أنت فاهم وعارف ما شاء الله متى أكون غضبانة ومتى أكون راضية ؟ لا ، الذي يريد أن يجيب للناس ، ويحترم الإنسانية ، أياً كان هذا الإنسان زوجها:

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (8))

(سورة المائدة)

يا عمر روعت اليهودي بسيفك أعطه ما يريد وأعطه عشرة دنانير زيادة ثمن ترويعك له بسيفك ، فأخذ عمر الرجل ونظر إليه ثم قال له : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح ، قال اليهودي وعدم محبتك لي هل يمنعني حقاً من حقوقي ؟ قال له : لا ، قال: إذاً لا يأس على الحب إلا النساء ، تحبني أو تبغضني المهم أعطني حقي .

إذاً هذه سماحة الإسلام هل أضرت بالإسلام سماحته ؟ لا والله ، لا تضر لا بالمسلم سماحته ولا بالإسلام نفسه سماحته لماذا ؟ لأن الإسلام يقيّم الإنسان كإنسان لا ينظر إليه سبحان الله العظيم بمنطق هكذا أو منطق هكذا .

سلمان الفارسي يوليه عمر على المدائن حاكماً ، فيدخل أبو ذر عليه ، فيجده يعجن العجين ، قال : عجباً تعجن العجين وأنت أمير ؟ قال : أرسلنا الخادم إلى السوق ولا نريد أن نحمله أمرين في وقت واحد ، حتى بلغت قمة تكريم الإنسان وخلق الإنسان .

علي يأتي إليه ضيوف فينادي علي على خادمه ليأتي بالماء للضيوف فلم يجبه ، فدخل علي فوجد غلامه نائماً على ظهره واضعاً قدماً على قدم ويغني ، قال : يا غلام أما تسمعني ؟ قال : من أول مرة ، ولِمَ لم تجبني ؟ قال : أمنت غضبك ، فخرج علي يضحك لضيوفه ، والله إن الغلام نائم على ظهره واضعاً قدماً على قدم ويغني ويقول له أما تسمعني ؟ يقول : سمعتك من أول مرة ، ولِمَ لم تجبني ؟ قال: أمنت غضبك . فقال الحاضرون : بعه يا أمير المؤمنين ، قال : لا إنما أتعلم عليه الصبر .

بناء المجتمعات و البيوت على الفضل و العدل :

هل أراد واحد منا أن يتعلم على زوجته الصبر ؟ أو أرادت الزوجة أن تتعلم على زوجها الصبر ؟ إن لم أستطع أن أصبر على زوجتي فلِمَ أصبر على الغريب ؟ وإن لم أصبر على أولادي لِمَ أعامل الغريب بالخير ؟ ما الذي يجعل مديراً في مؤسسته يتعامل بعنف مع الذين يعملون تحت يده ؟ لا بد أن عنده خللاً نفسياً ، يجب أن يأخذ دورة تدريبية قبل أن يتولى الأمر كيف يتعامل مع الناس ، لقد أبى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لسعد أن يضع باباً على باب الإمارة ، قال: اذهب يا محمد بن أبي مسلمة قبل أن تكلمه اكسر الباب الذي بينه وبين الناس ، وقل له : إن أمير المؤمنين يقول لك من وضع باباً بينه وبين الرعية حجب الله بينه وبين وجهه الكريم يوم القيامة .

إن الناس عندما يتفاضلون بالخلق ، وعندما يتفاضلون بالتعامل ، والبيوت ، والمجتمعات لا تبنى على العدل ، لا ، العدل قد يولي ويوقعنا في دائرة الظلم ، البيوت والمجتمعات تبنى على الفضل ، أمرح أنا في مساحة الفضل التي عندك ، وتمرح أنت وتتعرض في مساحة الفضل التي عندي ، لكن قضية الحق في الشركات ، في العقود التجارية، لك كذا ولي كذا ، ولكن قضية :

(وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)

(سورة البقرة الآية : 237)

ليس بين الرجل والمرأة فحسب ، ولكن بين كل أفراد المجتمع ، بل كل أفراد الإنسانية ، لأن هذا الدين هو الدين الخاتم ، لا دين بعد الإسلام ، لا نبي بعد محمد ، لا كتاب بعد القرآن ، إذاً تمت المسألة .

على المسلمين إظهار نعمة الإسلام عملاً وسلوكاً أمام الناس :

وكان يسبق الإسلام أفراد من المسلمين ، وجماعات من المسلمين ، وأمم من المسلمين :

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131)وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133))

(سورة البقرة)

بنو إسرائيل أتباع عيسى :

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52))

(سورة آل عمران)

بلقيس لما دخلت على سليمان في ملكه :

(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44))

(سورة النمل)

لكن ما سبق الإسلام مذاهب وشرائع وحلقات ، اكتملت بهذا الدين ، فهلا أظهرنا نعمة الإسلام عملاً وسلوكاً أمام الناس ؟ أتعلم هذا يا رجل ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مداخله ومخارجه ؟ قال : لا ، قال : هل عاملته بالدرهم والدينار حتى تعرف خلقه ؟ قال : لا ، قال : أرافقته في سفر حتى تظهر لك سرائره؟ قال لا ، وفي رواية أخرى هل صاهرت منه أو صاهر منك ، حصل منك نسب ومصاهرة ؟ قال : لا ، قال : رأيته يطيل الركوع والسجود في المسجد؟ قال : إنك لا تعرفه ، ائتني بمن يعرفه ، فما فحوى المعرفة التي حققها عمر لنا ، قضية التعاملات ، ليس قضية إطالة الركوع وإطالة السجود .

النبي الكريم جاء بدين الإنسانية لأمة تعلو فيها العصبية فكان الطبيب و المداوي :

إن الشافعي قال : " عشت جمعة لا أقوم الليل فشكوت على شيخي ، قال : يا شافعي قيدتك ذنوبك ، فبحثت عن الذنب الذي صنعت ـ أنا أتصور لو قيل لنا هذا الكلام نبحث عن الذنب الذي لم نصنع ، الشافعي لقلة ما صنع من الذنوب يبحث عن ذنوب قد صنعها ـ فبحثت عن الذنب الذي صنعت فتذكرت أنني منذ جمعة دخلت المسجد بالليل قبل الفجر ، ورأيت رجلاً يصلي ويبكي ، فقلت في نفسي : كان

حرياً في هذا أن يبكي في بيته ، ـ الرياء والمنظرة ـ فعلمت أنني قد اغتبته ، فبحثت عنه ، حتى عرفته فطلبت منه أن يعفو عني فعدت إلى قيام الليل مرة أخرى ".

إذاً الذنوب التي نراها صغيرة ، ونحقر الناس ، وننظر إلى الناس من علٍ سبحان الله العظيم ، هذه كانت بعض من سوء أخلاقنا أجدادنا العرب قبل الإسلام .

وَنَشْرَبُ إنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِيْنَـا

إذَا بَلَـغَ الفِطَـامَ لَنَا صَبـِيٌّ تَخِـرُّ لَهُ الجَبَـابِرَ سَاجِدِيْنَـا

***

لو دخل الثانوية العامة يمكن أن يعبدوه من دون الله ؟ فطم ، هذه النعرة الكاذبة وهذه العصبية ، العجيب أن النبي عليه الصلاة والسلام جاء بدين الإنسانية لأمة تعلو فيها العصبية ، فكان هو الطبيب الذي وضع للإنسانية علاجها المستمر ، حتى قال الأديب الساخر بيرناد شو : لو كان محمد يعيش بيننا اليوم لحل لنا مشاكل العصر ريثما صنعنا له فنجاناً من القهوة .

إعلاء قيمة الإنسان والارتفاع بقيمته في التعاملات :

قضية إعلاء قيمة الإنسان ، والارتفاع بقيمة الإنسان في التعاملات ، لماذا كان بر الوالدين ؟ لماذا كان رأفة واحتواء الزوج لزوجته ؟ لماذا كانت طاعة الزوجة لزوجها ؟ لماذا يقول أبو حازم لما تزوجت جاءت العروس ليلة البناء وقالت لي : يا أبا عبد الله أريد أن أخطب فيك خطبة ، وقفت لتخطب ، قالت: يا أبا عبد الله أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني ، فخبرني ماذا تحب من الأمور حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ؟ فعشت معها اثنين وأربعين عاماً ما رأيت تقطيب وجهها في وجهي قط ، وما اختلفنا على صغير الأمر وكبيره قط .

أدركت مفتاح شخصية الإنسان لإنسانيته ، لو أدركت بناتنا أن الرجل إذا جاء البيت وهو الشخصية التي يجب أن يكرم ، وهو أهم شخصية في الكون ، فإذا هلل أولاده بوصوله يجب أن تفرح هي ، ماذا حصل ؟ رئيس الدولة وصل ؟ هو رئيس الدولة في هذا المكان ، أنا أريد أن أقول : إكرام الإنسان ، وتوقير الإنسان ، يبدأ من تعاملات الزوجة بزوجها ، والزوج بزوجته ، والابن بأبيه ، والجار بجاره ، والوزير المسؤول مع مرؤوسيه ، والإنسان مع أخوانه ، ثم ينطلي هذا كله على العالم الذي تضطرب به سفينة الأهواء ، وتريد أن ترسو على بر السلامة ، ولا رسو على بر السلامة إلا بطاعة البشر لله ، وإعلاء قيمة الإنسان في الأرض ، ونحن كمسلمين نذل لله عز وجل ، ونعتز بأننا من المسلمين ..

ومما زادني فخراً وتيهاً   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي   وأن أرسلت أحمدا لي نبيا

***

شكر الله لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المذيع :

جزاك الله خيراً فضيلة الأستاذ عمر عبد الكافي ، لكن اسمحوا لي أن أذكر الأخوة المشاركين والحضور ، بأن نتلقى أسئلتهم المكتوبة والمداخلة ، عودة إلى فضيلة الأستاذ علي، عندما نتكلم عن حقوق الإنسان في الإسلام نتكلم عن ثنائيات ، عن حقوق الله من جهة وحقوق العباد ، ثم تتداخل هذه الحقوق لتضفي على الإنسان سمة من القداسة ، باعتبار أن الاعتداء على هذه الحقوق هو اعتداء على الدين ، ثم إن هناك ثنائيات بين الحقوق من جهة والمسؤوليات من جهة أخرى ، البعض يرى أن نبرة الواجبات تطغى على مسألة الحقوق ، بينما في النصوص الإسلامية يبدو أن المسألة متوازنة ، أو أن الحقوق أحياناً تبدو هي المقدمة، باعتبار أن بناء الإنسان تقدم على بناء الأحكام ، كيف يمكن أن نفهم هذه الثنائيات حقوق الله وحقوق العباد ، ثنائية الواجبات والحقوق والمسؤوليات ؟

حقوق الله وحقوق العباد وجهان لعملة واحدة :

الدكتور علي جمعة :

حقوق الله وحقوق العباد هي في الحقيقة وجهان لعملة واحدة ، والحقوق والواجبات هما فعلاً وجهان لعملة واحدة ، فهناك ترابط نسميه الترابط العضوي ما بين حقوق الله وحقوق العباد ، كلمة حقوق الله أخذها منا الغرب وسماها حقوق المجتمع ، وحقوق العباد لا تزال كما هي عندهم حقوق العباد ، عندنا حقوق الله هي تلك الأمور التي ترجع إلى النظام العام ، وإلى نشأة المجتمع ، وإلى انتماء المسلم إلى جماعته ومجتمعه ، ولذلك فإن حقوق الله سبحانه وتعالى هي علاقة فيما بين الإنسان وربه ، ليست حقوق الله فقط هي العبادات بل إن هناك حقوقاً لله في الحدود ، مثلاً لو ارتكب أحدهم ما يستوجب العقوبة فهل يجوز بعد اكتشافه ووصوله إلى جهة الإدارة والحكم أن يعفى عنه أو أن هذا صار من حقوق الله ؟ في النظام الحديث من حقوق المجتمع الذي لا ينبغي أبداً أن يتهاون فيه ، ويجب علينا أن نصمم عليه ، الله غفور رحيم فإذا تنازل عبد ما عمن سرق منه ، ووهبه للسارق فإن ذلك لا يعفي ذلك السارق إذا بلغنا به إلى الحاكم من أن نوقع عليه العقوبة ، والنبي ينبهنا إلى أهمية حقوق الله وأنها لا تسقط حتى بالعفو من العباد ، ويقول : لقد هلك :

((إنَّما أهلك الذين قبلكم : أَنَّهمْ كانوا إذا سَرقَ فيهم الشَّريفُ تَرَكُوه ، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ . وَأيْمُ اللَّهِ لَوْ أنَّ فاطمة بِنْتَ محمدٍ سَرَقت لقطعتُ يَدَهَا))

[متفق عليه عن عائشة أم المؤمنين]

هذه قمة من القمم أن بنت النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ، قائد الدولة ، زعيم الأمة ، النبي عليه الصلاة والسلام ، إذا سرقت قطع محمد يدها حاشاها ، لكن حقوق الله أخذوا منا هذه الفكرة ، ولأن الله خرج من منظومات كثير من البشر أسموها بحقوق المجتمع .

حقوق العباد ليس فيها تسامح إلا بشرط أن يعفو العبد :

حقوق العباد ليس هناك فيها تسامح إلا بشرط أن يعفو العبد ، وهناك من أجل ذلك نستطيع تقسيم هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام ، هناك حقوق لله محضة ، وهناك حقوق لله تتعلق بحقوق العبد ، وهناك حقوق للعباد محضة ، فإذا كانت المسألة ترجع إلى حقوق الله المحضة فإنه يكفي فيها التوبة ، والرجوع ، والاستغفار ، كمن قصر في عباداته ، فيما لم يجعل الله له عقوبة عندما يقصر ، وإنما فتح باب التوبة ، وجعل الله سبحانه نفسه يفرح بها فرحة شديدة تجعلك تذهب إلى هذه التوبة وتتحقق بها ، وهناك حقوق العباد المحضة ولا يكون العفو فيها إلا إذا عفا العبد ، وهناك حقوق العباد التي هي من الوجه الآخر تتعلق بحقوق الله ، وحقوق الله التي تتعلق بحقوق العباد ، وفيها هذا حق للأمة الإسلامية فلا يكفي فيها الاستغفار ، ولا يكفي فيها عفو الناس .

المذيع :

فضيلة الأستاذ محمد النابلسي ، اليوم يبدو أن الحرية أصبحت هي الحق الطاغي بنفوذ الإعلام ، بنفوذ العمل الدعائي ، العلاقة هنا بين الحقوق من جهة والحريات من جهة ، خاصة إذا ما تطرقنا إلى حرية التعبير ، أو حرية النشر ، هنا تبدو التباسات في قضية الحق من جهة والحرية من جهة خاصة إذا ما تعلقت بتجريح المقدس ، أو بتجريح الدين ، إلى أي مدى يضع الإسلام ضوابط لهذه المسألة ؟

العلاقة بين الحقوق من جهة والحريات من جهة أخرى :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أتصور أن هناك موقفاً إنسانياً وموقفاً عنصرياً ، معنى الموقف العنصري أنه لمجرد أن تتوهم أن لك ما ليس لغيرك ، أو أن على غيرك ما ليس عليك ، فأنت عنصري ، هذا يبدأ من تصرف الزوج مع زوجته ، وينتهي بحق الفيتو في مجلس الأمن ، حينما تتوهم أن لك حقوقاً ليست

لغيرك ، وأن عليهم واجبات ليس عليك فالإنسان عندئذ عنصري ، وما دامت العنصرية سائدة في المجتمع الدولي فالعنف لا يقف ، لذلك لا يصلح للناس إلا العدل الذي يقابل العنصرية الموقف الإنساني.

المذيع :

فضيلة الدكتور عمر نتوقف وأنت تتكلم عن التجربة التاريخية لحقوق الإنسان في الإسلام ، توقفنا عند لحظتين ، لحظة قرآنية نبوية ، ولحظة فقهية ، اللحظة القرآنية ضربت منها الأمثلة ، ولكن ماذا عن اللحظة الفقهية هل استطاع فقهنا الإسلامي أن ينهض بحقوق الإنسان أو أن يرسخ منظومة ؟ عندما نتحدث عن حقوق الإنسان نتحدث عن ميثاق المدينة المنورة ، الدستور الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قيام الدولة الإسلامية ، لكن ماذا عن اللحظة الفقهية الأخرى هل استطاعت أن تصل إلى درجة الرقي الحضاري ؟

التجربة التاريخية لحقوق الإنسان في الإسلام :

الدكتور عمر عبد الكافي :

أحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

عندما جاء القبطي المصري إلى مكة ليقابل عمر أمير المؤمنين في الحج ، ويشكو له من ولد عمرو بن العاص والي مصر ، الذي ضربه عندما سبقه ، استدعى عمر عمراً بن العاص وولده واقتص القبطي المصري الذي على غير دين الإسلام من ابن والي مصر عمرو بن العاص ، ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمر ، قال : يا أمير المؤمنين قد أخذت حقي ، المسألة من ضربني ضربته ، قال : ما ضربك هذا إلا بسلطان هذا ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

أليس هذا قانون عالمي تطبيقي راق بهذا المنطق ؟ أليس القرآن الكريم ينصر يهودياً في قضية ابن الأبير الذي اتهمت أسرة مسلمة أسرة يهودية في سرقة الدرع ، وأنتم تعلمون القصة أنتم أهل علم ، ووضع الدرع في كيس الدقيق ، المهم انتهت القصة بأن يبرئ القرآن اليهودي ، ويقول الله لحبيبه صلى الله عليه وسلم : ولا تكن للخائنين خصيماً .

بعض من الفقهاء يقولون : لو وجد لقيط تصارع عليه مسلم وكافر ، المسلم يريد أن يأخذه عبداً ، وغير المسلم أن يتبناه ولداً ، يحكم القاضي المسلم أن يكون الولد في رعاية غير المسلم ، لأن الحرية في الإسلام مقدمة على العبودية ، ولا يحكم دين على نفسه إلا إذا كان دين حق ، ودين يبقى ما بقي الزمان.

القضية أننا رأينا عناصر عجيبة وتكاد تكون مثالية واقعية أو واقعية مثالية ، وصلت أن ماعزاً الغامدي جاء واعترف بما صنع ، واثنان من الصحابة بعد أن رجموا ماعزاً كان الرسول يسير خلفهما فقال أحدهما للآخر : ما كان ينبغي لماعز أن يعترف ، فلما مرّ على جيفة حمار انتفخت أقدامه ، قال : كُلا من هذه الجيفة ؟ قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال : أما أكلتما من عرض أخيكم أسوأ عند الله من الأكل من هذه الجيفة ، إذاً حفظ الأعراض للأحياء وللأموات ، وصل الدرجة أن الرجل ما خاض في عرض ماعز ، وإنما لم يكن هناك من داع لأن يقول هذا .

هذه الدرجة التي وصلت أن جبلة بن الأيهم لما داس على عباءته رجل من السوقة عند الكعبة ، فضربه جبلة وهشم أنفه ، فذهب الأعرابي لعمر واشتكى ، فجاء عمر لجبلة ويريد أن يصفع ويفعل الأعرابي هذا بجبلة ، يقول : لا أنا أمير وهذا من السوقة ، هذه من عظمة الإسلام سواء بالفقه أو في السلف الصالح ، والله لن تعز الأمم إلا إذا استشرى فيها العدل ، وأن يأخذ كل ذي حق حقه ، ثم نتعامل بمساحة الفضل ، فيرانا الآخر فيقول : هنيئاً لهم هذا الدين ، ونحن نحجب عن هذه الأمم الضالة البعيدةً كثيراً من النور بأفعالنا المشوهة ، وبعدنا عن فهم حقيقة ديننا ، ووجب علينا أن يرأف بعضنا ببعض ، وتعلو إنسانيتنا حتى نتناغم مع كتاب الله عز وجل في هذا الكون الذي نعيشه .

المذيع :

شكراً فضيلة الدكتور عمر عبد الكافي ، اسمحوا لي بسؤال أخير لفضيلة الدكتور المفتي فيما يتعلق بالخصوصية والعالمية ، أشرت في معرض تقديمك أن ثمة حقوق تدرج اليوم ضمن حقوق الإنسان ليست لا ديناً ولا إنسانياً يمكن أن تدرج ، لكن يبدو اليوم أن ثمة توجه لإقرار مثل هذه الحقوق ، أو إشاعتها على الأقل في الثقافة ، كيف يمكن اليوم أن نوافق بين الخصوصية التي نتحدث عنها فيما يتعلق بموقف الإسلام من حقوق الإنسان ، وهذه العالمية التي يبدو أنها تواجهنا وتحتاج منا إلى ردود مقنعة أيضاً .

الخصوصية و العالمية :

الدكتور علي جمعة :

هذه الرغبات التي توجد عند بعضهم لم تعد رغبات ، هي أصبحت الآن في معيار التقويم الموجود في بلاد كثيرة ، أن الشذوذ الجنسي مثلاً والعياذ بالله من حقوق الإنسان، بحيث يمنعون ويقومون أي دولة ليس عندها هذا ، أو عندها قانون يحرم الشذوذ ، يريدون أن يتدخلوا فيه ويحولوه ، المسألة تحولت من رغبات بعضهم وشهواتهم تحولت إلى واقع نعيش موجود الآن ودعوة إلى هذا ، الجواب الذي ذكرته

هو الذي نذكره في المحافل الدولية ، والذي لم يستطيعوا إلى الآن أن يردوا عليه ، وهو أن حقوق الإنسان هي التي متفق عليها دون التي يتفرد بها بعضهم كما يشاؤون ، وأن هناك فارقاً بين إباحة الشيء وبين إدراجه في حقوق الإنسان ، وأننا نرفض هذا ، وهذا هو الجدال القائم الآن بين كثير من الدول الإسلامية ، وبين بعض الوثائق التي صدرت من الأمم المتحدة بهذا الشأن ، فلنا تحفظات ، الدول الإسلامية لها تحفظات على بعض البنود ، وهم الآن يقولون : نحن نريد أن ترفعوا هذه التحفظات ، ولو رفعنا هذه التحفظات فهذا معناه القبول بهذه الأشياء ، وإمكانية التدخل الدولي داخل الدول لتغيير قوانينها من أجل توائمها مع هذه الأشياء ، العالم الإسلامي كله في تحفظ بل والعالم الغير الإسلامي هو يتحفظ أيضاً ، الهند وهي دولة علمانية تتحفظ كثيراً على هذه الأشياء الموجودة ، هو صراع بين الحق والباطل ، بين الشهوة وبين الدين ، بين الإنسانية في عمومها وبين قلة تريد أن تسحب العالم إلى ما يسمى بالنهضة الجديدة ، أو العالم الآخر ، أو العهد الجديد ، إلى آخر ما هنالك ، هذا الصراع نستعين فيه بالله ، ولكن كيف نرد عليه ؟ نحن نرد عليه أكثر من عشرين عاماً ونحن نتجادل بهذه القضايا والحمد لله إلى الآن لم يستطيعوا فرض رأيهم ، والله سبحانه وتعالى يؤيد الحق .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - المجالس العلمية الهاشمية - الدرس (4-4) : العنف المجتمعي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-08-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:
بداية نبدأ مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، ربما كانت كلمة العنف من أكثر الكلمات إلحاحاً في المجالس، والمقابلات، والمؤتمرات، وعلى ألسنة الكُتّاب، والإعلاميين، والساسة، ذلك أن المجتمعات العربية والإسلامية خصوصاً بل والمجتمعات العالمية تشهد تحولات يكون من كبار هذه التحول انتشار العنف بين فئات المجتمع والشباب خصوصاً، مما ينعكس بانعدام الشعور بالأمن وظهور النفسية العدائية، التي تهدد هذا المجتمع بالتفتيت، ترى ما كل ذلك؟ ما تعريفه؟ وما أسبابه؟

التعريف الدقيق للإرهاب :

الدكتور راتب :
الإرهاب بالتعريف الدقيق المعتمد كل فعل من أفعال العنف، أو التهديد به، أياً كانت بواعثه، أو أغراضه، ويقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم، بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، أو الأملاك العامة، أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.
ولكن أيها الأخوة، قبل أن أتابع الحرب العالمية الثالثة المعلنة على المسلمين من مظاهرها أن كل عمل عنيف على وجه الأرض يُعزى ابتداءً للمسلمين، فإن ثبت العكس يسكتون عن هذا العكس، لذلك يتوهم من يستمع إلى الأخبار أن كل أعمال العنف من صنع المسلمين، لي صديق يعمل رئيس الجالية الإسلامية في أمريكا، أجرى دراسة علمية كلفته مدة طويلة، النتيجة أن نسبة المسلمين في أعمال العنف لا تزيد عن اثنين بالمئة، والدراسة موجودة، لذلك جزء من الحرب العالمية الثالثة المعلنة على الإسلام تضخيم أعمال العنف وعزوها إلى المسلمين.

قضية العنف والغلو والتطرف من أصعب ما ابتليت به الأمة الإسلامية :

أيها الأخوة، إن الكشف عن جذور التطرف، والعنف، والإرهاب، إنّ معرفة أسبابه هو موضوع الساعة، وهو في نظرنا من أشد الموضوعات خطورةً، ومن أكثرها أثراً، وأجدرها بالدرس المتأني، ذلك أن الأمة اليوم تواجه مشكلات الحضارة، وتحديات العصر، ومعركة البقاء، ولا تواجه ذلك كله وهي على منهج واحد، بل هناك مناهج نبتت من خلال الابتعاد عن المنهج الأمثل، المنهج الحق، الذي ارتضاه رب العالمين لعباده المؤمنين، يقول الله عز وجل:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة الأنعام :153]

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين ومشاهدين، إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية قضية العنف، والغلو، والتطرف، التي عصف زوابعها بأذهان البسطاء من الأمة، و جهالها، وافتتن بها أهل الأهواء الذين زاغت قلوبهم عن اتباع الحق، وصار همها الأوحد إرغام خصومها على اعتناق آرائها بأية وسيلة كانت، فراح بعضهم يصدر أحكاماً، ويفعل إجراماً، يكفّرون، و يفجّرون، ويعيثون في الأرض فساداً، ويظهر فيهم العنف، والتطرف، إفراطاً وتفريطاً.

الوسطيةمن أبرز خصائص الدين الإسلامي :

أيها الأخوة، من أبرز خصائص هذا الدين القويم الوسطية، فلا إفراط، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير، ولا طغيان، ولا شطط، ولا تهميش، كلّ يأخذ حقه بالقسطاس المستقيم، فالإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة، بين الواقعية المرة والمثالية التخيلية، بين الفردية الطاغية والجماعية الساحقة، بين الثبات الرتيب والتغير المضطرب، بين الحاجات الملحة والقيم البعيدة، بين العقلانية الباردة والعاطفية المتقدة، بين نوازع الجسد ومتطلبات الروح.

أيها الأخوة الكرام، والأمة في أمس الحاجة إلى جيل يكون ناهضاً بمستقبلها، تتمثل فيه صحة الجسد، وطُهرُ النفس، ورجاحة العقل، قد بُني بناء متوازناً، هذا البناء وفّق بين المادة والروح، وبين الحاجات والقيم، ويسعى لإصلاح الدنيا والآخرة معاً، هذا البناء بني به الإنسان بناءً يجعله إنساناً متميزاً، يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلبٌ كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه ولا تملكه، يقود

هواه ولا ينقاد له، تحكمه القيم ويحتكم إليها، من دون أن يُسخرها أو يسخر منها، يُحسن فهم هذا الدين القويم، ويُحسن تطبيقه، ويُحسن عرضه على الطرف الآخر.

مثل هذا الجيل يحتاج في بنائه إلى داعية واع لخطورة رسالته، مخلص في أدائها، متسلح بالعلم والقيم، حتى يُبرز خصائص وسطية الإسلام.

عالم غربي قال كلمة في بريطانيا، قال : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اليوم اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء، ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام، ولكن بشرط أن يحسنوا فهم دينهم، ويحسنوا تطبيقه، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر.

أسباب الإرهاب السياسية :

1 ـ البعد عن شريعة الله :

أما أسباب الإرهاب السياسية، إنّ البعد عن شريعة الله هو سبب الضلال، والعمى، والشقاء الذي نعاني منه الآن في كثير من بلدان المسلمين، قال تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

[سورة طه الآية: 124]

والمعيشة الضنك هي الضيق، والشقاء، والإرهاب.

2 ـ الإحباط السياسي :

ثانياً: الإحباط السياسي: فالمنع، والقمع، والتصدي لكل ما هو إسلامي، وهذا من شأنه أن يولّد ردود الأفعال الغاضبة التي لا تجد ما تصب به غضبها إلا امتطاء صهوة الإرهاب.

إهمال الرعية أو التقصير في أمورهم وما يصلحهم، سأل سيدنا عمر أحد الولاة: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ فبحسب الشرع الإسلامي قال له: أقطع يده، فقال سيدنا عمر للوالي: إذاً إن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه، لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر له حرفتهم، فإن وفرنا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

أيها الأخوة الكرام، المظالم التي ترتكب من قِبَل منْ شأنهُم أن يعدلوا بين الناس فهذا يوجد روحاً من السخط تولد الفرصة للتعبير عن الرأي الذي حقر، أو سجن، أو عوقب صاحبه وضيق عليه.

3 ـ الاستعمار و السيطرة الاستعمارية و انتهاك حقوق الناس :

ثالثاً: الاستعمار، والسيطرة الاستعمارية، وانتهاك حقوق الناس، وأخذ أموالهم بالباطل، واحتلال الأراضي، وانتهاك الحرمات، والقتل، والتدمير، والاغتصاب، وإجبار الناس على النزوح عن أرضهم، هذا يُولد الإرهاب، والعنف، والتطرف.

هذه الأسباب السياسية.

أسباب الإرهاب الفكرية :

1 ـ الجهل بقواعد الإسلام :

أما الأسباب الفكرية، فهي الجهل بقواعد الإسلام، وآدابه،ن وسلوكه، إنّ من علامات الساعة أن يتحدث أحداث الأسنان في شأن العامة، والقضايا المصيرية.

2 ـ الجهل بمقاصد الشريعة :

الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك إلا ممن رسخ في العلم.

3 ـ اعتماد الشباب بعضهم على بعضٍ دون الرجوع إلى العلماء :

اعتماد الشباب بعضهم على بعضٍ دون الرجوع إلى العلماء: يقول ابن مسعود رضي الله عنه:

((لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم، وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا))

[رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون باب معرفة معنى الحديث بلغة قريش]

الأسباب النفسية للإرهاب :

1 ـ حب الظهور والشهرة :

أما الأسباب النفسية للإرهاب، حب الظهور والشهرة، حيث لا يكون الشخص مؤهلاً فيبحث عما يؤهله باطلاً، فيشعر ولو بالتخريب، والقتل، والتدمير، أنه أكد ذاته.

2 ـ الإحباط :

الإحباط: أحد أسباب الإرهاب الإحباط، والخروج على النظام، وعلى العادات والتقاليد، هذا الإحباط وراء هذه التجاوزات، يشعر الشخص بخيبة أمل في نيل حقه، أو الحصول على ما يصلحه، عندئذ يلتجئ لهذا الطريق غير الصحيح.

شكراً فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي على هذا التفصيل، عن أسباب العنف وربطه بالإرهاب، وإن كان موضوعنا الرئيسي الحديث عن العنف بأبعاده الاجتماعية، وآثاره وسبل علاجه، نسمع من الأخوة العلماء أيضاً بحدود دقيقتين إذا كان هناك إضافة أو تعليق، يمكن أن يثري الموضوع.

أمية العقيدة وأمية الكتابة والقراءة أحد أسباب العنف في المجتمع :

الدكتور زغلول النجار :

بشقيها أمية العقيدة وأمية الكتابة والقراءة هذا أحد الأسباب، لأن الإنسان إذا فقد العلم اتجه إلى القوى المادية، والقوى المادية تؤدي إلى أحداث كل مظاهر العنف التي نراها، على مستوى الأسرة، والمجتمع، و العالم، فإهمال التعليم هو أحد الأسباب الرئيسة لانتشار العنف في بلادنا ، والتعليم بشقيه المدني والشرعي الذي يُفهم الإنسان حقيقة استهدافه في هذه الحياة عبداً لله، خلقه الله عز وجل لمهمة محددة وهي مهمة ذات شقين، أولها: عبادة الله عز وجل بما أمر، والآخر: حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض لعمارتها وإقامة شرع الله فيها، هذا ما عندي وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد.

التعدي على الآخرين بالضرب أحد أسباب العنف في المجتمع :

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري:

الحمد لله، أنواع العنف الأخرى الداخلية التي نعيشها في أسرنا اليوم، التعدي على النساء بالضرب، التعدي على الرجال بالضرب، التعدي على الأطفال بالضرب، العنف الاجتماعي، العنف الدعوي في كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجمل هذه النواحي من العنف التي تمارس اليوم، أنه فعل يضاد الرفق، وهو مخالف بالأصل للدعوة إلى الله عز وجل،

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

المذيع:

ننتقل إلى المحور الثاني في هذا المجلس الكريم الدعوة إلى الله حرفة، تحتاج هذه الحرفة إلى إتقان، وإلى رفق، وأنها تؤثر على نشر دين الله عز وجل، و الله عز وجل خاطبنا:

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

[سورة الممتحنة: 5]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن اللَّه رفيق يُحبُّ الرِّفْق في الأمر كلِّه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الخطاب الديني مسؤول عن إشاعة ثقافة القرب والرحمة بين الناس، وليس مسؤولاً عن إبلاغهم دخولهم جهنم، وتصنيفهم، وتجهيلهم، وتكفيرهم، والأحكام المسبقة على المجتمعات، وتقسيم العالم إلى فسطاطين، فسطاط حق يمثلونه، وفسطاط باطل يقاتلونه، ترى فضيلة الشيخ الحبيب الجفري وأنت ممن يبشرنا بثقافة الحب مقابل ثقافة الكراهية، ماذا يواجه شباب الأمة وأبناءها في هذا الإطار؟

إشكالية العنف في الدعوة إلى الله إشكالية موجودة منذ الرعيل الأول :

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

الحديث عن العنف في الدعوة إلى الله عز وجل حديث ذو شجون، إذ أن إشكالية العنف في الدعوة إلى الله إشكالية متجذرة ليست بجديدة، هي موجودة منذ الرعيل الأول، غير أن الفرق بين الأمس واليوم، أن

الرعيل الأول كان زمام الدعوة إلى الله فيه لدى العلماء الربانيين المؤهلين، وكان ولاة الأمر إما أن يكونوا هم من العلماء الدعاة أو ممن يرجعون إلى العلماء الدعاة في الأمور المتعلقة بالدين، لما كان الأمر كذلك، مهما تكرر ظهور من أرادوا الأخذ بزمام العنف في ميدان الدعوة إلى الله كان الولاة والعلماء يجتمعون على الأخذ على أيدي أولئك، وعلى منعهم مما يفعلونه، إذ خاطب الله عز وجل سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام فجعل التأصيل أي الأصل في الدعوة إلى الله يرجع إلى اللين لا إلى العنف، والآية في القرآن الكريم هاهنا صريحة، لكن قبل أن أذكر الآية دعوني أخاطب شيئاً ربما يجول في كثير من النفوس، الحديث هنا عن التأصيل، ليس الحديث هنا عن أمر يكون مضاداً للجهاد في سبيل الله أو الدفاع عن المقدسات والحرمات، الكلام هنا عن تأصيل في الدعوة إلى الله، لأن الناس اليوم من كثرة ما صاروا يسمعون عن مضاد العنف اختلط في العقول قضية المقاومة المشروعة للاعتداء الغاشم، الكلام ليس في هذا الباب.

سرّ نجاح الدعوة إلى الله تأسيس الدعاة على الرحمة و الرأفة :

نعود إلى ما كنا في صدده، الحديث هنا عن منهج في الدعوة إلى الله عز وجل، في الدعوة إلى الله عز وجل قال الله لنا:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

[سورة آل عمران الآية:159]

وتأملوا هنا العفو يأتي مقابل ماذا؟ الخطأ:

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

والاستغفار يأتي مقابل ماذا؟ الذنب، الحق سبحانه وتعالى يقول للمعصوم صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء الذين يحيطون بك، وفيهم من يخطئ فيحتاج إلى عفوك، وفيهم من يذنب فيحتاج إلى استغفارك، هؤلاء يا أكمل الناس عقلاً:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

فجعل الأساس في الصلة لين الجانب من قبل الداعي إلى المدعو، وجعل هذا اللين متصلاً برحمة الله عز وجل، وقد كان العلماء يدرسوننا منذ الصغر الحديث الذي يسميه المحدثون: المسلسل بالأولية، أي أنه أول حديث يتلقاه التلميذ عن الشيخ بسند متصل، والشيخ يقول له: حدثني شيخي فلان وكان أول ما سمعت منه، الحديث هو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((الراحمون يرحمهم الرحمن))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

هذا المسلسل بالأولية يُعلمنا أن التغذية الأولى لمن يريد أن يخدم الدعوة إلى الله عز وجل ينبغي أن تكون قبل التعلم للأحكام الاستشعار بمعنى الرحمة، أي أن الأساس في الصلة بينه وبين ما يحيط به من الوجود هو الرحمة لكل ما هو موجود، فتأسيس الدعاة إلى الله عز وجل على هذا الأساس يحمل الدعاة إلى النظر إلى حسن التعامل مع المدعويين على أنه جزء من معاملتهم مع الله عز وجل، بمعنى أن سرّ الدعوة أو سرّ نجاح الدعوة وأثرها في العالم أحوال قلب الداعية، إذا نظر الله عز وجل إلى قلب الداعي فوجد الرحمة تملأ قلبه، والمحبة تأخذ بجنبات قلبه، رحم الله هذا الداعي ورحم به عباده، وإذا رأى بالداعي إلى الله السخط، السخط على الناس، ورأى فيه الغلظة، والنقمة، ورآه يستخدم الدين كوسيلة للتنفيس عن غرضه تجاه المجتمع الذي يحيط به، لن يستخدم هذا الداعي إلى الله ليكون سبباً لهداية البشر، هذا الأساس الذي ينبني عليه أمر الرفق في الدعوة إلى الله.

مجالات الدعوة إلى الله عز وجل :

ثم إن في ميدان الدعوة إلى الله عز وجل عدة مجالات قد لا يتسع الوقت لبسطها، وتفادياً لانقضاء الوقت ألخصها في ثلاثة أشياء، وهي تتفرع عن ثلاثة مجالات كثيرة، المجال الأول: الدعوة الداخلية، أي دعوة المسلمين، والمجال الثاني: الدعوة الخارجية، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، والمجال الثالث: الدعوة الخاصة، وهي المتعلقة بالعلماء الربانيين الذين مهمتهم ترقية قلوب من يرتبط بهم في المعاملة مع الله، في تطهير هذه القلوب، وملئها بنور المعاملة الخاصة مع الله عز وجل المعبر عنها بالتزكية.

الإشكالات التي نعانيها اليوم في ميدان الدعوة إلى الله عز وجل :

1 ـ طريقة الخطاب الذي يمتلئ بالحكم على الناس :

أما النوع الأول من الدعوة إلى الله عز وجل وهو دعوة المسلمين داخلياً، من الإشكالات التي نعانيها اليوم في ميدان الدعوة أن البعض قد يأخذه حرص على هداية الناس مأخذ الدفع بالناس نحو ما يريد، ويتمثل العنف إما بطريقة الخطاب الذي يمتلئ بالحكم على الناس، الفساق، الفجار، الداعرات،

العاهرات، هذه الألقاب التي للأسف أصبحت بكثرة تتردد من على منابرنا، وكان النبي عليه الصلاة والسلام لم يعهد عنه أن يكون منبره على هذا النحو من الخطاب، هب أن من تتحدث عنه تحرك قلبه قليلاً، وأراد أن يسمع ما يُقربه إلى الله فجاء إلى مجلسك، فإذا به يسمع كلاماً عنه بهذه الغلظة.

فحمل الناس بالدفع على هذا النحو لا يترتب عليه هداية للخلق، ربما تترتب عليه معان من إعجاب البعض من الذين تضرروا من هذا الباطل المحيط بهم فيُعجبون بالخطيب، فتنال شيئاً من الثناء، ما شاء الله الخطيب هذا ما تأخذه في الله لومة لائم، هذا لا يخاف إلا الله، هذا يتكلم بالإشكالات الموجودة، هناك رياء يحصل تجاه السلطان، هناك رياء آخر يحصل تجاه المستمعين، فالذي يصعد المنبر، وهو مرتبط برضا المستمعين عما يقول لا يقل إثماً عمن يصعد المنبر ومرتبط برضا الحاكم لما يقول ، والداعي إلى الله عز وجل لا يرقب رضا الحاكم ولا رضا المحكوم، وإنما يطلب رضوان الله عز وجل، فإذا استشعر الذي يصعد إلى المنبر أن مهمته من على المنبر جمع قلوب الخلق على الخالق لم يلتفت للبحث عن الألفاظ الطنانة، التي تشعر الناس بالهيجان وبالتالي الثناء على هذا الداعي إلى الله.

أيضاً هناك عنف آخر غير العنف اللفظي الذي يقوم على التسمية، وبالمناسبة العنف اللفظي الذي يقوم على التسمية فيه إشكالية أن البعض أسرف في ذكر النار والعذاب إلى الحد الذي فقد فيه ذكر الناس الأثر المرجو منه، الله عز وجل ذكر النار وهدد بالنار في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية كي يرهب القلوب المؤمنة فترهب الأنفس عن الباطل، المريض الذي يسرف في أكل السكريات وعنده السكر، إذا لم يفهم، نقول له: تفقد عيونك، هذا الترهيب إشعاره أن العاقبة السيئة تجعله ييئس، لو أن هذا المريض في كل سفرة يقولون له: انتبه لا تأكل تفقد عيونك، تفقد عيونك، تفقد عيونك، يفقد الإحساس بالأثر، يقول: يا أخي دعوني آكل هذه الأكلة وللقبر، يفقد الإحساس بمعنى الترهيب، كذلك الإسراف في ذكر النار والعذاب وعذاب القبر، وما يترتب عليه، قد يصل بسبب الإكثار منه من على منابرنا إلى التنفير وليس الترهيب المرجو، والمراد منه.

2 ـ التركيز على الترهيب مع ترك الترغيب والتشويق :

أيضاً التركيز على الترهيب مع ترك الترغيب والتشويق يبني نفسية المتدين الصاخب الذي الأصل في تعامله مع كل ما يحيط به الرفض التهديد، فإذا تطور هذا المتدين الساخط على أيدي بعض الجماعات المتطرفة تحول إلى مادة جاهزة للتفجير.

3 ـ العنف اليدوي :

الجزء الآخر وهو العنف اليدوي المستخدم فيه اليد أو السلاح، وهو ناتج عن جهل ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها ضوابط لا يتسع الوقت الآن لبسطها، لكن عند جهل ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينشأ عندنا شباب ولاحظوا كلمة العنف من حيث النطق لها ارتباط بعنفوان الشباب، وإن كان بعض علماء اللغة قالوا: إن الأصل في عنفوان، مأخوذة، استبدل فيها العين بالألف، الأصل فيها الأنف مقدمة الشيء، وبداية العمر، لكن هناك ارتباط باللغة، العنف والعنفوان، لحظة عنفوان الشباب، الشاب عنده تمرد، عنده إرادة للتغيير، فإذا صار الخطاب الإسلامي يتوجه إليه بحَثِه على التغيير بالقوة كان هذا الأمر ما ينتج عنه أولاً: نفرة عن التدين في مجتمعنا وهذه مسألة خطيرة، الآن بعد سنوات الصحوة التي كنا سعيدين بها سامحوني إن قلت لكم: نحن نشهد الآن مرحلة ارتداد عن الصحوة، لا أقول عن الدين، نكوث في الصحوة، وأحد أسباب هذا أخطاء ارتكبت في الخطاب الإسلامي قوبلت بأخطاء في التعامل مع هذه الأخطاء من جهات عدة، ينبغي التنبه للشباب الذي يتربى بين ظهرانينا، بحاجة إلى الترغيب والتشويق أكثر من حاجتهم إلى غير ذلك، واستخدام اليد في تغيير المنكر على غير النحو الصحيح أورث ما يحصل اليوم من تكسير، وحرق، وتفجير، وسبحان الله الذي يسير في هذا الطريق تحصل عنده ردة الفعل، قرأت مقالات عن بعض الشباب الذين يحسبون اليوم على الليبراليين، يقول: أنا في يوم من الأيام كنت متديناً، وكانت النتيجة أني استخدمت في تفجير محل فيديو، فُتح حديثاً لاستئجار أشرطة الفيديو في منطقتنا، أرأيت أن امتداد ردة الفعل إلى العكس كانت نتيجة لدفع الشباب نحو استخدام العنف، ولا أفضل، ولا أطيب، ولا أعظم من منهج جاء به النبي عليه الصلاة والسلام وهو منهج:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

العلاج الذي نحتاجه في حلّ هذه الإشكاليات إعادة النظر في تأهيل الدعاة :

وأخيراً أقول: إن العلاج الذي نحتاجه في هذه الإشكالية التي طرحت على عجل هو إعادة النظر في تأهيل الدعاة، دققوا هنا الاكتفاء بالمنهجية الأكاديمية في إعداد العلماء والدعاة أثبتت فشلها في السنوات الماضية، نحتاج مع الاستفادة من المنهجية الأكاديمية إلى عودة الارتباط بالمشايخ المربين، لم يتسع الوقت من ذكر القسم الثالث من الدعوة، عودة مسألة التربية، والقدوة، والارتباط في منهجيات إعداد الدعاة هي التي تملأ قلوب الدعاة بمعنى الخبرة وطلبة العلم، فلا تحصل القفزات التي نشتكي منها اليوم، وجزاكم الله خيراً.

المذيع:

أعتقد أن هذا من المواضيع الحساسة والمحاور الهامة في الدعوة إلى الله عز وجل والتعامل مع غير المسلمين، ومن تقديم صورة مشوهة خاطئة عن هذا الدين العظيم لأنه نزل رحمة للعالمين، ويجب أن يقدم بأيدي حانية رحيمة، وجرير يقول: "ما لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا ضاحكاً مستبشراً"، نحب أن نسمع الدكتور محمد راتب النابلسي ما كنا قد منعناه.

الابتعاد عن التداخل بين آداب الدعوة و آداب الجهاد :

الدكتور راتب :

عند بعض الدعاة تتداخل آداب الدعوة وآداب الجهاد، فالله يقول:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)

[سورة التوبة الآية:73]

هذه في الحرب لا في الدعوة بينما في الدعوة:

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

[سورة فصلت: 34]

هذه الآية أخلاق الدعوة، وتلك الآية أخلاق الجهاد، الجهاد له ميدان، والدعوة لها ميدان، فإذا تداخلت هذه الأوراق وقعنا فيما تفضل به الأستاذ الجليل.

المذيع:

طبعاً بين المتحدثين أريد أن أؤكد على الأخوة بضرورة تزويدي بالأسئلة مكتوبة.

افتتاح العلم بالراحمين يرحمهم الرحمن :

دكتور أحمد:

الحقيقة ألفت النظر للحديث الذي افتتح فيه تعليم العلم الشرعي:

((الراحمون يرحمهم الرحمن))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

دكتور زغلول:

ما عندي ما أضيف.

المذيع:

جزاك الله خيراً، هذا الأمر مسؤولية كبيرة في أن نقدم الإسلام بالصورة اللائقة والصورة الجميلة، وأن نبتعد عن العنف والحدة في الدعوة، والغلظة في التعامل بيننا وبين المسلمين، ونقدم هذا الإسلام بصورة تجعل الناس يحبون هذا الدين، ويدخلون فيه، كما دخلوا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

اللين في الدعوة إلى الله عز وجل :

الدكتور راتب :

إذا وجه الله نبيه سيدنا موسى إلى فرعون:

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً)

[سورة طه الآية: 43 -44]

الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات]

والذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص الآية: 38]

(فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

فما بال الدعاة يخاطبون المسلمين بقسوة؟

المذيع:

جزاك الله خيراً، هذه السعة الكبيرة وهذه الروح التي دفعها النبي عليه الصلاة والسلام في المسلمين تضمر، وتضعف، نتيجة عوامل الإحباط، ونتيجة الهزيمة أحياناً للداعية عندما لا يحس أنه مسؤول عن إدخال هؤلاء لدين الله عز وجل، وحتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد جنازة يهودي فقال: "نفس أفلتت مني إلى النار "، ولم يتحدث بما يخطر في بال إنسان عندما يرى جنازة عدو.

بالتأكيد الآن لدينا من الوقت مع الدكتور زغلول النجار لنتحدث عن ظاهرة العنف الأسري، أهدت إحداهن لزوجها ساعة في ذكرى زواجهما، قدمتها له وهي تطير فرحاً، فسألها مباشرة: كم ثمنها؟ فأخبرته، فقال له: غبية مضحوك عليك، لا تستأهل هذه الساعة كثيراً، إنها غالية جداً.

وقدم رجل لامرأته وردة حمراء جميلة فشمتها ثم ألقتها وقالت: ليس لها رائحة، وقد قال: الكلمة الطيبة صدقة، أحببت بهذين المثالين أن نفتح الحديث في موضوع العنف الأسري الذي يهدد الخلية الحيوية

للمجتمع الإسلامي، يهدد الطفولة، دكتور زغلول هذا الموضوع متشعب، والمعاناة فيه واسعة، وخاصة مع بعد الناس عن الدين، والتحلل القيمي الذي يسود كثيراً من المجتمعات نتيجة العولمة التي تفرض على بلاد المسلمين، تفضل.

تحريم الإسلام للعنف لأن الإنسان مخلوق مكرم عند الله عز وجل :

الدكتور زغلول النجار :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، معالي الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني بن الحسين المفدى حفظه الله، أصحاب السماحة، أحمد الله تعالى إليكم وأصلي على النبي عليه الصلاة والسلام، وأحييكم مرة أخرى بتحية الإسلام وتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم، خلقه ربنا تعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأسجد له الملائكة، وأدخله جنته، ثم استخلفه في الأرض، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، والإنسان الذي كرمه الله عز وجل لا يجوز لأي سبب من الأسباب أن يهان، أو أن تهان كرامته، لذلك الإسلام يحرم ما يعرف الآن باسم العنف، بصفة عامة العنف المجتمعي، والعنف الأسري بصنف خاص.

والعنف كما عرفه الأخوة هو استخدام القوة المادية بطريقة مفرطة، وبغير حق واضح، ضد فرد من أفراد الأسرة، فرد من أفراد المجتمع، بإلحاق الضرر به مادياً، أو معنوياً، أو الضرر ببعض مصالحه، والإنسان هذا المخلوق المكرم جعله الله عز وجل مخلوقاً اجتماعياً، لا يستطيع الحياة بمفرده، ومن هنا كانت ضرورة قيام المجتمعات، وضرورة وجود عدد من الضوابط التي تحكم تلك المجتمعات، من أجل تيسير التعايش بين الأفراد، وتنظيم علاقاتهم في بعضهم البعض، في داخل الأسرة والمجتمع، وفي التعامل بين المجتمعات المتعددة، وركيزة تلك الضوابط فهم الإنسان لحقيقة رسالته في هذه الحياة عبداً لله خلقه ربنا تبارك وتعالى بمهمة محددة، أولها: عبادة الله عز وجل في الأرض، وآخرها: حسن القيام بواجب الأسرة في الأرض بعمارتها، وقيام شرع الله فيها.

حاجة الإنسان إلى التربية والتعليم منذ نعومة أظفاره :

والإنسان مخلوق عاقل مكلف، ذو إرادة حرة، وبحكم تكوينه من طين الأرض ونفخة الروح يصبح مزوداً باستعدادات نفسية متساوية للخير والشر، لذلك قال تعالى:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

[سورة الشمس:7-8]

ومن هنا كانت حاجة الإنسان إلى التربية والتعليم منذ نعومة أظفاره، ولذلك قال الله عز وجل:

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[سورة النحل: 78]

وهناك تبعات مترتبة على منح الله للإنسان العقل والحواس القادرة على الاختيار بين الحق والباطل، ومن رحمة الله عز وجل بهذا الإنسان أنه لن يكله إلى هذه الحواس، ولا إلى العقل، ولا إلى الإيمان الفطري، الذي غرسه الله عز وجل في جبلته الإنسانية، ولكن الله عز وجل أرسل الرسل والأنبياء، مذكراً للإنسان لحقيقة سيادته في هذه الحياة، وأقام الموازين الدقيقة بعلاقة الإنسان بربه وبغيره من خلق الله، حتى يكون قادراً على تحمل تبعات التكليف في الحياة الدنيا، فإن لم يدرك الإنسان أخطار عاقبة ما يفعله في هذه الحياة الدنيا فإنه يخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ممارسة الإنسان للعنف في المجتمع من عوامل إفساد الإنسان لرسالته :

ومن عوامل إفساد الإنسان لرسالته في الحياة ممارسته للعنف في المجتمع الذي يعيش فيه، وأول ما يمارس العنف أن يكون في داخل الأسرة، لأن الأسرة هي لبنة بناء المجتمع، والعنف داخل الأسرة التي يفترض أنها تقوم على المودة والرحمة أمر مغاير تماماً للفطرة التي فطرها الله عز وجل الناس عليها، العنف قد يكون بين الزوج والزوجة، بين الأبناء، بين الأبناء والوالدين، علماً بأن الله عز وجل قد وضع ضوابط بشكل فائق الدقة.

أسباب العنف البشري :

من أسباب العنف الأسري، غياب أو ضعف الوازع الديني، ينقل المسلم من انتصار للحق الذي علمنا الله عز وجل إياه إلى العصبيات الضيقة، الأنانية الشخصية، العصبية القبلية العشائرية، الجنسية،

العرقية، انتشار الأمية بشقيها، أمية القراءة والكتابة، أمية العقيدة، لأن ربنا أسجد ملائكته لآدم عليه السلام بما حباه به من علم.

سوء تربية الناشئة منذ بدء الإدراك، إذا نشأ الطفل في بيئة يسود فيها العنف. غياب أساليب الحوار والمشاورة داخل الأسرة الواحدة نتيجة للجهل، أو لسوء الاختيار، عدم التوافق الأسري مما يؤدي إلى الطلاق في النهاية، وتشتيت الأسرة والأبناء، انتشار العنف في وسائل الإعلام بصفة عامة، الإدمان من بعض الأفراد على تعاطي المسكرات، المخدرات، انتشار البطالة والفقر، تعثر الأبناء في التحصيل الدراسي، أو فشلهم فيه، والخروج من التعليم أو من البيت بالكامل، رفقة السوء، بالنسبة لأي من الزوجين أو الأبناء، عدم وعي الوالدين بمتطلبات المراحل العمرية المتتالية في حياة الأبناء، زيادة بعض العادات والتقاليد الخاطئة، مثل التعصب الأعمى للعشيرة أو القبيلة، أو انتقام العرض أو الشرف.

هذه الظاهرة إذا انتشرت في الأسرة تدمرها بالكامل، والأسرة كما أشرت إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، هذا العنف يؤدي إلى تدمير شخصية أفراد الأسرة، خاصة الناشئة منها، وتعريضهم للإصابة بالعديد من العقد والأمراض النفسية، تؤدي في النهاية إلى انهيار الأسرة بالكامل، بسبب استخدام العنف بين أفرادها، ارتفاع معدلات الجريمة في المجتمع، مما يهدد أمنه واستقراره، إصابة الشباب باليأس، والانحراف، الذي يؤدي في النهاية إلى جرائم القتل، أو الانتحار، أو التخريب في المجتمع، إشاعة الفوضى في المجتمعات مما يعيق التنمية بالكامل، ويضعف الأمة، كثرة ضحايا العنف الأسري، وهم الأفراد الأضعف في الأسرة، وهم عادة المرأة، أو الصغار والكبار الطاعنون في السن، أو المعاقون، مما يؤدي إلى ضياع المجتمع.

بناء الأسرة على أسس إسلامية صحيحة يكون بـ :

1 ـ الاهتمام ببناء الفرد :

كيف عالج الإسلام مثل هذه الحالات؟ طبعاً الإسلام يهتم ببناء الفرد أولاً الذي تتبنى منه الأسرة، فضرورة العمل على إصلاح الفرد، وذلك بمحاربة الأمية بشقيها القراءة والكتابة، وأمية العقيدة، الدعوة إلى الالتزام بالعبادة المفروضة، العمل على حسن التربية للنشء، تعليم الأبوين القواعد الصحيحة، تنشئة أبنائهما التنشئة الإسلامية القائمة على أس من فهم الإنسان لرسالته في هذه الحياة، وكيف يجب أن تقوم على حسن الصلة بالله وبالناس، ومن ضرورة تحقيق السلم في المجتمع، والالتزام بمكارم الأخلاق، وبحقوق الأخوة الإنسانية، وما تستتبعه من ضرورات التكافل والتراحم بين الناس، والتي

تعمل على إحياء الضمير، وبناء الشخصية السوية، والملتزمة بمسؤولياتها تجاه الأسرة التي ينتمي إليها، والمجتمع الذي يحيا فيه، والمحافظة على دينه، وكرامة أفراده، وحرمة دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأمنهم، في تكافل مادي ومعنوي صحيح، والعمل على النهوض بهذا المجتمع بالجد، والاجتهاد، والعمل المتواصل، في ظل من المحافظة على حرمات الآخرين، وحقوقهم، بتحقيق العدل والمساواة بين الجميع.

2 ـ الحرص على حسن بناء الأسرة المسلمة على قواعد من المودة والرحمة

الحرص على حسن بناء الأسرة المسلمة، على قواعد من المودة والرحمة كما شرع الله عز وجل، لأن الأسرة هي لبنة من المجتمع، وتربية الأبناء ضمن الأسرة، وتكون شخصيتهم فيها، لذلك يقول الله عز وجل:

(وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

[سورة الروم : 21]

وهذه السكينة تتنافى مع استخدام العنف، لذلك قال تعالى:

(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)

[سورة البقرة : 229]

3 ـ حسن اختيار كل من الزوجين لرفيق حياته على أساس من الدين والتكافؤ والتكافل :

و رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصينا بأحاديث كثيرة فيقول:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ونهى عن الظلم نهياً قاطعاً:

((إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة))

[الترمذي وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم، من ذلك حسن اختيار كل من الزوجين لرفيق حياته على أساس من الدين، والتكافؤ، والتكافل، والتراحم، ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((خيروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم))

[المستدرك على الصحيحين عن عائشة]

ويقول:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

[صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

4 ـ وضع التشريعات لحماية الأسرة :

من ذلك أيضاً وضع التشريعات لحماية الأسرة، وتأكيد أن الإسلام يساوي بين الزوجين في الحقوق والواجبات مساواة كاملة، مع مراعاة الخصوصيات الفطرية والوظيفية لكل منهما، والتي يكمل بعضها بعضاً، ووزع مسؤولية الأسرة بينهما في فواصل تحكمها الرحمة، وتحترم فيه أواصل الرحمة.

5 ـ علاج قضية الأنثى المسلمة علاجاً يجمع بين النهوض بها والمحافظة عليها :

ضرورة علاج قضية الأنثى المسلمة علاجاً يجمع بين النهوض بها دينياً، وثقافياً، وتربوياً، وبين المحافظة عليها كأنثى وفق تعاليم الإسلام، وحدوده، وقيمه، من العفاف، والطهر، ويعين على تحقيق ذلك التشجيع على الزواج المبكر، والدعوة إلى تيسير إجراءاته، والدعوة إلى تيسير إجراءاته، والإعانة عليه.

6 ـ الاهتمام بتربية الأبناء وتنشئتهم في بيئة صالحة :

ضرورة الاهتمام بتربية الأبناء وتنشئتهم في بيئة صالحة، وفي ذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

7 ـ المداومة على التثقيف الديني المتدرج للأبناء :

المداومة على التثقيف الديني المتدرج للأبناء، وتدريبهم على الالتزام بآداب الإسلام، ومنها الصدق بالقول، والشجاعة بالحق، والأمانة في السلوك، والاعتراف بالخطأ، وحب الخير، وحب التميز، والحياء وعفة اللسان، وإكرام الكبير والعطف على الصغير، وحب التعلم وفي ذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه".

8 ـ فنية ثقافة الحوار في داخل الأسرة مع مداومة النصح :

فنية ثقافة الحوار في داخل الأسرة مع مداومة النصح، ولفت النظر برفق، وتعويد الأبناء على قبول النصيحة، فالدين النصيحة، وعلى قبول النقد بصدر رحب واسع، تعويد الأبوين على إعلام أبنائهما بأخطائهما أول بأول، حتى لا تتراكم الأخطاء ويصعب حلها، ويجب أن يكون هناك توازن دقيق بين العطف على الأبناء وبين الحرص على ضبط سلوك كل منهم، واستخدام أسلوب الثواب والعقاب إذا لزم العقاب على خطأ ارتكبوه، على أن يكون العقاب متناسباً مع حجم الخطأ المرتكب في غير مبالغة أو تقصير، أو إهانة لكرامة الطفل المعاقب، كما يجب إعلام المخطئ بخطئه أولاً بأول حتى لا تتراكم الأخطاء، مع ضرورة تنويع أساليب التنبيه إلى الأخطاء، وأساليب العقاب عليها، وضرورة نسيان الأخطاء السابقة وعدم التذكير بها.

هذه بعض القضايا اللازمة لبناء الأسرة على أسس إسلامية صحيحة، أولها: بناء الفرد، ثم تعليم أو حسن اختيار الزوجين كل منهما للآخر، بما في ذلك من تكافؤ الثقافة والفكر والمستوى الاجتماعي، وتعليم وتعريف كل من الوالدين بحقوقه داخل الأسرة وواجباته، وأن نجاح الأسرة المسلمة في حدّ ذاته دعوى لهذا الدين العظيم بالنموذج التطبيقي الواقعي في الحياة.

وكما أشرت الأسرة هي لبنة المجتمع إذا صلح حالها صلح حال المجتمع، وعلينا جميعاً أن نتعاون من أجل تحقيق نجاح الأسرة المسلمة، حتى يبقى فيها دعوة لهذا الدين العظيم، لأن أي مطلع على حال أسرة مسلمة وأسرة غير مسلمة، يستطيع أن يدرك ذلك بجلاء، ورأيت والله كثيراً من الغربيين الذي أسلموا بحسن انسجام الأسرة المسلمة بالشرق، أو بالغرب، برؤية النموذج العملي التطبيقي لهذا الدين، وصلى اللهم على سيدنا محمد.

المذيع:

جزاك الله خيراً، هذا من المواضيع الحساسة التي تمس أمن الأسرة المسلمة، وتؤثر في النهاية على النسيج الاجتماعي، فمهما تعرضت بالنتيجة أمة الإسلام من أخطاء ومن تحديات، إلا أنه إذا بقيت

الوحدة الحيوية والخلية الأساسية بالمجتمع سليمة، يكون هذا المجتمع قادراً على تجاوز الأخطار والانتصار على الأعداء، نحب أن نسمع من العلماء الأجلاء بحدود دقيقتين تعليقاً حول هذا الموضوع.

المقياس الذي يقيس به الزوج أو الأب ما إذا كان ناجحاً أو غير ناجح :

الدكتور راتب :

من خلال هذه المحاضرة الرائعة حول الأسرة أنا أستنبط مقياساً يقيس به الزوج أو الأب ما إذا كان ناجحاً أو غير ناجح، لا بدّ من كلمة عيد، أعلى درجة من الفرح، فالعيد عند دخولك إلى البيت أم عند خروجك؟ هذا هو المقياس.

الإشكالية الكبيرة التي تواجهنا فيما يتعلق بظلم المرأة في مجتمعنا :

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري:

عندي ملاحظتان، الملاحظة الأولى أن ينبغي أن نعترف بصدق أن هناك إشكالية كبيرة تواجهنا فيما يتعلق بظلم المرأة في مجتمعنا، من الشجاعة أن نعترف معاشر الرجال أن المرأة تعاني ظلماً كثيراً في مجتمعنا، وربما من الشجاعة أن يعترف الدعاة، وطلبة العلم، والعلماء أن كثيراً من الأحيان يتم تبرير هذا الظلم باسم الدين، والدين براء من ذلك، ينبني على هذه الملاحظة أنه آن الأوان أن يتحول دور الدعاة إلى الله عز وجل من مرحلة الدفاع عن الإسلام بأن الإسلام ما ظلم المرأة، وأن المرأة كانت توأد والإسلام منع وأدها، ننتقل من هذه المرحلة، الإسلام أكبر من أن يحتاج أن يدافع عنه في هذا المجال، الدفاع الحقيقي هو الانتقال من الدفاع عن الإسلام إلى مرحلة امتثال أمر الإسلام بالدفاع عن المرأة فيما يتعلق بحقوقها، هذه نقطة ينبغي أن نتنبه إليها جيداً، و إلا فلا نلومن إلا أنفسنا إذا وجدنا أن نساءنا يتسحبن واحدة تلو الأخرى استجابة لدعوات متطرفي اللادينيين الذين يستغلون شعور المرأة بالظلم لانتزاع معنى ارتباطها بدينها منه.

قضية المصطلحات :

النقطة الأخيرة قضية المصطلحات، لا يوجد مسلم ولا غير مسلم ولا عاقل يقبل موضوع العنف الأسري، لكن ينبغي أن نكون حذرين لأنه في البداية يرفع مصطلح مثل مصطلح العنف الأسري، وكلنا ضد هذا الأمر، لكن عند تحويل المسألة إلى مرحلة التشريع وهي مهمة، وأشار إليها الدكتور قبل قليل، لكن عند تحويلها إلى مرحلة التشريع والتقنين تدخل ضمن الاتفاقيات العالمية مشكلة عدم احترام

الخصوصيات الثقافية، بمعنى يدخل ضمن بعض الاتفاقيات اعتبار كل مد يد على أي ابن أو طفل يعتبر هذا من العنف الأسري، أي لو أب أو أم جاء أحدهما وقال لابنه: عيب يا ولد هكذا على يده، دخل ضمن العنف الأسري، وبعض دولنا توقع على هذه الاتفاقيات دون ملاحظة، ودون مناقشة، لأنها لا تكون هذه النقاط متصدرة للاتفاقيات، تكون ضمن الاتفاقيات أمور اقتصادية دولنا في حاجة إليها، فتمرر أمثال هذه الأمور، نحن بحاجة أن نهتم بموضوع المصطلح، العنف الأسري بالمفهوم الذي عُرّف، نحن ضده، وكلنا ينبغي أن نسعى إلى تغييره، لكن لا ينبغي أن يُستخدم وسيلة لإقحام الثقافات الأخرى على ثقافتنا، وجزاكم الله خيراً.

المرأة في العالم الغربي مهانة إهانة ليس لها حدود بالنسبة إلى المرأة المسلمة :

الدكتور زغلول النجار :

لكني أنا أختلف مع سماحتكم بأن المرأة عندنا أكثر ظلماً مما هي في العالم الغربي، هذا غير صحيح، المرأة في العالم الغربي مهانة إهانة ليس لها حدود، أنا عشت سنة في لوس أنجلوس، في جامعة كاليفورنيا، وسكنت في سكن للجامعة، وأساتذة الجامعة هم صفوة المجتمع، والله كنت أسمع صراخ النساء يضربن بعنف شديد، بعد الساعة الثانية عشرة إلى الفجر تقريباً، ولا مغيث لهم، المرأة في الغرب مهانة إهانة شديدة، وإذا حدث عندنا بعض الإهانات فهي أخطاء فردية، ليست قواعد عامة، المرأة عندنا مكرمة، زوجة، وابنة، وأم، وخالة، وعمة، وجدة، مكرمة تكريماً كبيراً، لا يجوز أن نقول: إن المرأة عندنا مهانة أكثر مما هي مهانة في العالم الغربي.

هناك كثير من المفاهيم التي تحتاج إلى معالجة :

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري:

أنا أقبل طبعاً وأضع كلام الشيخ على رأسي، ولكن لم أقل إطلاقاً إن الإهانة عندنا والظلم أكثر من الغرب، ولم أقارن، الكلام كان واضحاً أتكلم عن وضعنا الداخلي، عندما أقول عندنا لا أقل في الإسلام، أقول: في ممارسات المسلمين، اليوم في أكثر عشائرنا المرأة لو انحرفت الكل يصفق لقاتلها، والرجل إذا انحرف وأخطأ يقول الرجل: لابأس، فتوجد عندنا كثير من المفاهيم التي تحتاج إلى معالجة، نعم سيدي، أنا أتفق معك الحالة في الغرب ليست بأحسن من الحالة عندنا.

المذيع:

جزاك الله خيراً، بالتأكيد هو موضع حساس، ونحن بحاجة إلى صياغة خطاب وسطي في قضية المرأة يحررها من التقاليد التي ألصقت بالإسلام، ومنعت هذه المرأة من ممارسة حقوقها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، بل منعتها من قيادة السيارة في بعض الأقطار، أيضاً بين النموذج الذي يريد أن يقلد النموذج الغربي، نحن بحاجة إلى أن نحرر المرأة بالإسلام لا نحررها من الإسلام.

اسمحوا لنا أن ننتقل إلى المحور الأخير في هذه الجلسة المباركة النشطة مع الأستاذ الدكتور أحمد نوفل، دكتور أحمد يرى البعض أن قوة الشخصية تعني الهيبة، والرعب، في البيت والمجتمع، ونلاحظ أن المجتمعات العربية في الفترة الأخيرة تشهد صوراً مؤلمة من العنف اللفظي، الأصوات العالية، الصراخ، حتى في المواقف الودية عندما يريد أن يعبر صديق إلى صديقه يعبر لهم بالشتم، والعدوان، والسباب، نرى العدوان في الجامعات، طالب يجز رقبة زميله في إحدى الجامعات الأردنية، سائق يطلق النار على من خلفه، لأنه أزعجه بالزمور، نرى إغلاق عدادات السيارات في الشارع، النزاعات العشائرية، المشاجرات الطلابية في الجامعات، تغلق الجامعات أياماً، صور مؤلمة كثيرة جداً يغيب عنها قول الله عز وجل :

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً)

[سورة الإسراء: 53]

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، تفضل دكتور أحمد.

العنف مقتبس نحن لم ننتجه :

دكتور أحمد نوفل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، فكان الله في عونكم وكان الله في عوني، أولاً شرف كبير أتوقه أن أتكلم في هذه الثلة الممتازة المختارة من هذا البلد الطيب الكريم، ومن المشاهدين كذلك، مثلي مع هؤلاء الأعلام كمثل طائر رأى النسور محلقة في الجو فألقى نفسه من العش فخرّ على الأرض لم يمت لأنه خفيف.

المذيع:

لكنك النسر.

دكتور أحمد نوفل:

ما نبت لي ريش، ومثلي ومثلهم كما قال الشاعر العربي الكبير جرير:

وابن اللبون إذا ما لُزّ في قرن لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

***

وهذا العبد الضعيف، دقائق سبعة سأتكلمها الوقت المخصص لي أطارت النوم من عيني، والغمض عن جفني، طيلة الليلة السابقة، يعلم الله ما غمضت لي عين، وأنا أفكر لأني سألتقي بنخبة من العقول، ونخبة من المشاهدين، فينبغي أن تعد، على كل حال قرأت عشرات الأبحاث والدراسات في مدى تأليف يزيد عن ربع قرن حتى نعطي الخلاصة في هذه الدقائق السبعة .

أخواني الكرام، أولاً الذين ينتجون المنتجات الصناعية هم الذين ينتجون المنتجات الثقافية، والذين يستهلكون المنتجات الصناعية هم الذين يستهلكون المنتجات الثقافية، هم هم المنتجون، وهم هم المستهلكون، فهم الذين يضعون المصطلح، وهم الذين يحددون معاني المصطلح وتطبيقه على الواقع.

مر آخر: أرجو ألا يتصور أنّا نتكلم بفعل رد الفعل، أو من موقف الدفاع، وإنما من منطلق بيان الحقيقة وإدماع الحق.

أمر ثالث: أن العنف مقتبس، نحن لم ننتجه، الذي أنتجته هوليوود، ملايين أفلام العنف، إبادة الهنود الحمر، الآن أتحدى ما إذا كان سبعون بالمئة من أفلام هوليوود كله أكشن وعنف.

العنف شرّ كله :

على كل حال العنف شر كله، هذا الكلام لا نجامل به أحداً، هذه الحقيقة، كلمة يقولها أستاذ جامعي من أعلى مستويات الأساتذة "فاوستو أنتونيني"، أستاذ جامعي كبير في إيطاليا له كتاب اسمه "عنف الإنسان"، من أجمل ما تقرأ في الفصل الرابع: السادية والمازوشية، يقول: هنا الخطورة كيف استطاع البشر أن يصلوا إلى قناعة أن الأديان فاشلة في مواجهة العنف، وهذا من أشر ما في العنف، يقول هذا الأستاذ: النظريات التي جاءت بها الديانات الكبرى، ومحاولة التغلب على العدوانية، هذه المحاولات باءت كلها بالفشل الذريع، أي أوصلت كبار أساتذة الجامعات ظواهر العنف المتفشية أن الدين فاشل في المواجهة، يكفي أن هذا الاستنتاج مؤشر على فشل العنف وسوء العنف.

الإنسان بين اتجاهين؛ الأنسنة والشيطنة :

أخواني مع حفظ المقامات، أنتم أخواني أياً كانت الرتب، الإنسان بين اتجاهين الأنسنة والشيطنة:

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)

(سورة الإنسان: 3)

التزكية لا حدود لها، يمكن أن ترقي إلى أعلى من الملائكة، والتزكية لا حضيض لها، يمكن أن تنزل إلى درك أسوأ من درك الشياطين، من دون تفصيل، الحضارة الغربية هيجت الوحش القابع في نفس

كل إنسان، فتحول كل واحد إلى وحش كاسر، الوحش إذا شبع ترك الافتراس، لكن الإنسان لا يشبع من الافتراس، الحرب العالمية الثانية ضحاياها فوق الأربعين مليوناً، أصبح العنف ثقافة، والإجرام نمطاً، الأمر خطير ينبغي الانتباه.

أخواني، في لسان العرب لفتة سريعة لكن أنا كاتب أكثر من عشر صفحات في لسان العرب في معنى العنف، وأريك أن لغتنا لها من العنف موقف مشرف يرفع الرأس فكيف الدين؟ باللغة فقط، يقول لك: العنف الخرق أي الحماقة، لا يعرف إلا جاهل، وقلة الرفق، والعنف الشدة والمشقة، والعنف قرين الجهل، كل هذا من لسان العرب، واعتنق الشيء كرهه، واعتنقته الأرض كرهته، نبت عليه أي تعدت عليه الأرض كرهاً فيه.

إذاً كما تلحظ لغتنا العبقرية لها من العنف موقف إذ جعلته قريناً مع كل هذه السلبيات، لسان العرب يقول: كل ما في الرفق من الخير في العنف نقيضه من الشر، الجذر عنف لم يرد في القرآن الكريم أصلاً، ورد في السنة في حديث واحد إذا ما خانتني الذاكرة، أن العنف ما كان في شيء إلا شانه:

((إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[مسلم عَنْ عَائِشَةَ]

ورد في لغتنا في موضع الذم، في القرآن الكريم، مع أن القرآن الكريم استخدم ثلث جذور اللغة العربية، لا يوجد كتاب يستخدم خمسة بالمئة من جذور اللغة، القرآن الكريم استخدم ثلث جذور العربية، جذر عنف لا يوجد، السنة فيها حديث وفي موقف الذم، إذاً موقفنا من العنف لا أحد يزايد علينا، موجود عندنا، هذا بشر، ونحن أيضاً تجتاحنا الآن موجة الثقافة الغربية، فالعنف أزعم أنه مستورد، العنف لفظي، والعنف جسمي ونفسي إلى آخره، إذا كان الرجل أبرع في العنف المادي فالمرأة أبرع في العنف النفسي، والحقيقة هذا دلالة الحماقة وعدم السيطرة على النفس.

محاور سبع في العنف الاجتماعي و التوصيات الضرورية للقضاء على العنف :

السبع دقائق جعلتها سبع محاور، العنف الاجتماعي مقدمات، العنف الأسري في ظل العولمة، رقم اثنين، الآثار السلبية لمشاهد العنف في التلفزيون والسينما وأثرها على السلوك الإنساني، عدة دراسات عن العنف في مصر، ألخصها في دقائق، العنف الاجتماعي في الأردن، ملخص عدة دراسات، رقم ستة دراسة عن الإساءة الزوجية في ضوء بعض المتغيرات في محافظات غزة، بحث منشور 2010، والمحور السابع توصيات، سبع دقائق، سبعة محاور.

على كلِّ حال في ملخص العنف الاجتماعي في ظل العولمة أنقل عن الفريق عباس أبو شامة، واللواء محمد أمين البشرى، يقول: من متطلبات العولمة أن كل بلد تلتفت إلى مشكلاتها الإنسانية، وتحاول أن

تعالجها وإلا أنت توقع على اتفاقيات، وأحياناً غير مقروءة، يضعون لك فيها ألغاماً، ويتدخلون في شؤونك الداخلية، من خلال توقيعك على اتفاقات ربما غير مدقق في قراءة البنود، يقول: قبل أن تلحظها منظمات حقوق الإنسان وغيرها من المنظمات الطوعية التي سخرتها العولمة لرصد تجاوزات الدول التي لا تلتزم بنصوص المعاهدات، لا نريد أن نقول ما يجري.

الطفل في نيويورك على اثني عشر عاماً يكون قد شاهد اثني عشر ألف ساعة عنف، أفلام الكرتون فيها من العنف ستة أضعاف أفلام الكبار، العنف الاجتماعي في مصر، تسعون ألف حالة طلاق تزيد كل سنة، قتل الزوجات لأزواجهم زاد عشرة أضعاف، المسافة بين الأشقاء تتباعد، المرأة ودورها في التحريض على الثأر، غياب دور الوالد، حوالي خمسة إلى عشرة مليون مغترب هذا ولّد العنف الاجتماعي في الأردن سنة 2008 ضعفي الجريمة سنة 2004، فكان العدد 44722جريمة سنة 2004، سنة 2009 سميت سنة العنف، أو سنة العنف الاجتماعي.

التوصيات، أولاً: الحرص على غرس قيم الدين، وتعزيز قيمة الدماء، وتجريم وتحريم سفك الدماء، نحولها إلى خبز يومي، الدماء لا ، الدماء لا ، الملائكة كانت تخاف من سفك الدماء، صار عندنا كل يوم في بغداد مئة قتيل، و مئتا قتيل، الأمة التي تحرم أنه من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً.

ثانياً: دور الأوقاف، ومعالي الأخ العزيز أبو أنس وزير الأوقاف دور المساجد والوعظ والمنابر والدروس الدينية في رفع هذه القيم وتعزيز دور الإعلام، وتخفيف مشاهد العنف والإجرام.

رابعاً: تفعيل دور الأسرة.

خامساً: تخفيف الاحتقان الاجتماعي، والضغط، والإحباط، وعدم وجود عدالة.

سادساً: إرجاع دور الدولة إلى مركزيته، وأن يكون الولاء للدولة لا للدوائر الضيقة أياً كانت، لا لحزب، ولا لتجمع، ولا لعشيرة، الولاء للوطن مهم هذا لنزع كثير من الاحتقانات.

سابعاً: مؤسسات مدنية للإصلاح وتأهيل الزوجات والأزواج.

المذيع:

شكراً على هذا العرض الممتع، والحيوي، والحساس، هل من تعليق أو إضافة من السادة العلماء؟

الدين لابدّ من أن يكون بياناً ربانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من كلام البشرية :

الدكتور زغلول النجار :

طبعاً كنت أتمنى أن الفرصة لو أتيحت لأخي الدكتور أحمد أن يمتعنا بهذه المعلومات الطبية عنده، لي تعليق بأن الأديان قد فشلت في معالجة العنف، العالم يساوي بين دين صحيح ودين غير صحيح، ولا بدّ

لنا أن ندرك هذه القضية، الدين لا بد أن يكون بياناً ربانياً خالصاً، لا يداخله أدنى قدر من الثروة البشرية، المعتقدات كثيرة أما الدين الذي يرتضيه الله عز وجل لعباده هو دين واحد، علمه لأبينا آدم لحظة خلقه، وأنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله، ثم أتمه وأكمله وحفظة في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

المذيع:

في دقيقتين.

الابتعاد عن العنصرية :

الدكتور راتب :

أيها الأخوة الكرام، الإنسان إما عنصري أو إنساني، فحينما يرى لنفسه ما ليس لزوجته وعلى زوجته ما ليس عليه فهو عنصري، وهذه العنصرية تنتقل وتصل إلى مجلس الأمن، حق الفيتو عنصري.

الأسئلة :

المذيع:

شكراً، أيها الأخوة أنتقل إلى الأسئلة، ورد إليّ أكثر من خمسين سؤالاً، وهذا دليل على حيوية هذا الموضوع، نبدأ بالسؤال الأول يتحدث عن قضية ضرب المرأة والاستدلال بالآية الكريمة:

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)

والبعض يفسرها فعضوهن.

السؤال الثاني يتحدث عن موضوع موقف الإسلام مما يسمى قضايا الشرف والقتل على هذا الأساس، موضوع دور الإعلام في أفلام الرعب، والتأثير على الأطفال والكبار وألعاب البلي ستيشن، التعامل مع العنف الفكري عند اختلاف الرؤيا الفكرية، وغياب مؤسسات الحوار في المجتمعات العربية.

سؤال الفقر وعدم الكفاية يوجب العنف المجتمعي ما رأيكم بذلك؟

الفقر أحد عوامل العنف فعلى المجتمع أن يكفل أفراده و يؤمن حاجاتهم :

الدكتور زغلول النجار :

أجيب عن سؤال الفقر، الفقر أحد عوامل العنف، الإنسان إذا وجد نفسه عاجزاً عن تأمين احتياجاته الضرورية، قد يسول له الشيطان الجريمة بكل سهولة، وعلى المجتمع المسلم أن يكفل كل فرد فيه،

ويوفر كل احتياجاته، من الصدقات، من الزكاة، ما يتفضل به الأغنياء على الفقراء، وهذه حقوق شرعها الله عز وجل وحددها، والمجتمع المسلم هو مجتمع تراحمي تحكمه العلاقة الإنسانية قبل أن تحكمه العلاقة الطبقية.

المذيع:

شكراً.

القضاء على العنف بتذكر الله عز وجل و قدرته :

الدكتور راتب :

أيها الأخوة الكرام، أنا أفهم الموضع بالشكل التالي حينما يكون الله بين الزوجين ينتهي العنف، إذا كان هناك علاقة مباشرة مع تغييب وجود الله عز وجل يكون العنف، ما دام الزوج يجعل الله بينه وبين زوجته فهو يخافه أن يظلمها، ويرضيه بإكرامها، وهي تخاف أن تظلمه، وترضيه بإكرامه، إذا كان الله بين الزوجين، وهذا من خصائص الزواج الإسلامي، الله بين الزوجين، فإذا ألغينا هذا الفهم، الأقوى يسحق الأضعف.

المذيع:

شكراً.

الدكتور زغلول النجار :

الله ليس بين الزوجين الله فوق ذلك، شرع الله بين الزوجين.

القدرة على نقد الذات :

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري:

من قال الله بين الزوجين ليس خطأ هذا من المجاز، مستخدم في اللغة، الحقيقة الإجابة على كل هذه الأسئلة من الصعب أن نجيب عليها واحدة بعد الأخرى، لكن أدعو إلى العودة إلى الشجاعة، كما القرآن الكريم قد دعانا إليها، وهي القدرة على نقد الذات، عندما نقول: عندنا أخطاء لا ينبغي أن نتأسف من ذلك، عندما نقول: إن مجتمعنا فيه أمراض لا ينبغي أن نتأسف من ذلك، أؤيد كلام الدكتور زغلول أن الفقر له أثر كبير لكنه لا يبرر، لأن الصحابة كانوا فقراء، وآل البيت كانوا فقراء، وما كانوا يستخدمون العنف، ولا يقتلون، هو يفسر، كلامه صحيح، لكن هو يفسر عجز الأغنياء وتقصيرهم عن أداء حق الزكاة، الدعوة إلى نقد الذات، ولا أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء.

المذيع:

شكراً.

الدكتور أحمد :

أولاً قضايا الشرف قد تكون مجرد شائعة ليس لها أي حقيقة تقتل بها بريئة، هذه جريمة قتل.

المذيع:

سأعلق على فاضربوهن في أقل من نصف دقيقة.

شرع رب العالمين ليس عليه تعديل يحتاج إلى عقل حكيم في فهمه :

الدكتور أحمد :

أولاً: فاضربوهن ليس معنى الآية فاضربوهن، ليس ملاكمة، ولا مصارعة، لكن الطفل تضربه هذا ليس ضرباً، لكن أشعرت الطفل بهذه الحركة، هذا غلط، هذه الضربة لم تؤدّ الطفل لكنها تركت انطباعاً نفسياً لديه، المرأة نفس الشيء، ليس أن تتمسكوا بالكلمة، المرأة يمكن الضرب غير المبرح، النبي عليه الصلاة والسلام قال: بالسواك، ليس لعبة ولكن إشعار المرأة بالخطأ، فشرع رب العالمين ليس عليه تعديل، هو كتاب حكيم من رب حكيم، يحتاج إلى عقل حكيم في فهمه، العقل الذي يجرها من شعرها ويضربها هذا ليس عقلاً حكيماً هذا عقل مريض.

في زيارة لنا إلى إسبانيا قالوا: هناك شيخ في إسبانيا أخرج كتاباً: "ضرب النساء في الإسلام"، ضاق بك الفضاء والبحر والبر إلا أن تجد هذا الموضوع، وقامت جمعيات النساء في إسبانيا تطالب بطرده، ونجحوا في طرده، ليس معقولاً قال تعالى:

(وَاضْرِبُوهُنَّ)

كلمة واحدة، من؟ الناشز، ومعنى الناشز التي تستعلي على زوجها، وعلى كلمة زوجها، هذه تضرب.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الأردن - ندوات مختلفة : أين يبدأ الخلل في عالمنا العربي والإسلامي؟
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-08-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور وائل:
دكتور محمد راتب النابلسي أين الخلل؟ نحن الآن نعاني في وقت حاضر هناك غلو وتطرف في العالم الإسلامي، هناك إشكاليات عقائدية لم نتفق عليها بعد، مع أن عقيدتنا هي عقيدة واحدة، وهي من عند الله عز وجل، ولا يمكن أن تختلف ما بين مخبر وآخر، نعاني من إشكاليات واضحة اقتصادية، اجتماعية، خلل في التركيبة الاجتماعية، العنف اليوم كنتم تتحدثون عنه في المجالس الهاشمية، أين يبدأ الخلل في عالمنا العربي والإسلامي؟

الله عز وجل وعد عباده بالاستخلاف والتمكين والتطمين :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صاحبته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.
ندعو الله عز وجل أن يخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، دكتور وائل جزاك الله خيراً، الله عز وجل يقول:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور: 55]

وكأنه قانون:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

[سورة النور: 55]

وعدهم بالاستخلاف، وبالتمكين، وبالتطمين، يستخلفهم في الأرض، يُمكّن لهم دينهم، يطمئنهم، لكن الحقيقة المُرّة ـ كما تفضلت ـ أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح، واقعنا ليس كذلك، بل إن مجموع وعود

الله عز وجل للمؤمنين في القرآن الكريم رائعة وكثيرة، وكلنا يعلم أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، فما دام وعد الله قطعياً:

(وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)

[سورة التوبة الآية: 111]

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)

[سورة النساء: 87]

وما دام هذا الوعد في القرآن الكريم، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، معنى هذا أن الخلل عندنا.

من أخلّ بما عليه من عبادة فالله جلّ جلاله في حلّ من وعوده :

هذا الخلل يتضح في مظاهر كثيرة، من هذه المظاهر، أنه ذكرت في القرآن الكريم قبل أن أذكرها، أذكر الوعود:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور: 55]

استخلاف:

(كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

[سورة النور: 55]

في نهاية هذه الآية:

(يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور: 55]

أي إذا أخلّ الفريق الآخر بما عليه من عبادة، فالله جلّ جلاله في حلّ من وعوده،

(يَعْبُدُونَنِي)

العبادة علة وجود الإنسان في الدنيا :

والعبادة دكتور وائل جزاك الله خيراً علة وجودنا في الأرض، كيف أن الطالب لو سافر إلى باريس لينال الدكتوراه، له في هذه المدينة العملاقة المترامية الأطراف هدف واحد لا غير، أن ينال الدكتوراه، والحقيقة الإنسان حينما جاء إلى الدنيا علة وجوده في الدنيا شيء واحد، والدليل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات : 56]

والعبادةُ طاعةٌ لكنها طوعيةٌ، هي طاعة لكنها ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، فالله عز وجل رب العالمين بمعنى يربينا، فلو أن هذا الإنسان غفل عن سرّ وجوده، وغاية وجوده، غفل عن عبادته، غفل عن الآخرة، انغمس في الدنيا، نسي الموت، نسي ما بعد الموت، فالله عز وجل رب كريم لا بدّ من تأديبه، لذلك تأتي المصائب كلها معالجات، كلها لفت نظر من الله.

الدكتور وائل:

هذه المصائب التي تصيب الإنسان هل هي محبة؟

الله عز وجل يريد من الإنسان أن يعبده رغباً ورهباً :

الدكتور راتب:

طبعاً هناك دليل: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ـ الشاهد ـ أهل ذكري، أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادتي، أهل معصيتي، لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، هذا هو الشاهد وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها، هذا الموقف موقف الرحمة، موقف المحبة، يجب أن نذكره إذا ذكرنا النار يوم القيامة، هناك دعاة يتحدثون عن النار فقط، لكن الله عز وجل يريدنا أن نعبده رغباً ورهباً، ينبغي أن نخافه بقدر ما نحبه، أو أن نحبه بقدر ما نخافه، لأن الله عز وجل ذو الجلال والإكرام، ينبغي أن تحبه، وينبغي أن تخافه، في الوقت نفسه.

الدكتور وائل:

وهذه العظمة، كيف تحب الله عز وجل وتخشاه بقدر ما تحبه؟ أذكر لك حديثاً طيباً بأن المؤمنين عندما يلقون الله عز وجل لو علموا ما كان بالمصائب التي أوقعهم بها ليُكفر عنهم ذنوبهم لذابوا حباً لله عز وجل.

الله عز وجل غني عن تعذيب العالمين :

الدكتور راتب:

هذه حقيقة ثابتة، الله عز وجل لا يحتاج إلى تعذيبنا، هو لا ينتفع بمصائبنا، منزه:

((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، الشاهد، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ذلك لأن عطائي كلام وأخذي كلام فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ))

[مسلم عن أبي ذر]

هذا كلام واضح، والحديث صحيح.

الدكتور وائل:

فضيلة الدكتور الأمة الإسلامية فيها إشكاليات في الجانب العقدي، هم لم يختلفوا في أصل العقيدة، وإنما الاختلاف في فهم العقدية، وهذا الاختلاف في فهم العقدية أوقع إشكالات كبيرة هل بالفعل ترى من وجهة نظر الدكتور محمد راتب النابلسي أن هناك خللاً؟

أصل الدين معرفة الله :

الدكتور راتب:

قد يغيب عن أذهاننا أن عقيدتنا هي التوحيد، الإيمان بالله، إبليس آمن بالله:

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ)

[سورة ص: 82]

قال:

(فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة ص: 79]

الإيمان بالله لا يقدم ولا يؤخر، ولكن الذي يقدم ويؤخر الإيمان بالله العظيم، والدليل:

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

[سورة الحاقة: 30-33]

فالتركيز على كلمة عظيم، متى نؤمن بالله العظيم؟ الحقيقة يوجد بهذا الدين شيئان كبيران، آمر وأمر، إذا انشغل المسلمون في حقبهم الأخيرة في الأمر فقط ولم يتعرفوا إلى الآمر، قلّما يطيعوا الأمر، لكنهم إذا عرفوا الآمر من هو يتفانون في طاعته، نقطة الضعف في حياتهم أنهم بذلوا وقتاً طويلاً بل إن مناهجهم في التعليم، وخطب المساجد، والدروس في المعاهد الشرعية، تتحدث عن الفقه وأنواعه، والأمر فقط، أما الآمر هو الأصل، لذلك أصل الدين معرفة الله، كيف نعرف الله؟ الله عز وجل له آيات كونية، وله آيات تكوينية، وله آيات قرآنية، أنا حينما أتعلم أن الشمس تكبر الأرض بمليون و ثلاثمئة ألف مرة، أي جوف الشمس يدخل فيه مليون و ثلاثمئة ألف أرض، والقارات الخمسة خمس الأرض، هذا الكون الذي نحن عليه مليون وثلاثمئة ألف كوكب من وزنه وحجمه يدخل في جوف الشمس، وبين الشمس والأرض مئة وستة وخمسون مليون كم، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، وفي برج العقرب نجم صغير أحمر اللون متألق اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصى ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ الذي أراه أن حجم طاعتك لله بحجم معرفتك له، فكلما ازددت معرفة به ازددت طاعة له، تعرف من هو الذي تطيعه، خالق الأكوان، عنده جنة عرضها السماوات والأرض، بل إن حياتنا بيده، صحتنا بيده، أهلنا بيده، أولادنا بيده، رزقنا بيده، مكانتنا بيده، كل شيء حولنا وفوقنا وتحتنا بيده، فأنت حينما تعلم أن جهة تملك كل جهات حياتك لا بدّ من أن تتوجه إليها وتطيعها، هذا هو التوحيد، الإنسان إذا وحّد جعل كل علاقته بجهة واحدة.

الدكتور وائل:

توحيد الهموم هذا دكتور .

استقامة الإنسان عندما يعلم أن الله يعلم و سيحاسب و سيعاقب :

الدكتور راتب:

اجعل الهموم هماً واحداً يكفك الهموم كلها:

((ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، من أصبح وأكبر همّه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة))

[الترمذي عن أنس]

البطولة أنا حينما أستيقظ ما الذي يهمني؟ هناك إنسان يهمه معرفة الله، يهمه عمل صالح، يهمه طاعة لله، يهمه مشروع خيري يفعله، يهمه مبلغ ينفقه، يهمه درس يتعلمه، يهمه قرآن يقرأه، يهمه عالم يلتقي به، فلذلك قل لي ما الذي يهمك أقل لك من أنت، من أصبح وأكبر همّه الآخرة جعل الله غناه في قلبه،

هذا الهم للآخرة يحتاج إلى علم، الإنسان يعيش سنوات محدودة، الآن كما تعرف من الستين إلى السبعين، وهناك من يموت في الخامسة و الخمسين، وفي الأربعين أو الثلاثين، و هناك من يعيش سبعين أو ثمانين أو تسعين عاماً، أو مئة وثلاثين عاماً، شيخ أزهري سابقاً عاش مئة وثلاثين سنة، لكن الحياة الآخرة معنى أبد من الصعب أن نفهمه، أي الواحد في الأرض والأصفار للشمس، مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر أصفار، وكل مليمتر صفر، هذا الرقم إذا نسب إلى اللا نهاية فقيمته صفر، الدنيا محدودة، العمر محدود، لكن الآخرة ليس لها سقف، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أنا أتمنى أن تكون الآخرة داخلة في حسابات هذا الإنسان المسلم دخولاً حقيقياً؟ داخل في حساباته أنه سيحاسب عن كل قرش وكل مبلغ يقبضه، داخل في حساباته كل شيء يؤذي الآخرين سيحاسب عنه، يحاسب عن زوجته، عن أولاده، عن أخوانه الذين يصحبهم، عن زبائنه الذين يبيعهم، هو حينما يعلم أنه سيحاسب سوف يستقيم، البطولة ثلاث كلمات أنه يعلم، وسيحاسب، وسيعاقب، أنا أضرب مثلاً بأي بلد في العالم هناك نظام سير، و إشارة حمراء، والشرطي واقف، وهناك شرطي آخر مع دراجة نارية، وأنت مواطن من الدرجة الخامسة، مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تتجاوز الإشارة، فأنت حينما تعلم أن الله يعلم، وسيحاسب، وسيعاقب، تستقيم، والدليل آية دقيقة جداً:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ)

[سورة الطلاق: 12]

انضباط الإنسان بأمر الله عندما يعلم أن علم الله يطوله و كذلك قدرته :

أي علة خلق السماوات والأرض أن تعلم، تعلم ماذا؟

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

[سورة الطلاق: 12]

كأنه اختار من أسمائه العلم والقدرة، لأنك بهذين الاثنين وحدهما تستقيم، أنت حينما تعلم أن علمه يطولك، وقدرته تطولك، تستقيم على أمره:

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

[سورة الطلاق: 12]

فهذا الذي يأخذ مال أخيه، هذا الذي يعتدي على أعراض الناس، لو علم يقيناً أن الله يعلم، وسيحاسب، وسيعاقب، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يعصيه، نقطة الضعف هي العلم، لذلك أهل النار وهم في النار ما أزمتهم؟ أزمة علم، والدليل:

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك الآية : 10]

ذلك بأن الإنسان مفطور على حبّ وجوده، أي إنسان من الستة آلاف إنسان على وجه الأرض ما منهم واحد إلا وقد جبل على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، سلامة الوجود، وكمال الوجود، واستمرار الوجود، مرتبطون بمعرفة سرّ الوجود، أنت مخلوق لمعرفة الله، ولعبادته، والعبادة كما قلت قبل قليل: طاعة طوعية ممزوجة بمحبةٍ قلبية .

الدكتور وائل:

فضيلة الدكتور لنحافظ على هذه القضايا؟

تربية الإسلام الإنسان على الوازع الداخلي :

الدكتور راتب:

تحتاج إلى شحن، أنت معك هاتف خلوي كي تحافظ على صوته الرنان، وعلى استجابته، ونقله المكالمات الخارجية، يجب أن يكون هناك بطارية ومشحونة، أنا أقول لك بكل ما أملك من قناعة إن هذه الصلوات الخمس هي الشحن، الدليل: قال تعالى:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ)

[سورة العنكبوت: 45]

نحن أمام حالتين، حالة نظام مبني على الردع، ونظام مبني على الوازع، الإسلام يربي الإنسان على وازع داخلي، سيدنا ابن عمر أراد أن يمتحن راعياً فقال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها؟ قال: ليست لي، قال: قل لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب، قال: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ هذا الراعي لا يوجد عنده مكتبة ضخمة، ولا أفلام فيديو لحلقات دينية، ولم يحضر مؤتمرات إسلامية، ولم يؤلف كتباً، هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين حينما قال أين الله؟ في أية لحظة تقول: أين الله؟ أقسم بالله خطوت أربعة أخماس الطريق إلى الله، أين الله؟ أن تدخل الله في حساباتك اليومية، عندك زوجة إذا كان الله بين الزوجين، قلت اليوم: إذا كان الله بين الزوجين كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر، فالسعادة الزوجية تحتاج إلى إيمان بالله، كي تكون تاجراً موفقاً وناجحاً يجب أن يكون الله بينك وبين زبائنك، أنت طبيب يجب أن يكون الله بينك وبين المرضى، أنت طبيب مصدق واختصاصك عال، لا أحد يناقش الطبيب، قد يكلفك بعشرة تحاليل، قد يكلفك بأشياء

لست بحاجة إليها، ولا تستطيع أن تناقشه، لو كلفك باثني عشر تحليلاً المطلوب واحد فقط، والباقي بينه وبين المخبر، لن تستطيع أن تكشفه، فلذلك الحياة لا تستقيم إلا بمعرفة الله.

الدكتور وائل:

دكتور أشرت إلى نقطة الصلاة، وهنا نذكر كيف كان العالم الإسلامي في أوج حضارته عندما كانت الصلاة قائمة، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((تنتقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبثت بالتي تليها و أول نقضها الحكم و آخرها الصلاة))

[المستدرك عن أبي أمامة الباهلي]

قال تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

[سورة مريم: 59]

إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل تفريغها من مضمونها :

الدكتور راتب:

وقد أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل يعني تفريغها من مضمونها، هذا معنى قوله تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

[سورة مريم: 59]

الدكتور وائل:

أهلاً ومرحباً بكم واسمحوا لي أن أرحب بضيفي الكريم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، كنت تتحدث عن قوله تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

[سورة مريم: 59]

ثمار الصلاة :

الدكتور راتب:

الآية الكريمة كتقديم لهذه الآية:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت الآية : 45]

هذا النهي الذاتي هذا نهي الوازع لا نهي الرادع، الشيء الثاني:

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

قال علماء التفسير: ذكر الله عز وجل أكبر ما فيها، لكن ابن عباس الصحابي الجليل له لفتة رائعة قال: ذكر الله لك أيها المصلي وأنت تصلي أكبر من ذكرك له، لأنك إن ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إذا ذكرك منحك الأمن، الأمن أعظم نعمة على الإطلاق، والدليل:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام: 81-82]

إذا ذكرك منحك الرضا، حالة نفسية رائعة جداً، أعلى درجات الصحة النفسية قائمة على الرضا، أن ترضى عن نفسك، أن ترضى عن ربك، أن ترضى عمن حولك، إذا ذكرك منحك التوفيق:

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ)

[سورة هود: 88]

تُوفق في صناعتك، في تجارتك، في دراستك، في زواجك، في علاقاتك، من أعظم نعم الله التوفيق، إذا ذكرك منحك الحكمة:

(وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً)

[سورة البقرة: 269]

هذه ثمار الصلاة.

من استهان بحكمة و حقيقة الصلاة ضيّع على نفسه الشيء الكثير :

الناس ابتعدوا عن حقيقة الصلاة، ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، عرف من هو الله العظيم، تفكر في ملكوت السماوات والأرض، إنه إن ذكرك منحك التوفيق، منحك الرضا، منحك الأمن، منحك الحب، منحك المكانة الاجتماعية، هذه ثمار الصلاة لا تعد ولا تحصى، لذلك: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي ـ استقام ـ ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم علي فأبره، أكلؤه بقربي، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها.

هذه حقيقة الصلاة، لذلك الناس حينما يستهينون بجدوى الصلاة، بحكمة الصلاة، بمضمون الصلاة، بحقيقة الصلاة، ضيعوا على أنفسهم شيئاً كثيراً.

أسئلة من المستمعين و ترحيب بالدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور وائل:

معنا اتصالات هاتفية، الشيخ أحمد الزعبي من إربد، تفضل.

أسلم على الدكتور محمد راتب النابلسي، وأقول له: أهلاً وسهلاً بك في الأردن ضيفاً عزيزاً.

الدكتور راتب:

بارك الله بكم ونفع بكم.

الشيخ أحمد الزعبي:

لو سمحتم لي مداخلة بسيطة، أقول: إن ملف الخلل والهزائم هذا ملف الماضي، عند العقلاء يطوى ولا يروى، يغلق عليه أبداً في زنزانة النسيان، ويقيد بحبال قوية في سجن الإهمال، ويوصد عليه، فلا يرى النور لأنه مضى وانتهى، لا الحزن يعيده، ولا الهم يصلحه، ولا الغم يصححه، أين الخلل؟ نبدأ بالكلمة الطيبة في هذا البرنامج الرائع، لأننا بكلمة طيبة ترفعنا إلى أعلى عليين، وبكلمة خبيثة رائحتها كريهة تحط بنا إلى أسفل سافلين، فلو قلت لك: إني أحبك، ما تأثيرها في نفسك؟ نور على نور، ولو قلت لك: إني أكرهك، ما مردودها في نفسك؟ نار تتلظى، نبدأ بمعالجة الخلل.

الدكتور وائل:

شكراً لك الشيخ أحمد الزعبي، معنا أم أوس تفضلي.

السلام عليكم أريد أن أسأل: زوجي كان مسافراً و ترك لي مبلغاً من المال هل أستطيع أن أتصرف فيه، وأخرج منه للزكاة هل أستطيع أن أتصرف به لي؟

الدكتور راتب:

إن شكت بالأمر تسأله بأية طريقة.

الدكتور وائل:

فضيلة الدكتور في مسألة الصلاة وأزمة الخلل، هناك خلل في مفهوم الصيام، هناك خلل حتى في الزكاة، والحج، تحولت العبادات إلى عادات، كيف يمكن إصلاح هذا الخلل؟ الخطوة الأولى التي تفضلت بها أتصور أنها ببرنامج عملي كيف يصحو الإنسان صباحاً ويقول همي هو الله، أريد رضوان الله، كيف يمكن له ببرنامج عملي أن يفعل هذا؟

ارتباط الصلاة بالاستقامة :

الدكتور راتب:

هناك توجيه نبوي ورد في بعض الأحاديث الشريفة:

((يؤتى بأناس يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباء منثورا، قيل: يا رسول الله جلّهم لنا، قال: إنهم يصلون كما تصلون، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

إذا لم يرافق الصلاة استقامة لا تقدم ولا تؤخر، ولا يرقى بها الإنسان، ولا تحجزه عن محارم الله، ولا يستنير بها، ولا يؤدي ما عليه أن يؤدى، لذلك الصلاة تحتاج إلى استقامة، لكن بشكل أو بآخر بشكل نفسي صرف لا يستطيع الإنسان أن يقبل على ربه إذا كان متلبساً بمعصية وصلت إلى عبد من عباده، العدوان يحول بينك وبين الاتصال بالله، أنت صلِّ، الصلاة فرض، لكن إذا أردت أن تقطف ثمارها، إن أردت أن تكون لك نوراً، إن أردت أنه من خلال الصلاة يقذف الله في قلبك النور، والدليل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

[سورة الحديد: 28]

هذا النور يقذف في قلب العبد في أثناء الصلاة، فمن أجل أن يقذف النور في قلب المصلي يحتاج إلى الاستقامة، وحينما تلغي من الدين الاستقامة يصبح الدين فلكلوراً، ثقافة، خلفية إسلامية، أرضية إسلامية، طموحات إسلامية، مشاعر إسلامية، أهدافاً إسلامية، الإسلام شيء والصلاة شيء آخر، فأنا أتمنى أن هذا الفرض الذي يؤديه تقريباً مليار إنسان أنا أتوقع أن المسلمين مليار ونصف أتوقع أن نصف مليار منهم لا يصلون، مسلمون بحكم الولادة أما يغلب على ظني أن الذين يصلون مليار، مليار مسلم ويقول النبي:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

إذاً: اثنا عشر ألف مصلي حقيقة لم يغلبوا في الأرض، فإذا كان مجموع الأمة يزيد عن مليار وخمسمئة مليون، وليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل، إذاً عندنا خلل كبير.

الدكتور وائل:

فضيلة الدكتور مسألة الغلو والتطرف وهذه الإشكالية التي تفت في عضد الأمة، وهناك من رأى بأن السهام التي أصابت الأمة من الداخل كانت أكبر بكثير مما أصابها من الخارج، ما رأيك؟

الدين الإسلامي دين الله لا يضاف عليه أو يحذف منه :

الدكتور راتب:

هذا الدين دين الله، معنى دين الله أي من عند المطلق، الإله كماله مطلق، لذلك أي شيء من عند الله لا يضاف عليه، ولا يحذف منه، أنت تضيف على كلام إنسان، تحذف من كلام إنسان، هذا شيء ممكن، أما كلام الواحد الديان، تحذف منه؟ أو تعطله؟ أو تجمده؟ أو تضيف عليه؟ مستحيل، فأول شيء هذا الدين توقيفي، قد تسألني ما التجديد؟ هو: أن ننزع عن الدين كل ما علق فيه مما ليس منه.

بناء حجر لا يضاف عليه طابق، ولا حجر، لكن إذا تراكمت الأوساخ على الحجر ننزعها بطريقة حضارية، التجديد بالدين هو أن ننزع عن الدين كل ما علق فيه مما ليس منه فقط، فإذا فهمنا الدين هكذا عدنا إلى ثمار الدين، ما الذي حصل دكتور وائل؟ أضفنا على الدين ما ليس منه، تقاتلنا والدماء تسيل في بلاد مجاورة، تسيل لخلاف ديني، طائفي، والخلاف لا يزيد عن خمسة بالمئة، بينما أعداؤنا يتعاونون وبينهم خمسة بالمئة فقط قواسم مشترك، نحن عندنا خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة، فلذلك قضية الدين قضية خطيرة جداً، هذا الدين لا يضاف عليه، تضيف عليه يصبح فرقاً، وأحزاباً، وطوائف، ومللاً، ونحلاً، واتجاهات، تفرقنا، تصور بالعالم الآن يوجد مليار وخمسمئة مليون لو أمكن أن ينطق باسمهم واحد، أكبر قوة في الأرض نتربع على أفضل مناطق في العالم، نملك أكبر ثروات في الأرض، والشعوب الإسلامية أفقر شعوب الأرض، عندنا مشكلة كبيرة، لو توحدنا، لو تكلمنا مع بعضنا بعضاً، فلذلك الدين خطير، هذا الدين:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه: 14]

أي إذا ذكرت الله ذكرك، منحك الأمن، منحك القوة، منحك الرحمة، منحك الشعور بالتفوق.

الدكتور وائل:

أي توحيد المواقف على الأقل، التعاون، وصولاً إلى الهدف الأسمى.

ثمن الجنة تناقض الطبع مع التكليف :

الدكتور راتب:

أتحب أن أقول لك رأيي الصريح في هذا الموضوع لعله مقبول أو غير مقبول، أنا أتصور أن الإنسان معه طبع، ومعه تكليف، الطبع يتناقض مع التكليف، بطبعك أن تأخذ المال والتكليف أن تنفقه، بطبعك أن تنظر إلى المرأة والتكليف أن تغض البصر، بطبعك أن تخوض في فضائح الناس التكليف أن

تصمت، الفكرة الدقيقة طبعك فردي والتكليف تعاوني، فأنت بقدر طاعتك لله تتعاون مع من حولك، وبقدر البعد عن الله تنفرد برأيك، وتؤكد شخصيتك، نحن متى نتعاون ؟ إذا عرفنا الله.

الدكتور وائل:

معنا اتصال هاتفي الأخ علي من السعودية .

الإيمان هل هو اختيار الإنسان أم أنه من الفطرة؟

الدكتور راتب:

بطبعه مؤمن ويزداد بالتفكر في خلق السماوات والأرض.

الدكتور وائل:

وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةُ الْإِنْسَانِ، وَنَقْصُهُ بِنَقْصِهَا، وَقِيلَ لَا وَقِيلَ لَا خَلْفٌ كَذَا قَدْ نُقِلَا، مثال هذا الحج و الصلاة و كذا الصيام و الزكاة.

الدكتور وائل:

دكتور محمد راتب النابلسي آخر كلمة توجهها الآن للأمة الإسلامية من هذا المنبر، و إلى دعاتها و إلى شبابها.

خلاص العالم بالإسلام بشرط أن يُحسن المسلمون فهم دينهم و تطبيقه :

الدكتور راتب:

و الله أنا أتصور أن المؤمنين و المسلمين معهم وحي السماء، و قد أقول و لا أبالغ: إنهم ينفردون من بين الأمم بوحي السماء كما نزل تماماً، لكن المشكلة أن الطرف الآخر يُسوق أسوأ بضاعة أفضل تسويق، بينما المسلمون يسوقون أفضل بضاعة أسوأ تسويق، ما الذي ينبغي أن يكون؟ يقول أحد العلماء: أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين، لا لأنهم أقوياء، ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام بشرط أن يحسن المسلمون فهم دينهم، وأن يحسنوا تطبيقه، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس